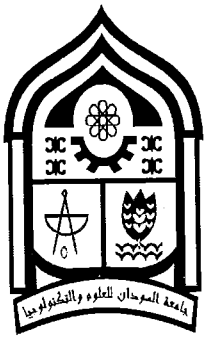

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

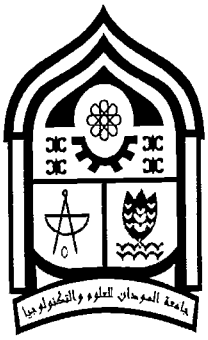

شعر السعاليك وتأثره بالبيئة

AL-SALEEK POETRY AND ITS INFLUENCE by THE ENVIRONMENT

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بالبحث في اللغة العربية

إعداد: عبدالرحيم عصام أحمد عبدالرحيم

إشراف: د. بشير محمد بشير أحمد

1438ه – 2017م

الفهرست

الموضوع	الصفحة
البسملة	4
الاستهلال	5
الإهداء	6
الشكر والعرفان	9
المستخلص	10
Abstract	11
الفصل الأول: أساسيات البحث	
المقدمة	13
الفصل الثاني : الإطار النظري والدراسات السابقة	19
معنى كلمة أدب	20
معنى كلمة جاهلية	21
معنى كلمة بيئة	22
الدراسات السابقة	23
الفصل الثالث: حيـــوات العرب	
المبحث الأول: الحيـــاة الاجتماعية.	26
المبحث الثاني: الحيـــاة السيـاسية .	37
المبحث الثالث: الحيـــاة الاقتصادية .	50
المبحث الرابع :الحيـــاة الدينـــية .	59
الفصل الرابع : معنى الصعلكة ودوافعها.	
المبحث الأول: معنى الصعلكة في اللغة والأدب والمجتمع .	67

المبحث الثاني : الدوافع الاجتماعية لظاهرة الصعلكة .	77
المبحث الثالث : الدوافع الاقتصادية لظاهرة الصعلكة .	94
الفصل الخامس : الشعراء الصعاليك وشعرهم .	
المبحث الأول : الشعراء الصعاليك .	109
المبحث الثاني : أثر البيئة في شعر الصعاليك .	124
المبحث الثالث : مصادر شعر الصعاليك .	158
المبحث الرابع : موضوعات شعر الصعاليك .	166
المبحث الخامس : الظواهر الفنية في شعر الصعاليك .	197
الفصل السادس: الخاتمة والنتائج والتوصيات.	
الخاتمة	225
النتائج	226
التوصيات	227
الفهارس العامة	
فهرست الأشعار	229
فهرست الآيات	244
فهرست الأحاديث	247
فهرست المصادر والمراجع	248

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

قال الله تعالى:

الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9))

سورة الرحمن : الآيات (1-9)

الإهداء

إلى أساطين الأدب والفكر وفرسان الكلمة

إلى بحور العلم ومنارات المعرفة وينابيع العطاء

إهداء محبة ووفاء

وعرفاناً بالجميل الذي يطوق عنقي ما حييت.

إلى أستاذي الفاضل ، د/ بشير محمد بشير أحمد علي

الذي علمني كيف يكون البحث

وكيف يكون العلم

إلى أستاذي الفاضلة ، د/ حربية محمد أحمد عثمان

إلى مَن قادت خطابي

وعلمتني أن أصبوَ

فوق بساط البحث

لأخطو أولى خطواتي

ولأملأ منها أوقاتي

لتكون بذاكرة الأخيلة المقروءة

نافذة

تفتح للعلم مصاريع الأبواب

المسدودة.

إلى الأب الرؤم : عصام أحمد عبدالرحيم علي عويضة

إلى مَن زادني فكراً وإحساساً

وعباً داخلي نبضاً وانفاساً

وقاد خطاي في كل الدروب

لكي أرى ما كان عتماً والتباساً

وناداني لنفسي

وأرسى لي أساساً

إلى من أثراني بالعلم

وأشعل في عقلي ، قلبي

ذاكرة لا تطفأ أبداً

إلى من كان أخاً وأباً

ودماً ينساب بشريان الكلمات

ليعطيها نبطاً قوياً.

إلى أمي وقرة عيني فوزية مضوي موسى مضوي

الأم والأخت والقدوة

لأنك الندى ، والغيث، والسحاب

لأنك المدى، والبحر ، والعباب

لأنك الوفاء والعطاء والسخاء

إليك يا أمي كل نبضة بخافقي تلوذ بالدعاء

لكي تظلي يا أمي على المدى

ملاذنا ، وحصننا المكين

ومعقل الرجاء

وكي تظلي يا أمي حبة الفؤاد

ومنبع العطاء

وشكراً وتقديراً إلى كل من ساعدني لإنجاز هذا البحث وأخص بالذكر الأخوان وعلى رأسهم: الدرديري، وأحمد ، والأخوات وعلى رأسهم: ياسمين ، ويسرى ، وأم كلثوم.

الباحث

الشكر والعرفان

الشكر في البداية لله وحده الذي أنعم عليّ بفضله للإقدام لهذا العمل المتواضع ، ومن لم يشكر الناس لايشكر الله ، ثم الشكر لكل معلمي وأساتذتي في كل مكان الذين أخذتُ من نميرهم الفياض من العلم والأخلاق .

ثم الشكر أجزله لجامعة السودان العتيقة التي ما بخلت علينا بالنهل من سلسبيلها العزب، وأخص بالشكر كل أساتذة كلية التربية الذين ينتهجون الدقة في إيصال المعلومة للطلاب.

وكل الشكر والتقدير إلى مثقفي ومقوم هذا البحث الذي ما بخل عليّ بعلمه وزمنه ، ثم سلط الضوء لي في غياهب موضوع هذا البحث ، حتى استطعتُ أن اجني ثمرة هذا البحث ،

د/ بشير محمد بشير أحمد علي

ثم كل الشكر لأخواني وأصدقائي الذين اعانوني لقطف هذا الثمار الشهي اليانع.

والشكر لكل من ساعدني للسير في دراستي في كل مكان.

الباحث

المستخلص

تناولت هذه الدراسة البيئة وأثرها في شعر الصعاليك ، وقد هدفت إلى بيان مفهوم الصعلكة ، وبيان أسباب ظاهرة الصعلكة ، والوقوف على أثر البيئة في شعر الصعاليك، وتوضيح مميزات الصعاليك ، والقيم والمبادىء التي يؤمنون بها. اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، وكان من أهم نتائج الدراسة : إن الصعلكة نتيجة حتمية لظروف اقتصادية، واجتماعية ضُربت حول تلك الفئة من الشعراء ، وأن شعر الصعاليك يعكس العصر وما يدور فيه من جانب السياسة ، والاقتصاد، ووصف الطبيعة، وشظف العيش، وأن هذا الشعر يعبر عن آمال الصعاليك وآلامهم ، وأن له خصائص فنية معينة تميزه عن الشعر الجاهلي بصفة عامة ، وأن النوازع النفسية والاجتماعية لدى الصعاليك هي إحدى مقومات إبداعهم الأدبي.

Abstract

This study has tackled surroundings, and its effect on poetry of *Sa'aleek* (a group of tribally out cast poets). Furthermore, it aimed to highlight this concept, and the reasons behind this phenomenon, to demonstrate the effect of surroundings on poetry of *Sa'aleek*, and their values and principles. For the purpose of this research, descriptive-analytical method has been utilized. A number of results were reached by the research, this phenomenon basically originated as a result of economic and social circumstances imposed on this category of poets. The poetry of *Sa'aleek* reflects political and economic aspects, depiction of nature, and hardness of living. This type of poetry expresses their hopes and wishes, as well as it has its own certain technical characteristics which distinguish it from pre-Islamic poetry in general. Psychological and social inclinations of *Sa'aleek* are one of their artistic creativity resources.

الفصل الأول

أساسيات البحث

المقدمة

الحمد لله الرحمن خالق الإنسان معلمه البيان ، والصلاة والسلام على الذي أُنزل عليه القرآن بلغة العرب وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد كانت العرب تجل أدبها بصفة عامة ، والشعر منه بصفة خاصة ، وكانت القبائل تعتز بما لها من نتاج أدبي ، وما قيل من روائع القول وفصيح البيان.

وقد كانت هناك فئة منبوذة من المجتمع الجاهلي ؛ وذلك نسبة لخروجها على نظام القبيلة ، وهي فئة الصعاليك ، وفي أذهان الناس للصعاليك صورة غامضة غير مشرقة، تكسوها ظلال قاتمة تحجب كثيراً من معالمها وخطوطها ، وتغشّيها دُكن تخفي وراءها كثيراً من النور والضياء ، وينقصها كثيرٌ من الأضواء الكاشفة تجلو غنها ظلالها القاتمة، وتبعد عنها سحبها الدُكن ، حتى يبين ما يحتجب خلفها من معالم وخطوط وأضواء ، وبناءً على هذا كان موضوع هذا البحث بعنوان: (شعر الصعاليك وتأثره بالبيئة).

وقد تناول الباحث في الفصل الأول حياة العرب : السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية، والدينية ، وكانت حياة الظعن والتجوال سجيتهم ، فلم تكن لديهم مدينة اجتماعية ولا حكومة سياسية ، ولا أنظمة عسكرية ، بل كان مجتمعهم يومذاك مجتمع القبيلة والخيمة ، فالقيادة كانت لرؤساء العشائر الذين يحكمون بالأعراف والتقاليد التي أرساها المجتمع ، وكانت الصحراء تغطي معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية ، ويُعنى بالصحراء ندرة المطر، واحتباسه ، والرحيل الدائم لسكانها بحثاً عن الحياة حيث يكون الكلأ والماء، وقد كان هناك صراع بين القبائل على مواقع السحاب ومناطق العشب.

وقد تناول الباحث في الفصل الثاني: (معنى الصعلكة ، ودوافعها الاجتماعية ، ودوافعها الاقتصادية) وقد تعرض الباحث في المبحث الأول إلى تعريف الصعلكة في اللغة، وتعريفها في الأدب.

وانتهت الدراسة إلى أن هناك دوافع عملت في نشأتها وتطورها : دوافع اجتماعية ، ودوافع اقتصادية.

إن حياة هؤلاء الصعاليك تتمثل في أخبارهم وأشعارهم ليستخلص الباحث منها الجوانب المختلفة لظاهرة الصعلكة ، ثم شعرهم من حيث نتاجهم الفني المعبر عن آرائهم وأفكارهم ليستخلص الباحث منه هذه الآراء والأفكار ، وليسجل في ضوئه الظواهر الفنية التي تميز فنهم ، وقد انقسم البحث إلى ثلاثة أقسام أساسية: حياة العرب في الجاهلية، دراسة ظاهرة الصعلكة ، ودراسة شعر الصعاليك، وقد سبق الحديث عن حياة العرب ، وظاهرة الصعلكة.

ثم تناول الباحث بعض الشعراء المشهورين ، وكانوا شخصيات مميزة فنياً واجتماعياً وهم: زعيم الصعاليك عروة بن الورد ، و تأبط شراً ، و أبوخراش الهذلي ، والشنفرى، والسُّليك.

ومصادر شعر الصعاليك ، وهي مصادر متعددة ، وكأنما كُتب على هؤلاء الصعاليك الذين لم يجدوا من مجتمعهم عناية أو اهتماماً في حياتهم أن تظل تلاحقهم عدم العناية طوال القرون المتعاقبة بعدهم، وكأنما كُتب على هؤلاء المشردين في آفاق الأرض أن يظلوا مشردين في أعماق الكتب والأسفار، وبعض المصادر الأخرى قد سقطت في يد الزمان.

وموضوعات شعر الصعاليك ، وقد توصل إلى أن شعر الصعاليك تركز في الموضوعات التالية: أحاديث المغامرات ، شعر المراقب ، وصف الأسلحة ، التهديد والوعيد، الحديث عن الرفاق ، سرعة العدو ، وأحاديث التشرد ، وأحاديث الفرار.

ومن خلال دراسة الظواهر الفنية في شعر الصعاليك من حيث طبيعة العمل الفني وخصائصه وقد توصلت الدراسة إلى الظواهر التالية: شعرهم عبارة عن مقطوعات قصيرة ،

ووحدة الموضوع ، والتخلص من المقدمات الطلية ، وعدم الحرص على التصريع ، والتحلل من الشخصية القبلية ، والقصصية ، والواقعية، والسرعة الفنية.

وأثر البيئة في شعر الصعاليك ، ولا شك أن للبيئة أثراً واضحاً جلياً في حياة الصعاليك ، وشعرهم ، وصراع الإنسان الصعلوك ضد القوى المحيطة به والتي تفرض عليهم شتى ضروب القهر ، وإنما نتيجة حتمية لإحساسه بقدرته على رفض هذا القهر الذي ينقله من القوة إلى الضعف ؛ مما يجعل الصعلوك مضطراً لإنكار عبودية المكان والزمان والمجتمع بما فيه من بشر وقيم.

والباحث لم يصل إلى أشياء كثيرة ، وأنه ما زال في بداية الطريق الطويل يتحسس خطواته تحت أضواء النجوم الخافتة ، وأن شوطاً بعيداً ما يزال ينتظر الباحثين حتى مطلع الفجر لدراسة كاملة.

مشكلة البحث :

تتلخص مشكلة هذا البحث في الأسئلة التالية :

1 من الصعاليك ؟
2 ما دواعي ظاهرة الصعلكة ؟
3 ما صفات الصعاليك ؟
4 ما مفهوم البيئة ، وما مدى أثرها على شعر الصعاليك ؟
5 ما قضايا الصراع بين الصعاليك والمجتمع القبلي ؟
6 -ما أثر كل ذلك في شعرهم؟

أهمية البحث :

تعد دراسة الشعر الذي سبق ظهور الإسلام بمائة وخمسين عاماً على أبعد تقدير من أهم الدراسات الأدبية التي ينبغي لدارس الأدب أن يعتني بها ويغترف منها ؛ وذلك لعدة أسباب أهم :

1 إن الشعر الجاهلي هو أقدم ما وصلنا من فنون الشعر العربي قاطبة ؛ وذلك لأنه الأصل.
2 -كان الشعر قديماً ديوان العرب صور حياتهم ، ورسم مواقعهم ، وفخر بمآثرهم.
3 -نزل القرآن موافقاً للغة العرب في الجاهلية ، فإذا أردنا أن نفهم القرآن فهماً دقيقاً وجب علينا أن نعرف لغة القوم في الجاهلية ، وما أحاط بحياتهم من ظروف ولن يمنحنا ذلك أفضل من الشعر .

أهداف البحث :

يسعى الباحث إلى عدة أهداف ابرزها:

1 التعرف على الفئة الخارجة على نظام القبيلة (الصعاليك) .
2 بيان أسباب ظاهرة الصعلكة .
3 توضيح مميزات الصعاليك .
4 -إظهار قيم الصعاليك .
5 دراسة الحياة الاجتماعية التي أحاطت بشعر الصعاليك.
6 -التعرف على البيئة الجاهلية التي عاشها الصعاليك .
7 الوقوف على أثر البيئة في شعر الصعاليك .

منهج البحث :

يتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

حدود البحث:

هذا البحث عن شعر الصعاليك ولا يتعداهم إلى غيرهم من شعراء الجاهلية .

هيكل البحث:

1 الفصل الأول:

أساسيات البحث (المقدمة) .

2 الفصل الثاني :

الإطار النظري والدراسات السابقة :

أ -**الإطار النظري**

1. مفهوم الأدب .
2. مفهوم البيئة.
3. مفهوم الجاهلية.

ب _ الدراسات السابقة.

المبحث الثاني : حياة العرب في المجتمع الجاهلي.

الحياة الاجتماعية .

الحياة السياسية .

الحياة الاقتصادية .

الحياة الدينية .

الفصل الثالث: معنى الصعلكة ودوافعها.

المبحث الأول : معنى لفظ صعلكة في اللغة والأدب والمجتمع .

المبحث الثاني : الدوافع الاجتماعية لظاهرة الصعلكة .

المبحث الثالث : الدوافع الاقتصادية لظاهرة الصعلكة .

الفصل الرابع : الشعراء الصعاليك وشعرهم .

المبحث الأول : الشعراء الصعاليك.

المبحث الثاني : مصادر شعر الصعاليك .

المبحث الثالث : موضوعات شعر الصعاليك .

المبحث الرابع : أثر البيئة في شعر الصعاليك .

المبحث الخامس : الظواهر الفنية لشعر الصعاليك .

الفصل الخامس : الخاتمة والنتائج والتوصيات .

الفصل الثاني : الإطار النظري والدراسات السابقة

مصطلحات البحث:

كلمة أدب:

كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة والحضارة . فلم تكن الكلمة تجري على ألسنة الشعراء ، ففي العصر الجاهلي ورد لفظ آداب بمعنى الداعي إلى الطعام ، فقد جاء في لسان طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومن ذلك المأدوبة بمعنى الطعام الذي يدعى إليه الناس ، واشتقوا من هذا المعنى أدب يأدب بمعنى صنع مأدوبة أو دعا إليها.

ثم انتقلت من معنى حسي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة الى المحامد والمكارم ، ثم معنى تعليمي وتهذيبي ففي العصر الأموي طائفة من المعلمين تُسمى بالمؤدبين ، فكانوا يلقّنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام ، وقد اخذت الكلمة معاني متعددة على مر العصور حتى احذت معنى اليوم ، الأدب: هو الكلام البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف ونفوس القراء والسامعين سواء كان شعراً أو نثراً.

وبعبارة أخرى كلمة أدب أخذت تدل في العصر الحديث على معنيين : الأول عام يشمل كل ما يُكتب في اللغة من العلوم والآداب ، والثاني خاص: وهو الكلام المعبر عن معنى ، والمتصف بالجمال والتأثير ، ويشمل الشعر وفنون النثر الأدبية ، مثل: الخطابة ، والأمثال ، والقصص ، والروايات ، والمسرحيات ، والمقامات.

كلمة جاهلية:

فإن مادة جهل تعني الجهل الذي هو ضد العلم ، وقد جهل فلان جهلاً وجهلة وتجاهل: أي أرى من نفسه ذلك وليس به واستجهله : عده جاهلاً واستخفه أيضاً.

فإن جاهلية ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه ، إنما مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل وما يطوى فيها من سلوك خلقي.

وقد تنصرف إلى معنى الجهل الذي هو مقابل الحلم وليس ضد العلم إلا أن العصر الجاهلي عرف كثيراً من الناس عرفوا بالحلم والتسامح، وجاء في معلقة عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ** فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي لا يتسافه أحد علينا ، وقد يتضمن البيت معنى الظلم والطيش ، وقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بهذا المعنى ، معنى الحميّة والطيش والغضب ، ففي سورة البقرة قال تعالى: (قالوا اتتخذنا هزواً قال أعوز بالله أن أكون من الجاهلين)

وفي سورة الأعراف : (خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين).

وفي الحديث الشريف : أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – قال لأبي ذر ، وقد عير رجلاً بأمه : (إنك امرؤ فيك جاهلية) أي فيك روح الجاهلية ، وطيشها ، تغضب فلا تحلم.

وبناءً على ذلك فإن الجاهلية كانت تعني الجهل تجاوز الحق وعدم معرفته ، وتعني أيضاً الحمية حمية الجاهلية بما فيها من ثأر ، وطيش، وحمق، وسفه، وكبر، وأصبحت تطلق على

العصر السابق للإسلام مباشرة ، وكل ما فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية واقتراف ما حرم الدين الحنيف من موبقات.

كلمة بيئة:

الأصل اللغوي لكلمة بيئة هو الجذر(ب و أ) قال ابن منظور في لسان العرب : بوأ: باء إلى الشيء يبوء بوءا : رجع، وتبوأت منزلاً أي نزلته، قال تعالى في سورة الحشر: (والذين تبوّوا الدّار والإيمان) جعل الإيمان محلاً لهم لحسن بيئته.

وقد تم استعمال كلمة البيئة بمعنى الحال الراهن للمكان المحيط بالإنسان ، والمقصود بذلك المكان أو الحيز المحيط بالإنسان.

وفي الاصلاح العلمي البيئة : هي كل ما يحيط بالإنسان من أشياء ، ويشمل الأرض كلها، مساكنها ، شوارعها ، أنهارها ، آبارها ، صحاريها، الإنسان ، والحيوان، والنبات، كما تشمل كل ما يتناوله الإنسان من طعام وشراب ، وما يلبسه.

فللبيئة مفهومان يكمل بعضهم البعض ، أولهما البيئة الحيوية : وهي كل ما يختص بالإنسان بحياته و بعلاقته مع المخلوقات الحية ، الحيوانية والنباتية التي تعيش معه.

أما ثانيهما فهي البيئة الطبيعية ، وتشمل موارد المياة ، والمساكن ، والجو وتلوثه، والطقس وغير ذلك.

فالبيئة بمفهومها الواسع فهي تشمل عدة أبعاد : جغرافية ، اجتماعية ، سيسية، تاريخية ، اقتصادية ، ثقافية ، وكل بُعد من هذه الأبعاد يتفاعل مع الأبعاد الأخرى ، ويلعب دوراً حيوياً في توازن هذا الكل ، وهذا هو المفهوم المقصود البيئة جميع العناصر التي تحيط بالإنسان وتتفاعل معه من خلال قيامه بنشاطاته الحيوية المختلفة.

الدراسات السابقة :

1 دراسة هانم خليل الفكي إدريس : بعنوان : القيم الاجتماعية في الشعر الجاهلي ، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة السودان ، كليات اللغات ، غير منشورة، السودان 2010م.

ومن أهم أهداف هذه الدراسة ، التعرف على البيئة الجاهلية التي عاشها العرب في الجزيرة العربية ، توضيح أهمَّ القيم الاجتماعية التي سادت عند العرب وخروج بعض الشعراء عنها ، ومن أهميتها أيضاً دراسة القيم الاجتماعية التي ضمنت استمرار الشعر الجاهلي ، وكشف البحث عن قضايا الصراع الاجتماعي من خلال تصوير الزمان والمكان .

وكان من أهم فروضها ، الشعر الجاهلي حافظ على القيم الاجتماعية التي سادت في تلك الفترة ، وكان للشاعر أثر واضح ؛ لأن الشعر يعكس الحياة ، بكل ما فيها سواء كانت الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية، علاقة الشاعر وطيدة بقبيلته وهناك من يشذ ويتمرد.

ومن أهم توصياتها الوقوف على التراث العربي وتنقيته من الشوائب والسلبيات التي لا تدعم نمو وتطور المجتمع العربي الحديث ، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي الذي يعتمد على التحليل .

أما صلة هذه الدراسة بدراسة الدارس هذه : فهذه الدراسة لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة الحالية حيث تناولت حياة العرب في الجاهلية وقيمها ، وأشارت إلى الفرقة الخارجة على النظام القبلي ، وبناءً على ذلك اسهمت في إضافة الكثير من المعلومات وتسليط الضوء على عوامل ذات صلة بالبيئة والحياة والشاعر والصراع الاجتماعي ، والقانون القبلي الظالم ، وكلتا الدراستين اتبعت المنهج الوصفي .

2 -دراسة تاج السر خلف الله الماحي : بعنوان : الشعراء الصعاليك في الجاهلية والهمباته في السودان، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير في آداب اللغة العربية، بجامعة النيلين ، السودان ، 2003م.

ومن أهم أهداف هذه الدراسة المقارنة بين الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي والهمباته في السودان ؛ ومعرفة الدوافع والأسباب لوجود الظاهرتين ، والموازنة بين الصعلوك والهمباتي في العادات والتقاليد والسلوك ، ومن أهم الفروض لهذه الدراسة : هل الهمبته بالسودان في العصر الحديث ، سليلة الصعلكة بجزيرة العرب في العهد الجاهلي؟ أم هي ظاهرة موجودة في جميع انحاء العالم تختلف باختلاف الزمن الذي كانت فيه ، والدوافع والأسباب التي أدّت إليها وتتشكل بحضارته وموروثاته ، وقد تناولت هذه الدراسة موضوع الصعلكة بشكل ثانوي من ضمن مواضيع رئيسة أكبر وهو التركيز على الهمبته ومقارنتها بالصعلكة ، وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي .

أما صلة هذه الدراسة بدراسة الدارس هذه : فهذه الدراسة من الدراسات التي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة الحالية ، واسهمت في إضافة المزيد من المعلومات لدى الباحث وتسليط الضوء على عوامل ذات صلة بظاهرة الصعلكة.

الفصل الثالث: حيـــاة العرب

الحيـــــاة الاجتماعية.

الحيـــــاة السيـاسية .

الحيـــــاة الاقتصادية .

الحيـــــاة الدينـــية .

الحياة الاجتماعية

يمثل عصر ماقبل الإسلام مرحلة مهمة في الأدب العربي ، وكان أكثر ما عُرف عن هذا العصر مصدر الشعر الجاهلي ، وماورد فيه من حديث عن الحياة الجاهلية ، عن الحروب والأحلاف ، وأعلام الجاهلية من السادة ، والحكماء ، والشعراء والكهنة والمعتقدات.

وكانت الحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية تمثل وحدة القبيلة عنصراً أساساً ، وقد رأى البروفيسر حسني عبدالجليل يوسف في كتابه (الأدب الجاهلي) : (وكان المجتمع الجاهلي مجتمعاً قبلياً ، وكانت كل قبيلة تمثل وحدة اجتماعية لها أعرافها ، وتقاليدها ، واقتصادها ، وجيشها وشعراؤها. ويقوم على خدمة السادة العبيد المجلوبون من الحبشة وغيرها)[1].

إنّ الصحراء التي فرضت على العرب الترحّل فرضت عليهم العيش في المجتمع القبلي، ثم فرضت على أدبهم سمات هذا المجتمع ، فقد قسما القبيلة دكتور غازي طليمات، وأستاذ عرفات الأشقر مجتمع القبيلة إلى ثلاث طبقات:

1- طبقة الأحرار: التي تشكل من السادة الأشراف ، وعملهم القتال لحماية الحِمَى[2].

وهم أبناء القبيلة الخلص الذين ينتمون إليها بالدم ، وهم عماد القبيلة وقوامها وعليهم واجب حمايتها والدفاع عنها والعصبية لها[3].

2- طبقة العبيد: الذين جمعهم الأسر والاسترقاق بالشراء والاختطاف ، وعملهم الرعي والسقي ، والاحتلاب والاحتطاب وخدمة الأمراء.

3- طبقة الموالي : التي كانت تلوذ بالقبيلة القوية مستجيرة بها ، ومنزلتها بين بين، فهي دون الأحرار ، وفق العبيد شرفاً وعملاً[4].

وأيضاً يكون الموالي من الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم ، فيستجير أحدهم بقبيلة أخرى فتجيره ، ويكون كأحد أبنائها له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك ، كالشنفرى وتأبط شراً وغيرهم.

---

(1) .حسني عبدالجليل يوسف: (الأدب الجاهلي ، قضايا ، وفنون ، ونصوص) الطبعة الأولي 2007م، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ص7.
(2) . غازي طليمات ، وأ. عرفان الأشقر : (الأدب الجاهلي ، قضاياه أغراضه ، أعلامة ، فنونه) ط2، 2007م ، دار الفكر دمشق ، ص40.
(3) . يحي الجبوري: (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، فنونه) ط9 ، مؤسسة الرسالة 2001م، ص 59.
(4) - غازي طليمات، وأ. عرفات الأشقر : (مرجع سابق) ص 40.

على أن الخلع لم يكن هيناً ميسوراً ، وما كان يحدث إلا في حالات نادرة محدودة ، فالفرد عزيز على قبيلته وهو حريص عليها حرصه على حياته.

ومن الموالي أيضاً المعتقون ، فهم حماية القبيلة وتكون العلاقة بين المعتق والعتيق ولاء، فلا ينسى العتيق فضل سيده وحسن صنعه[1].

ورأس هذه الطبقات الثلاث رئيس القبيلة القائم بأُمورها المتولي سياستها ، فالسيد في القبيلة إنما هو الشخص الألمعي الذي حنكته التجارب ، وغالباً مايرث سيادته عن آبائه ، حتي يتم له الحسب الرفيع ، وليس له أي حقوق سوى توقيره. أما واجباته فكثيرة، فلابد فيه من الشجاعة والكرم والنجدة وحفظ الجوار ، وإعانة المعوز والضعيف والفصاحة ، والحصافة ، ولابد أن يتحمل أكبر قسط من جرائر القبيلة ، وما تدفعه من ديات ، ولا بد أن يكون حليماً متسامحاً[2]، وفي ذلك يقول معاوية سيد بني كلاب :

إنَّي امرؤ من عُصبة مشهورة * حُشُدٍ لهم مجد أشمّ تليد[3]

ألفوا أباهم سيداً وأعانهم * كرم وأعمامٌ لهم وجدود

إذ كل حيٍّ نابت بأرومةٍ * نبت العِضاة فماجدٌ وكسيدُ[4]

نعطي العشيرة حقّها ثقلها * قمنا به وإذا تعود نعود[5]

وإذا توافق جرأة أو نجدة * كنا، سُمىّ، بها العدوَّ نكيد[6]

بل لا نقول إذا تبوّأ جيرةٌ * إن المحلّة شِعبها مكدود[7]

---

(1) - يحي الجبوري : (مرجع سابق،) ص 59-60.
(2) - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ط 17 ، 2011، دار المعارف، ص 60.
(3) الحشد: الذين يحتشدون ويتجمعون للملمات . والتليد: القديم .
(4) الأرومة:الأصل، العضاه: شجر ضخم من أشجار البادية ، الماجد : ذو المجد ، والكسيد: الدون.
(5) الثقل : الغرم والدية
(6) سمى: مرخم سمية، وحذف ياء النداء.
(7) الشعب: ما انفرج بين جبلين. مكدود: في ضيق وشدة. يقول إنه لايعتذر لأضيافه بما يلم به من شدائد.

وكان أفراد القبيلة جميعاً يضعون أنفسهم في خدمتها وخدمة حقوقها ، وعلى رأسها حق الأخذ بالثأر ممن سولت له نفسه من القبائل الأخرى أن يعتدى على أحد أبنائها فكل فرد فيها يضحي لها بنفسه كما يضحي لها بمّاله ، فهي حياته وكيانه، وهو اعتزازه بفرديته وشخصيته وحريته يعيش لها وداخل إطارها مدفوعاً في ذلك بعصبية شديدة ؛ وهي رابطة دم واحد ونسب واحد ، فإنه لا يتسامح في أي واجب من واجباتها وفي ذلك يقول دريد بن الصِّمَّة:

وما أنا إلا من غزيّة إن غوت * غويتُ وإن ترشد غزية أرشدِ

فغيه ورشده مرتبطان بعشيرته غزيّة ، فإن ضلت ضل معها وأمعن في ضلاله ، وإن اهتدت اهتدى معها وأمعن في هداه[1] ولعل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى لكأنه أصبح سُنّة من سننهم ، فهم دائماً قاتلون مقتولون ، لا يفرغون من دم إلا إلى دم آخر ، ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر ، فهو شريعتهم المقدسة ، وهي شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية ، إذ كانوا يحرّمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتى يثأروا من غرمائهم.

ولم يكن لأي فرد من أفراد القبيلة حق في نقض هذه الشريعة ولا الوقوف ضدها، فما هي إلا أن يُقتل أحد منهم ، فإذا سيوف عشيرته مسلولة ، وتتبعها القبائل الأخرى في قبيلته، تؤازرها في الأخذ بالثأر، ويتعدد القتل وتتوارث القبائل الثأر حتى يتدخل من يصلح بينهم[2] فهم لا يرضون بالدية ويرونها ذلاً ما بعده ذل أن يستبدلوا بدم الإبل وألبانها ، فالدم لا يشفيهم منه إلا الدم ، وكأنما أصبح سفكه غريزة من غرائزهم ، فهم يطلبونه وهم يتعطشون إليه تعطشاً شديداً ، إذ يقول تأبط شراً:

قليل غِرار النوم أكبر همِّه * دم الثأر أو يلقى كميّا مسفّعاً

---

(1) - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ط 17 ، 2011م، دار المعارف ، ص 60- 61.
(2) - شوقي ضيف: (مرجع سابق) ، ص 62.

وأكثر حروبهم كان يجرها نزاع بين بعض الأفراد في قبيلتين مختلفين ، إما بسبب قتل أو بسبب إهانة ، أو بسبب اختلاف على حد من الحدود ، وحينئذ تشتبك عشيرتا هؤلاء الأفراد ، وتنضم إلى كل عشيرة عشائر قبيلتها ، وقد تنضم أحلافها ، فتنتشر نيران الحرب بين قبائل كثيرة ، إذ يقول الشاعر :

الشيئ يبدؤه في الأصل أصغره * وليس يصلى بكل الحرب جانبها

والحرب يحلق فيها الكارهون كما * تدنو الصِّحاح إلى الجربى فتُعديها

فهي تبدأ صغيرة ضعيفة ، ثم تقوى وتستحكم وتعظم بمرور الزمن ، فتصبح لها عدوى كعدوى الجِرب ، لا يلفت منها راغب فيها ولّا كاره ، فالجميع يصطلون بنارها ، بل يترامون فيها ترامي الفراش ، فهي أمنيتهم ومبتغاهم فيقول زهير :

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثيهم * طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

فإن يقتلوا فيشتفى بدمائهم * وكانوا قديماً من مناياهم القتل

لم يكونوا العرب في الجاهلية يرهبون شيئاً مثل : الموت حتف الأنف بعيداً عن ميادين القتال ، ميادين الشرف والبطولة ، حيث يموتون طعناً بالسيوف والرماح ، وحيث تتناثر أشلاؤهم وتأكلها السباع ، يقول الشنفرى :

ولاتقبروني إنّ قبري محرّم * عليكم ولكن أبشري أمّ عامر [1]

فهو يتمنى أن لا يقبر، وأن يترك بالعراء في ساحة الحرب تنوشه السباع ، ويبشر أمّ عامر وهي الضبع بجسده ، حتى يخلد في سجل قتلى الجاهلية المجيد.

ومع ذلك فإنّ العرب لم يعدموا من كان يدعو إلى السلم ، ويحس على حقن الدماء وتحمل الديات كما فعل هرم بن سنان ، والحارث بن عوف حين أصلحا بين عبس وذبيان وتحملا ديات القتلى ، وكما صنع زهير بن أبي سلمى حين ندد بالحرب وكرهها إلى الناس

[1] - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ط 17 ،2011م ، دار المعارف ، ص 63- 64 بتصرف.

وحبب إليهم السلم والمودة والصفح والتسامح ، وقد خصص جزءاً غير يسير من معلقته لذلك، وكما فعلت بهيسة بنت أوس الطائي حينما تزوجها الحارث بن عوف، ورفضت أن يقربها حتى يصلح بين عبس وذبيان ، واحتمل الديات مع ابن سنان[1].

أيام العرب:

يقصد بأيام العرب الحروب والمناوشات التي وقعت بين بعض القبائل العربية، وسميت بذلك الاسم ؛ لأنها كانت تستغرق – المعركة – يوماً واحداً ، أو بتعبير أدق نهاراً واحداً ، ومن أيام العرب أو حروبهم المشهورة : حرب البسوس ، وحرب داحس والغبراء .

1 – حرب البسوس:

تلك الحرب دارت بين قبيلتي بكر وتغلب في الجاهلية ، وأنهما كانتا من سلالة رجل واحد هو وائل ، ولذا أطلق عليهما (أبناء وائل) ، وكانا يقيمان في دار واحدة ، ينتجعان معاً مواطن الكلأ ، ومواقع السحاب.

كما ذهبت المصادر إلى أن قبائل معد اجتمعت على كليب ،.فحققت به الانتصار على قبائل اليمن ، فقد أطاعوه وأكبروه ، وكان من بينهم قبيلة بكر التي أقامت مع تغلب في دار واحدة ، وأنّ كليباً دخله زهو شديد فبغى عليهم وسامهم الخسف والهوان[2].

ولم يكن ضرب كليب لضرع ناقة البسوس إلا نقطة بلغ عندها السيل الزبى، فقد شعرت بكر أنّ الرجل لا يريد أن ينتهي عند حد ، وأن رجال بكر ليسوا أوتاداً تشج رؤوسهم فلا يزدادون إلا انحناء وذلاً ، وكان جساس بن مرة هو الفتى الذي توالد عنده هذا الشعور وتحدد ، فقتل كليباً ، وانطلقت الشرارة التي اشعلت نيران حرب طاحنة بين بكر وتغلب ، تلك الحرب التي دارت رحاها بين القبيلتين أربعين سنه[3].

---

(1)- يحي الجبوري: (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، فنونه) ط9 ، 2001م ، مؤسسة الرسالة ، بتصرف.
(2) - عبدالعزيز نبوي: (دراسات في الأدب الجاهلي) ط الثانية 1988م الصدر لخدمات الطباعة (سيسكو) ، ص 49.
(3) - عبدالعزيز نبوي: (مرجع سابق) ص 51.

أما البسوس صاحبة الناقة فهي خالة جساس بن مرة ؛ لذلك ثار جساس لكرامته.

فتلك الحرب التي دارت بين القبيلتين ، كثرت أيامها مثل : يوم عُسَيْرة ، ويوم واردات وكان لتغلب ، ويوم التحاق اللمم وفيه انتصر بكر، ولما أنهكت الحرب الفريقين لجآ إلى الحارث بن عمرو الكندي – ملك كندة– فأصلح بينهما.

2- حرب داحس والغبراء:

وكان السبب في نشوبها سباقاً على رهان بين فرسين داحس والغبراء قد أجراهما سيدا عبس و ذبيان : قيس بن زهير وحذيفة بن بدر، وأوشك داحس أن يفوز، غير أن رجلاً من ذبيان كان قد كمن له: فاعترضه ونفّره ، فعدل عن الطريق ؛ وبذلك سبقته الغبراء. وأبى قيس أن يعترف بهذا السبق وطلب الرهان المضروب ، وحدث صدام بين الفريقين لم تلبث الحرب أن اندلعت على إثره ، وظلت سنوات طويلة حتى تدخل سيدان هما هرم بن سنان والحارث بن عوف فتحملا ديات القتلى ، وبذلك وضعت الحرب أوزارها[1] .

ولم تكن حياة العرب في الجاهلية حياة حرب وشن الإغارات فقد كان هنالك جانب مضيء ، وكان العرب يحرصون على المثل العالية والخصال النبيلة ، ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها ، ومن تلك الخصال: حفظ الجوار والوفاء بالعهد ، فهم يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم ، سئل أعرابي عن مبلغ حفاظ قومه فقال:(يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه)[2].

ويمتدح قيس بن عاصم قومه فيقول:

لا يفطنون لعيب جارهم ** وهم لحظ جواره فطن

وقد فطنوا لخصال الخير فذكروها في فخر بها ، معتزين بنسبتها إليهم ، كالنجدة وحماية الضعيف ، والعفو عند المقدرة والحلم والتسامح ، وكانوا مع ذلك يأبون الضيم

---

[1] - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 66.

[2] – ابن عبد ربه : (العقد الفريد) ط1 ، 1404هـ ،1983م ،ج1، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان،ص 124.

ويأنفون من الذل والهوان ، ولو ركبوا في سبيل ذلك المخاطر.وقد علمتهم بيئتهم القاسية الصبر، والجلد ، واحتمال المصائب ، ومضاء العزائم[1].

ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم ، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب وإمحال ؛ فكان الغني بينهم يفضل على الفقير ، وكثيراً ماكان يذبح إبله في سنين القحط ، يطعمها عشيرته ، كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليه ، ومن سننهم أنهم كانوا يوقدون النار ليلاً على الكثبان والجبال، ليهتدي إليهم التائهون والضالون في الفيافي ، فإذا وفدوا عليهم أمنَّوهم حتى لو كانوا من عدوهم ، ويدور في شعرهم الفخر بهذه النيران وإن كلابهم لا تنبح ضيوفهم لما تعودت من كثرة الغادين والرائحين يقول عوف بن الأحوص: [2]

ومستنبح يخشى القواء ودونه * من الليل بابا ظلمة وستورها

رفعتُ له ناري فلما اهتدى بها * زجرت كلابي أن يهرّ عقورها

فلا تسأليني وأسالى عن خليقتي * إذا ردّ عافي القدر من يستعيرها

ترى أن قدري لاتزال كأنها * لذي الفروة المقرور أمّ يزورها

مبرزة لايجعل السِّتر دونها * إذا أُخمد النيران لاح بشيرها

إذا الشّول راحت ثم لم تفدِ لحمها * بألبانها ذاق السِّنان عقيرها

وكانوا لا يقدرون شيئاً كما يقدرون الوفاء ، فإذا وعد أحدهم وعداً أوفى به وأوفت معه قبيلته بما وعد ، ومن ثم أشادوا بحماية الجار لأنه استجار بهم وأعطوه عهداً أن ينصروه، وجعلهم ذلك يعظمون الأحلاف فلا ينقضونها مهما قاسوا بسببها من حروب[3].

---

[1] - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص67- 68.
[2] - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 68.
[3] - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 69.

وتلك الخصال كانت خصال خير وشرف ، ومع ذلك هناك آفات تشيع في هذا المجتمع الجاهلي ، ولعل أهمها : الخمر ، والميسر، واستباحة النساء .

كانت الخمر عندهم من أهم متع الحياة ، وقل أن تجد شاعراً في الجاهلية لا يذكر الخمر فهي مظهر من مظاهر الفتوة والشباب والقوة[1] وأكثر من كان يتجر بها اليهود والنصارى ، كانوا يجلبونها لهم من بصرى وبلاد الشام، ومن الحيرة وبلاد العراق ، ويقال إنهم كانوا يضربون خيامهم في بعض الأحياء أو في بعض القرى ويضعون فوقها راية تعلن عنهم ، فيأتيهم الشباب ليشربوا وليسمعوا بعض القيان ممن يصاحبنهم.[2]

أما الميسر فقد كانوا يرونه وسيلة من وسائل الإنفاق والكرم وإطعام الفقراء ، وأكثر ما يفخرون به عند البرد والقحط ؛ فقد كانوا يعطون الفقراء وذوي الحاجة نصيبهم من الجزور حين يربحون ، وكانوا يرون أن من كمال الفتوة والكرم أن يغامر المرء ، ويذمون من لايدخل معهم في الميسر ويسمونه (البرم) يريدون به البخيل عديم المروءة ، قال لبيد يمدح قومه بلعب القمار :

وبيض على النيران في كل شتوةٍ * سراة العشاء يزجرون المسابلا[3]

وكان فتيان الجاهلية يفخرون بأنهم يعاطون الخمر والميسر ، ويتمتعون بالنساء، وتكاد تكون هذه الأُمور من مظاهر الفتوة عند بعض شبابهم فيقول في ذلك طرفة:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودي[4]

فمنهن سبق العازلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزيد[5]

وكرى إذا نادي المضاف منحباً * كسيد الغضا نبّهته المتورّد[6]

---

(1) - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 68.
(2) - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 70.
(3) - سراة العشاء : وقت الضيق. المسابل: القداح.
(4) - العود: جمع عاند، من يحضر عند الوفاء والمرض ، الجد: الحظ.
(5) الكميت: الخمر : يقول إنه يباكر شرب الخمر قبل انتباه العواذل.
(6) المضاف: الخائف والمذعور ، المحنب: الفرس الذي في قوائمه أو ضلوعه إنحناء قليل. السيد: الذئب ، والمتورد: الجرئ.

وتقصير يوم الدَّجن والدَّجن معجبٌ * ببهكنةٍ تحت الخباء المعمّد[1]

وأكبر دليل على شيوع هذه الآفات بينهم آيات كثيرة التي هاجمتها ، ووضعت لها عقاباً صارماً حتى يكف الناس عنها[2]، قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (91)[3].

أما المرأة ومكانتها في المجتمع الجاهلي ، فكان هناك نوعان من النساء : إماء وحُرّات، وكانت الإماء كثيرات ، وكن في منزلة دانية ، يخدمن الشريفات، ويرعين الإبل والأغنام ويضربن على المزهر وغيره قي حوانيت الخمارين ، وكان العرب إذا استولدوهن لم ينسبوا إلى أنفسهم أولادهن إلا إذا أظهروا بطولة تُشرفهم على نحو ماهو معروف عن عنترة بن شداد.[4]

أما الحّرة فقد نزلت من نفسهم منزلة رفيعة ، فهي الأم والأخت والبنت والحبيبة، وقد عنى الشعراء بها عناية كبيرة فهي مصدر إلهامهم ، بذكرها تنشط القرائح وتهيج العواطف وتعتز بها النفوس ، فهم يفتتحون القصائد بمخاطبتها ومناجاتها ، ويقفون على ديارها وقفة شوق وذكرى ، ويبثونها أشواقهم وأحاسيسهم.[5]

وكانوا يصحبونهن معهم في الحرب ، وكن يشددن من عزائمهم بما ينشدن من أناشيد حماسية ، حتى إذا قُتل فارس ندبنه ندباً حاراً حاضّات على الأخذ بثأره والانتقام من قتلته، وكن يغضبن غضباً شديداً إذا رضيت العشيرة بأخذ الدية ، حقناً للدماء وتقول أم عمرو بنت وقدان في أخٍ لها قُتل وقد فكرت عشيرتها في قبول ديته:

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم * فذروا السِّلاح ووحِّشوا بالأبرق

---

(1) - ا لدجن: الغيم ، والبهكنة: المراة الجميلة، والمعمد: المرفوع بالعماد.
(2)- يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 70.
(3) – سورة البقرة : الأية191.
(4) - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 72.
(5) – شوقي ضيف : (نفسه) ص 73.

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا * نقب النساء فبئس رهط المرهق[1]

فهم إن لم يثأروا لأخيها حقّ عليهم أن يلقوا السلاح ويمضوا على وجوههم إلى مكان بعيد بالأبرق ، فيتزينوا بزي النساء ، ويتعطروا ويتزينوا بزينتهن[2] .

ومهما يكن من شيئ فإن مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي دون مكانة الرجل ، فالعرب تحب الذكور ؛ لأنهم أبناء القبيلة ورجالها الحماة ، أما المرأة فلا تعنى في الحرب شيئاً بل تكون عبئاً على القبيلة ؛ لأنها مقصد الأعداء يريدونها سبية ، وسبي المرأة عندهم عار لايسكت عنه ، وليس أدل على بغضهم للإناث من قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ (57) وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساء ما يَحْكُمُونَ (59)[3]

وكان من يتخلص من الإناث بوأدهن ، وكانت هذه الظاهرة قليلة ومحصورة في قبائل من الأعراب الجفاة ، من مثل: أسد وتميم ولم تكن عامة في القبائل ، وكان من العرب ينكر هذه الفعلة ، ويبذل المال ليفتدي الموؤدات كما كان يفعل صعصعة ابن ناجية ، قال الفرزدق يفتخر بفعال جده:

ومنا الذي منع الوائدا * ت وأحياء الوئيد فلم توأد

وقد جاء الإسلام فأكرم المراة – آمة وحّرة – فدعا إلى العناية بها والعطف عليها فحرم أن تعضل أو تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها ، كما حرّم أنواعاً شائنةً من الزواج ، كان عند الجاهليين ، منها نكاح المقت[4]، ونكاح الشغار[5]، والجمع بين الاختين وإن كانوا يكرهونه وينهى بعضهم عنه كما نهى الإسلام عن ذلك .

---

(1) - ا لمجاسد: جمع مجسد وهو الثوب المشبع صبغة، والنقب: جمع نقبة ، وهي إزار المرأة.
(2) - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 73.
(3) - سورة النحل: الأيات 58 – 59.
(4) - المقت : أن يخلف على المرأة الابن الأكبر لزوجها ، وكانوا يكرهونه ويسمون الولد منه (مقتي)
(5) - الشغار : أن ينكح الرجل وليته رجلاً، وينكح ولية ذلك الرجل بلا مهر

وخلاصة القول فقد كانت مكانة المرأة كريمة ، والمرأة نفسها عُرفت بالعفة والأدب والحرص على شرفها وكرامتها ، وهذا أمر طبيعي في مثل هذا المجتمع، إذ كان العربي يحرص على عرضه حرصه على الحياة.[1]

[1] - يحي الجبوري ، مرجع سابق، ص 73- 75 بتصرف.

الحياة السياسية

القرن السادس هو الزمن الذي مرت به أحداث العصر الجاهلي ، وإن لم تقف عنده أو تبدأ به ، وبادية نجد هي مسرح الأحداث التي تدور حولها سياسة العصر وتتأثر بها كثرة القبائل التي سكنت هذه المنطقة ، وإن كان أثر الأحداث يتجاوز هذه البقعة ويمتد منها إلى الجوانب المحيطة بهذا الإقليم ، حيث الحجاز، وبلاد الشام ، والعراق والبحرين ، واليمن[1].

وقد كانت حياة الظعن والتجوال سجيتهم ، فلم تكن لديهم مدينة اجتماعية ، ولاحكومة سياسية ، ولا أنظمة عسكرية ، بل كان مجتمعهم يومذاك مجتمع القبيلة والخيمة وليس مجتمع الأمة أو الشعب ، فالقيادة كانت لرؤساء العشائر الذين يحكمون بالاعراف والتقاليد التي أرساها المجتمع الجاهلي كما كان ملكهم وراثياً ، ولم يكن هناك ملوك متوجون إلا في الحيرة والشام بيد أنهم لم يكونوا مستقلين.فالخميون في الحيرة يتبعون الأكاسرة ، والغسانسيون في الشام يتبعون القياصرة[2]

وبجانب هذا الحكم الملكي الذي كان يتبع القياصرة والأكاسرة ، النظام القبلي الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي ، فيقول في ذلك الدكتور يحي الجبوري : (لم يكن لهذه القبائل دولة تضمهم ، ولا نظام موحد يسودهم ، بل كانت كل قبيلة تكون وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة ..) وقد تجاوز فأعطى القبيلة نظام الدولة .

فرابطة القبيلة هي رابطة النسب ، والدم ، رابطة الأب الأكبر الذي ينتمون إليه باسمه وقد تكون القبيلة منسوبة إلى الأم – وهذا قليل جداً – مثل : مزينة ، وبجيلة ، وخندق.[3]

---

(1) - يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه) ط9 ،2001م ، مؤسسة الرسالة ، ص 38.
(2) - علي أحمد الخطيب :(الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين) ط1 ، 2003م ، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة ، ص 54.
(3) - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 43.

فالمجتمع الجاهلي كان نظامه السياسي ، يقوم أساساً على القبيلة التي يقوم بناؤها على العصبية ، سواء كانت عصبية قبيلة أو رحم ، ولما كانت عصبية الرحم تمثل عنصر القربى من الدرجة الأولى ، عصبية القبيلة تأتي من الأنتماء لجد واحد أو أب مشترك.[1]

وقد أوجد هذا النظام القبلي المحدد رابطة قوية بين الفرد والقبيلة ، فالفرد كان له حق الحماية ، ليس في الحياة فقط ، بل تتعدى الحياة على الموت ممثلة في الأخذ بالثأر.

أما القبيلة فلها على الفرد الخضوع لرأيها الجماعي ، فلا يجوز له الخروج على قرار تتخذه قراراً فردياً دون أن تجيز القبيلة له ذلك وإلا تعرض للطرد أو الخلع ، الذي ربما يأخذ في بعض الأحيان طابع الإعلان الرسمي في المواسم والأسواق[2]. وللقبيلة رئيس أو شيخ يتزعمها ، يكون عادة من ذوي السن ، والخبرة ، والحكمة والحلم ، وسداد الرأي وبعد النظر، والثروة والشجاعة ، والكرم ، وطلاقة اللسان بحيث يحوز رضا القبيلة وإعجابها ، وينال احترامها ، فالقبيلة ترضى لها رئيساً تتوافر فيه صفات الرجولة والبطولة ، والنجدة ، والكرم ، وعراقة الأصل ، وصفاء النسب ؛ وهذه الخصال هي التي تؤهله للقيادة والزعامة، ولم يكن من المستساغ في نظر العربي نظام الوراثة الذي عرف عند الملوك . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهود في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني احمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمنكب[3]

والرئيس هو الذي يقود القبيلة في حروبها ، ويقسم غنائمها ، ويستقبل وفود القبائل، ويقوم بواجب الضيافة ، ويعين المحتاج ، ويقبل العاثر ، ويفك أسرى قبيلته ، ويحتمل القسط الأكبر من جرائر القبيلة، وما تدفعه من ديات ، فكل عظيمة يعصبونها برأسه ، ومن

---

(1)- عبدالقادر عبدالحميد زيدان:(التمرد والغربة في الشعر الجاهلي) ط1، 2003 ا، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر،الاسكندرية ، ص47.

(2) - يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك) ط2 ، 1966م ، دار المعارف القاهرة ، ص 92.

(3)- يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 44.

ذلك قالوا : (سيد معمم) يريدون أن كل جناية جنيها أحد في العشيرة معصوبة برأسه، ولم يكن شيخ القبيلة مستبداً برأيه ، بل يستعين بشيوخ القبيلة وذوي الرأي والشرف فيها يستشيرهم إذا حزب الأمر.[1]

وكان أبناء القبيلة يؤمنون بوحدتها ويتعصبون لها ويتضامنون فيما بينهم إذا ما اقترف أحدهم أو ارتكب جناية ، كما يقول المثل العربي:(في الجزيرة تشترك العشيرة)[2] ويعملون بالمثل القائل :(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)[3]

وكان أفراد القبيلة يتمتعون في ظل النظام القبلي ، ولهم حقوق متساوية لايتميز بعضهم على بعض ، وفي مقابل هذا كان على الفرد في القبيلة أن يخضع لرأيها ولايخرج عليه، ولايكون سبباً في تفريق كلمتها ، وتشتيت وحدتها ، أو الإساءة إلى سمعتها فإنه إذا غلا في ذلك كثرت جرائره عرض نفسه للخلع، والخلع أشد عقوبة توجه للفرد في المجتمع البدوي ؛ ولذلك نجد أن أفراد القبيلة جميعاً يحرصون على سمعة القبيلة ومصالحها ، وصيانة حقوقها، وإن أحدهم ليضحي لها بماله ونفسه ، فهي حياته وكيانه ، وهو مع اعتزازه بفرديته وحريته، يجب أن يحقق تلك الحرية في نطاق القبيلة وعصبيته لها .

ومصلحة القبيلة هي وحدتها التي تحدد صلاحتها بالقبائل المجاورة لها ، سواء ربطتها بها رابطة النسب أم لم تربطها ، وربما أثرت القبيلة بدافع المصلحة أو الجوار أو الضعف محالفة قبيلة أخرى ، تنضم القبيلة الضعيفة عادة إلى قبيلة قوية ، تحميها وترد عنها العدوان، فكانت المحالفات تتم بمظاهر دينية ، ليشعر المتحالفون بخطر هذا التحالف ، فهم ينحرون هدياً ، ويغمسون أيديهم في دمه؛ ولذلك سميت اليمين المغلظة (غموساً) أو كانوا يغمسون أيديهم بطيب، وقد عرف ذلك حلف المطيبين الذي تعاقد فيه بنوعبد مناف، وبنو زهرة، وبنو تميم ، وبنو أسد ضد بني عبدالدار وأحلافهم، وأيضاً كان يوقدون ناراً – فعل المجوس – كما فعلت قبائل مرة بن عوف الذبيانيين حين تحالفت عند نار ودنوا منها

---

(1) – يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي خصائصة وفنونه) ط9 ، 2001م ،مؤسسة الرسالة ، ص 45.
(2) – السيوطي:(المزهر في علوم اللغة وأنواعها) ج1،ط1، 1998م، تحقيق: فؤاد علي منصور،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ص 486.
(3) - علي أحمد الخطيب (الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين) ص62.

حتى محشتهم فسمي حلفهم باسم (المحاش)[1] ، كانت القبائل تسعى إلى التحالفات طلباً للأمن ، ودفعاً للعدوان ، وإيثاراً للعافية ومع ذلك لم تستطع هذه المحالفات حقن الدماء التي كانت تسفك لأتفه الأسباب ، وحين تدخل القبيلة في حلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق ، فهم ينصرونها على أعدائها ، ويردون الكيد عنها ، للقبيلة الحق في أن تنفصل عن الحلف متى شاءت لتنضم إلى قبيلة أخرى ، وكانت بعض القبائل تجد في نفسها القوة والعزة فلاتدخل في حلف من الأحلاف ، وأولئك يعرفون بـ (جمرات العرب).

وحياة العرب السياسية كانت سلسلة حروب ومنازعات ، وأهم خصومات تقوم على مراعي السوام ، ومواقع المياة ، والغزو الذي كان وسيلة من وسائل العيش، والثأر الذي لايغسل عاره إلا الدم ، وبذلك كانت حياتهم أساسها الحرب والمغامرة، والاستعداد توقعاً للخطر ، فهم لابسو السلاح حاضرو العدة ، معتصمون بصهوات جيادهم ، استجابة لمعاني البطولة والقوة في نفوسهم ، وقد سميت حروبهم ووقائعهم أياماً ؛ لأنهم يقاتلون نهاراً ، ثم يعودن في اليوم التالي يفصلهم الليل عن الحرب.[2]

الإمارات العربية (الغساسنة - المناذرة – كندة):

حياة العرب السياسية في الجاهلية لم تكن مقتصرة على هذا الشكل القبلي العصبي الضعيف ، فقد أنشأ العرب في قلب الجزيزة وأطرافها دولاً وممالك – وفي هذه الفترة التي سبقت الإسلام – ثلاث إمارات: المناذرة في العراق ، والغساسنة في الشام ، وكندة في شمالي نجد عند دومة الجندل .

1 – إمارة الغساسنة:

ويظهر أن الرومان وحلفاءهم البيزنطيين اتخذوا من الغساسنة في الشام إمارة تحجز بينهم وبين البدو وغاراتهم في الشام وتساعدهم في حروبهم ضد الفرس ، ومن كان يؤيدهم من عرب المناذرة في العراق.

---

[1] - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 45.
[2] - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 45، 46، ، بتصرف.

والغساسنة يعودون إلى أصلي يمني ، فهم من عرب الجنوب الذين نزحوا إلى الشمال مع قبائل أخرى كثيرة أهمها: جذام ، وعاملة ، وكلب ، وقضاعة.

وقد أقاموا إماراتهم في شرق الأردن ، ولم يتخذوا لها حاضرة بعينها فتارة تكون حاضرتهم الجَوْلان أو الجابية ، وتارة تكون جَلولاء ، أو جلّق بالقرب من دمشق[1]وأشتهرت الجابية بجابية الملوك وكانت مقراً لملكوهم .

وتاريخ الغساسنة غامض على خلاف تاريخ المناذرة الذي كان محفوظاً في بيعة الحيرة، فقد قال ابن الكلبي : (أما تاريخ الغساسنة فقد كتب باليونانية ولم تكن صلة العرب باليونانين مثل صلتهم بالفرس وندر منهم من كان يتقن اليونانية ، ولهذا كثر الاضطراب في تاريخ الغساسنة عند مؤرخي المسلمين)[2].

وقد يكون في ذلك ما يدل على أنهم ظلوا بدواً يرحلون بخيامهم وإبلهم وأنعامهم من مكان إلى مكان في تلك الأنحاء[3] ، ولقد قامت دولة الغساسنة في أواخر القرن الخامس الميلادي (حوالي 492م) بعد أن يغلبوا على الضجاعمة ، وأصبحوا سادة تلك المنطقة التي حلوا فيها ، وقرّبهم الرومان منهم والبيزنطيون ومنحوهم القاباً رسمية من ألقابهم[4] وجعلوهم درعاً واقياً لهم ولحدودهم ضد غارات الفرس والمناذرة.

وأول مؤسس لدولتهم هو جفنة[5] بن عمرو مزيقاء لذلك يسمون آل جفنة ، وأول ملك من ملوكهم هو جبلة الذي غزا فلسطين سنه 497 م ، وخلفه ابنه الحارث (528– 569 م)ويسمي أحياناً الحارث بن أبي شمر[6]،وهو أشهر ملوكهم وأقواهم كما يرى يحي الجبوري،فيقول:(وأشهر ملوكهم وأقواهم الحارث بن جبلة (528– 569م) المعروف بالحارث

---

(1) - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص 40.
(2)- يحي الجبوري: (الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه) ط9، 2001م ، مؤسسة الرسالة ، ص 52.
(3) - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 40.
(4)- شوقي ضيف: (نفسه) ص 40.
(5)- يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 52.
(6) - شوقي ضيف: (مرجع سابق) ص 41- 42.

بن أبي شمر الذي عرفت حروبه ضد الفرس وضد المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة ، الذي قتله الحارث في يوم حليمة .

وقد كان ذلك على عهد الامبرطور (حستنيان) الذي أنعم على الحارث بالاكليل ، واعترف بسيادته المطلقة على جميع عرب الشام ، ومنحه لقب فيلارك ، أي شيخ القبائل، وبطريق ، وهو أعلى لقب بعد الامبراطور.[1]

وتعد أيام الحارث بن جلبة (أبي شمر) أزهى أيام مرت بالغساسنة ، إذ امتد سلطانهم من بطرا إلى الرصافة شمالي تدمر ، كما سار سيرته في حروبه مع المناذرة، فاشتبك مع قابوس ملك الحيرة منذ سنة 570 في سلسلةٍ معارك أهمها معركة (عين أباغ) وفيها انتصر عليه انتصاراً حاسماً تغنى به الشعراء طويلاً.

وكان آخر ملوك الغساسنة جبلة بن الأيهم الذي حارب المسلمين في صفوف الروم، ثم أسلم في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ثم أرتد إلى النصرانية ، فقال ابن خلدون : (ولما فتح المسلمون الشام وأسلم جبلة ، واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تطاولت النساء من خدورهن لرؤيته لكرم وفادته ، وأحسن عمر نزله وأحله أرفع رتب المهاجرين ، ثم قلب عليه الشقاء ولطم رجلاً من بني فزارة ، وطئ فضل إزاره وهو يسحبه في الأرض ونابذه إلى عمر في القصاص ، فأخذته العزة بالإثم فقال له عمر :(لابد أن أقيده منك) ، فهرب إلى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة 20هـ[2]

ويرى صاحب الأغاني ، على أن الأخبار تصور جبلة وهو نادم على ردته ، أسف على فعلته في عصيان عمر ، وتروى له هذه الأبيات ، فيقول :

تنصرت الأشراف من عار لطمةٍ * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنّفني فيها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

---

(1) - يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 53.

(2) - ابن خلدون : (تاريخ ابن خلدون) د.ط ، 2015م ، تحقيق عادل بن سعد ، دار الكتب العلمية بيروت، ج2 ، ص 112.

فياليت أمي لم تلدني وليتني * رجعت إلى القول الذي قاله عمر[1]

وفي سنة 584م تمزقت وحدة الغساسنة ، إذ تجزأت إمارتهم أجزاء ، ويلمع اسم الحارث الأصغر ، ويظهر أن جيوشه كانت تشتبك مع القبائل النجدية في حروب دامية ، وقد اسر في إحداها شاساً أخا علقمة بن عبده الشاعر التميمي المشهور ، فرحل إليه يمدحه رجاء أن يفك أخاه من أسره ، ويُرى يذكر في مديحه معاركه وماكان ينزل بأعدائه من خسائر ، فيقول :

كأنهم صابتْ عليهم سحابة * صواعقها لطيرهن دبيب

فلم تنج إلا شطبة بلجامها * وإلا طمرٌ كالقناة نجيب

وإلا كميٌ ذو حفاظ كأنّه * بما ابتلّ من حد الظبات خضيب

وأنت أزلت الخنزوانة عنهم * بضرب له فوق الشئون دبيب

وأنت الذي آثاره في عدوّه * من البؤس والنّعمى لهن ندوب[2]

وكان لابنيه النعمان وعمّرو جيوش قوية ، تجوب نجداً والصحراء الشمالية وتدين لها القبائل بالطاعة ، ويظهر أن جيوش عمرو اشتبكت في حروب مع بني أسد ، وبني فزارة، ووقع كثير من أسرى القبيلتين في يد عمرو ، فقصده النابغة الذبياني يمدحه متوسلاً إليه في فكاكهم ، فأكرمه ، كما أكرمه أخوه النعمان ودبّج فيهما مدائح كثيرة ، لعل اروعها قصيدته البائية التي يقول فيها :

إذا ماغزوا بالجيش حلّق فوقهم * عصائب طير تهتدي بعصائب

---

(1) - ابو الفرج الأصفهاني : (الاغاني) ج16، ص 15.

(2)- مصطفي السقا : (مختار الشعر الجاهلي) ط 1، 1998م ، مطبعة الحلبي ،ص 159.

صابت: امطرت ، الشطبة: الفرس الطويلة، الطِمر: الفرس المتحفزة للوثوب شبهها بالقناة في الضمور ، الكمي : الشجاع ، والظباة : حد السيف ، خضيب: مصبوغ بالدماء ، الخنزوانة : الحبر

شؤون الرأس: ملتقي عظامها ، ندوب: جروح

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب[1]

وعمرو هو ممدوح حسان بن ثابت ، وقد كان ينزل به وبغيره مَن أمراء الغساسنة وله فيه مطولة يقول فيها:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شمُّ الأنوف من الطّراز الأول

وفي أخبار الغساسنة المتأخرين مايدل على أنهم كانوا يصيبون حظوظاً من الترف والنعيم ، فقد وصف حسان بن ثابت مجلساً من مجالس جبلة بن الأيهم، فقال : (لقد رأيت عشر قيان : خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة... وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها، وكان إذا جلس للشراب فُريش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين، وضُرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب، وأتي بالمسك في صحاف الفضة، وأوقد له العود المندي إن كان شاتياً، وإن كان صائفاً بطنّ بالثلج وأتى هو وأصحابه بكساء صيفية، يتفضل هو وأصحابه بها في الصيف وفي الشتاء الفراء الفنك وما أشبهه...)[2]

2-إمارة المناذرة :

لقد كان حظ هذه الإمارة عظيماً من الترف والرخاء ، والحضارة ، وقوة السطلان، والمناذرة من قبيلة لخم اليمنية، فقد اتخذوا الحيرة مستقراً لهم وعاصمة[3]، وقد جاءوا العراق، ومعهم بعض قبائل عربية – عرفوا باسم تنوخ – في حوالي القرن الثالث الميلادي ، ونشأت إمارة المناذرة في كنف الدولة الساسانية ، التي رأت أن تستفيد من استقرار العرب على

---

(1)- مصطفي السقا،: (مختار الشمر الجاهلي) ط1 ، 1998م ، مطبعة الحلبي ، ص 159.

(2) - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص 43.

(3) - تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية على بعد ثلاثة أميال من المكان الذي بُنيت فيه الكوفة.

حدودهم الغربية؛ ليقوموا بحماية هذا الحدود ضد من يعتدي عليهم من الروم ، أو عرب البادية ، وكان ذلك في عهد سابور الأول (حوالي 241- 272)[1]

وربما كان جذيمة الأبرش أهم ملك أسطوري ظهر في هذه الأنحاء قبل اللخميين، ويقال إنه كان يعاصر الزباء ، وخلفه ابن أخته عمرو بن عدي اللخمي وهو رأس المناذرة. وتاريخهم أكثر وضوحاً من تاريخ الغساسنة ، وربما كان ذلك يرجع إلى أن ملوك الفرس دونوا تاريخهم ، فأخذه عنهم العرب.

أما لفظ الحيرة فيرى الدكتور شوقي أن له معنى مخالف لمعنى يحي الجبوري الذي يرى معني الحيرة: الحصن، فقال شوقي : (كان هؤلاء العرب العراقيون ينزلون في الخيام أولاً، ثم تحولوا إلى قرية في الجنوب الشرقي من النجف الحالية ، كانت تقع في منطقة خصبة يرويها نهر الفرات ، وهي الحيرة(تحريف لكلمة حرتا في السريانية ومعناها المخيم أو العسكر)[2].

ويقال إن سابور هو الذي نصب عمرو بن عدي، وتتابع من بعدة خلفاؤه من بيته، وكانوا يدينون بهذا الولاء للفرس وحدهم ، ومن أهمهم النعمان الأعور أو السائح ، وكان له جيش قوي يتألف من كتيبتين هما الشهباء والدوسر، واشتهر ببنائه قصري الخورنق والسّدير، ويُرى الملك السرياني الذي كان يعاصره هو يزدجرد الأول (399- 420م). يرسل إليه أكبر أبنائه إليه، لينشأ في قومه؛ وليتعلم الفروسية والصيد ، وهو بهرام جور.

ولما توفي يزدجر أراد الفرس إقصاءه عن العرش فتدخل النعمان، وأيده بجيش مكنه من استرداد عرشه، فأعلى ذلك من شأن المناذرة والحيرة ، وهيأ لها موقعها في طرق القوافل أن كانت مركزاً مهماً للتجارة، فعاش المناذرة معيشة يسودها غير قليل من الترف ، بسبب التجارة التي كانوا يشاركون فيها، وبسبب ما كان عندهم من حياة زراعية ، ومن غير شك

---

(1) - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 49

(2) - شوقي ضيف :(العصر الجاهلي) ص 44.

يسبق المناذرة الغساسنة في الرخاء ، ولعل ذلك ماجعل حياتهم أكثر استقراراً بالقياس إلى غساسنة الشام ، كما جعلهم أكثر حضارة ورقيّاً.

وأزهى عصورهم عصر المنذر بن ماء السماء حوالي (514- 554م) وقد ساءت العلاقة بينه وبين قباذ ملك الفرس في أوائل حكمه ، ولعل ذلك يرجع إلى أن قباذ اعتنق المزدكية واتخذها ديناً رسمياً للدولة وحاول أن يفرضها على المناذرة فأبى المنذر؛ فعزله وولي مكانه الحارث بن عمرو أمير كندة ، ولكن الأُمور سرعان ما تطورت فتوفى قباذ ، وخلفه كسرى أنو شروان وكان يكره المزدكية فأعاد المنذر إلى حكم الحيرة ، ونشبت بينه وبين الحارث الكندي وأبنائه سلسلة حروب قضت عليهم جميعاً.

فقد تحولت قبائل نجد وشرقي الجزيرة إلى الحيرة ، فدان معظمهم للمنذر بالولاء ، ويظهر أنه مدّ سلطانه إلى عمان ، وقد قاد حرباً طاحنة ضد الغساسنة والبزنطيين كُتب له النصر في كثير منها ، واشتهر بين العرب بأن كان له يومان: يوم نعيم ، ويوم بؤس فكان أول من يطلع عليه في اليوم الأول يعطيه مائه من الإبل ، وأول من يطلع عليه في اليوم الثاني يقتله ، ممن قتله في هذا اليوم المشئوم عبيد بن الأبرص، ويقولون إنه راجع نفسه فأقلع عن هذه العادة السيئة[1].

وخلفه ابنه عمرو بن هند (554-569م) وينسب إلى أمه في بعض الروايات ، كان طاغياً مستبداً ، ولقبّه العرب بالمحرّق لأنه نذر أن يقتل مائة رجل من تميم حرقاً وبرّ بنذره في يوم أوارة باليمامة ، واشتبك مع تغلب وطئ في بعض المعارك ، ويظهر أن سلطانه امتد على قبائل كثيرة ، وكان بحكم استبداده يتعرض له كثير من الشعراء بالهجاء فيقول فيه طرفة :

أبـــى القلب أن يهوى السّدير وأهله * وإن قيـل عيش بالسّديـر غريـر
فـــلا انذر الحـــي الذي نزلـوا بـه * وإنـــي لمـــن لـــم يأتـــه لنذيـــر

[1]- شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص 45.

بـــه البقُّ والحُمّـــي وأســـد خفيَّةٍ * وعمرو بن هند يعتدي ويجـــور[1]

وينسب إليه الشعر كان ينظمه ، وقد أصبحت الحيرة في عهده مركزاً أدبياً مزدهراً ، إذ كان يجزل العطاء للشعراء ، فوفد عليه كثيرون منهم عمرو بن قميئة ، والمسيّب ابن عَلس، والحارث بن حِلِّزة ، وعمرو بن كلثوم التغلبي الذي يقال عنه إن ابن هند لقي مصرعه على يده ثأراً لكرامة أمه ليلي حين أهينت في بيته.

وولي أمر الحيرة بعد عمرو قابوس ، ثم المنذر الرابع، ولم تطل مدتهما وبذلك نصل إلى النعمان الثالث ابن المنذر الرابع المكني بأبي قابوس (580–602م) وكان سلطانه يمتد الى البحرين ، وعمان ، وكانت له قوافل تجارية تجوب الجزيرة ، وسار سيرة عمرو بن هند في رعايته للشعراء ، فوفد على بابه منهم كثيرون مثل : أوس ابن حجر ، والمنخل اليشكري ، ولبيد ، والمثقّب العبدي ، وحجر بن خالد الذي يقول فيه:

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد * كمثل أبي قابوس حزماً ونائلا[2]

وخلاصة القول ، كانت الحيرة مركزاً تجارياً كبيراً ، فهذا الأمر أعدّ للحيرة أن تتحضر، ثم دانت من بعد ذلك لخالد بن الوليد.

3- إمارة كندة:

وقد قامت – بين إمارة الحيرة وإمارة الغساسنة – إمارة ثالثة في شمال نجد، كان أمارؤها يدينون بالولاء لليمن، وهي إمارة كندة ، وقد ظلت شعبة كبيرة تقيم في موطنها الأصلي بحضرموت إلى أن جاء الإسلام ، وعُثر على نقوش تؤكد قيام هذه الإمارة الكندية في القرن الرابع الميلادي.[3]

---

[1] . ابو الفرج الاصفهاني : "الأغاني" ج21، ص 126.
[2] - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص 46.
[3] - يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، وفنونه) ط،9 ، 2001م ، مؤسسة الرسالة ، ص54 .

وكانت حاضرة هذه الإمارة دومة الجندل ، وأشهر ملوكها حُجْر الملقب بآكل المرار، وقد استطاع أن يفرض سيطرته أو سيادته على القبائل الشمالية في نجد وأن يمتد نفوذه إلى اليمامة وتخوم إمارة المناذرة ، ويقال إن بكراً وتغلب دانت له بالطاعة.

فخلفه ابنه عمرو المقصور ، وكان سلطانه محدوداً ، وفي عهده تمردت القبيلتان بكر وتغلب فخرجت عن سلطانه ، ثم قامت الحرب بين القبيلتين ، ودامت طويلاً قيل استمرت أربعين عاماً، وتلك هي حرب البسوس المشهورة[1].

وكان خير عهود كندة، وأشدها نفوذاً، وأوسعها رقعة ، عهد الحارث بن عمرو ، حيث دانت له قبائل نجد، وأصلح بين بكر وتغلب فدانتا له، وقد نظم حكمه بأن أقام ابنه شرحبيل على بكر ، وابنه الثاني معد يكرب على تغلب ، وابنه سلمة على قبائل قيس عيلان ، وابنه حجر أبو امرئ القيس على بني أسد.

وقد امتاز الحارث بالقوة ، وسعة الصدر ، وسعة السلطان ، فقد عقد حلفاً بينه وبين إمبراطور بيزنطة قباذ ، وشن حملات على المناذرة فانتصر في غير موقعه على المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة[2].غير أن الأمر لم يستقم للحارث ، فسرعان ما مات قباذ وجاء كسرى أنو شروان ، فعزل الحارث وأعاد المنذر إلى حكم الحيرة.

واشتد الصراع بين الحارث الكندي وبين المنذر ، وكانت نهاية الحروب أن قُتل الحارث وتداعت دولته ، واختلف أبناؤه بعده، فاقتتلوا فيما بينهم فقُتل كل من شرحبيل وسلمة ، وجن معديكرب ، وثارت بنو أسد على حجر فقتلته ، وحاول امرؤ القيس ابنه أن يسترد ملل أبيه ويثأر من بني أسد فخابت مساعيه ، وكانت نهايته حين رحل إلى امبراطور بيزنطة ليستعين به على محاربة المنذر فلم يعنه ومات في تلك الرحلة.

ومهما يكن من شيئ ، فإن إمارة كندة لم تبلغ من المجد والسلطان وأسباب الحضارة والرخاء ما بلغته إمارة المناذرة في العراق ، ولا إمارة الغساسنة في الشام ، وكان عهدها

---

(1) - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 48.
(2) – يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص55

قصيراً ، ونفوذها مقتصراً على عرب البادية ، على حين كانت الإمارتان تتمتعان بسلطانهما على سكنة الحواضر والبوادي معاً.

وهذا هو الجانب السياسي من هذه الحياة التي صورت علاقات سكان الجزيرة العربية وارتباطاتهم ، ونظمهم وطبيعة الحكم عندهم ، ونظرتهم القبلية حددت صلاتهم بالدول الأجنبية.[1]

---

(1) - يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، وفنونه) ط9 ، 2001م ، مؤسسة الرسالة ، ص55- 56بتصرف

الحياة الاقتصادية

لقد كانت البيئة التى تعيش في نطاقها القبيلة بالإضافة إلى الأحوال الاقتصادية تشكلان معاً، الأساس الأول للحياة الاجتماعية ، فالصحراء تغطي معظم أرجائها ، ونعني بالصحراء دائماً ، ندرة المطر واحتباسه، والرحيل الدائم لسكانها بحث عن الحياة ، حيث يكون الكلأ والماء ، فإن ذلك لم يمنع وجود مناطق تتمتع بجودة التربة ، وطيب الهواء والمرعى[1].

فقد عُرفت الزراعة في الجنوب والشرق ، وواحات الحجاز مثل: يثرب وخيبر[2]، ففي خيبر توجد خصوبة التربة وغزارة الماء ، ويثرب ذات الزرع والضرع إلى الجنوب من (خيبر) وإلى جنوب (يثرب) يقع وادي العقيق ذو النخيل والعيون، وإلى الجنوب الشرقي من (مكة) نجد (الطائف) التي كانت تمثل مصيف أهل مكة[3]، وإن كانت (مكة) قد حرمت من نعمة الزراعة ، وأحاطت بها الجبال الجرد ، فقد عوضتها التجارة عن ذلك كله، فمكة كانت بلداً تجارياً ، لها ضرائبها التي كانت تفرضها على القوافل التجارية فضلاً عن ممارسة أهلها للربا الذي كانوا يتعاملون به ، ولقد كان لموسم الحج، وماينفقوه القادمون في أيامه المقدسة، حيث يزرون فيها آلهتهم ، ويقيمون الشعائر ، كان لهذا الموسم نفع كبير لأهل مكة ومورد لايستهان به في هذه الأحوال[4].

وعاش أهل مكة على التجارة ، إذ كانوا يحملون عُروضها وسلعها بين حوضي المحيط الهندي ، والبحر المتوسط ، وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالاً وجنوباً في طرق معلومة، كما كانت تجوبها شرقاً في طريقتين معروفتين:

1- طريق إلى الخليج الفارسي من شرق مكة وكان يمر بمدينة الرياض الحالية.

---

(1) ـ محمود طه أبو العلا: (جغرافية شبه الجزيرة العربية) ط1، 1965م ، لجنة البيان العربي القاهرة ، ج1 ، ص 40.
(2) ـ شوقي ضيف: (العصر الجاهلي) ص2.
(3) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك) ط2 ، 1966م ، دار االمعرف القاهرة ، ص72.
(4) ـ أحمد كمال زكي (شعر الهذليين) د.ط ، 1969م ، الكاتب العربي ، القاهر ، ص 76.

2 طريق ثاني كانوا يذهبون فيه شمالاً إلى (خيبر) ، ثم يخترقون الصحراء في وادي الرُّمّة، ومنه يهبطون إلى الحيرة[1].

ويمكن للباحث أن يلخص الحياة الاقتصادية في أحوال العرب إلى ثلاثة مكاسب:

1- الزراعة.

2- التجارة.

3- الصناعة.

- أولاً: الزراعة:

إن الحياة الزراعية في الجزيرة العربية موقفة على الأمطار وما تدره عليهم السحب في مواسم معينة ، وهي قليلة على أي حال ، ولذلك لم يتيسر للبادية أن تقوم فيها زراعة منتظمة بل نشطت الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها المياه من العيون، والآبار ، والأمطار ، فعرفت الزراعة في الجنوب والشرق ، ومدن وقرى الحجاز ، مثل: الطائف ، ويثرب ، وخيبر ، ووادي القرى. وقد صور القرآن الكريم حياة ثمود الزراعية المستقرة في غابر الزمان[2]، فقال تعالي: (أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(150))[3]

كما وصف عزام بن الاصبغ في كتابه:(أسماء جبال تهامة وسكانها) وصف لكثير من هذه القرى، فقال يصف قرية الصفراء :

(قرية كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون كلها، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماء يجري إلى ينبع).

---

(1) - شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص2.
(2) - يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، وفنونه) ط9 ، 2001م ، مؤسسة الرسالة ، ص77
(3) - سورة الشعراء : الآيات 145- 150

وقال في وصف قرية السوارقية :(إنها قرية غناء كثيرة الأهل ، وذكر حاصلات بني سليم (فيها مزارع ، ونخيل كثيرة ، وفواكهه من موز ، وتين ، ورمان ، وعنب، وسفرجل ، وخوخ)[1].وعلى كل حال فإن الزراعة حرفة الحضر في المدن والقرى وماحولها.

أما أبناء البادية فكانوا ينظرون إلى الزراعة على أنها عمل أهل الذلة ، والهوان، فهم ينالون أرزاقهم بأطراف القناة والسيوف، يسعى للحرب منهم شباب مرد على خيل جرد، وقد صور الأعشى هذه النزعة حين عيّر أياداً بالزراعة فقال:

لسنا كمن جعلت أياد دارها * تكريت تنظر حبها أن يحصدا

قوماً يعالج قملا أبناؤهم * وسلاسلا أجدا وبابا موصدا[2]

ونظرتهم المرتفعة عن هذا العمل الزراعي ، جعلتهم قوماً متكلين على الغيث، متتبعين لمواقعه فمتى اهتزت بقاع الأرض وربت رعوا أنعامهم في زرعها، وشربوا من ريها، حتى إذا انسوا مراعي أُخر تتبعوها وسعوا اليها سواء أكانت تلك المراعي في أرضهم وحماهم ، أم كانت في أرض غيرهم، ومثلهم في ذلك قول الشاعر معاوية ابن مالك:

إذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا

ولذلك نجمت الحروب، وكثرت المعارك، بسبب المراعي والمياه[3]

ثانياً : التجارة:

أما التجارة فكانت المهنة المربحة التي عرفها العرب وبرعوا فيها، وهي مهنة الحضر المتعلمين، ولم تكن ظروف البادية ولا طباع أهلها تعين على أن يبرعوا فيها، ولكن بعضهم كان يعمل دليلاً يرشد القافلة أن تضل في مجاهل الصحراء أو خفيراً حامياً يمنعها من النهب والغارة.

---

(1) - عزام بن الاصبغ:(أسماء جبال تهامة وسكانها) ص 8.

(2) - عزام بن الاصبغ: (مرجع سابق) ص78.

(3) - يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 79.

وقد نشطت التجارة أول الأمر في اليمن فامتدت تجارتهم بين الهند شرقاً إلى أفريقيا غرباً، وإلى بلاد الشام ، والروم شمالاً ، حتى إذا ما هدت السيول سد مأرب وساءت حركة السوق واضطربت الأحوال السياسية ، كسدت التجارة ، وانتقل النشاط التجاري إلى أيدي القرشيين في مكة ، فكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالاً وجنوباً، حيث رحلتا الشتاء والصيف إلى اليمن شتاءً وإلى الشام صيفاً ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة:(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[1].

وكذلك تسير تجارتهم إلى الحبشة غرباً وإلى الحيرة ، وبلاد فارس شرقاً ، وإنّ فريقاً من تجار قريش بلغوا بتجارتهم أقاصي بلاد العرب والعجم ، فهاشم متجره الشام ، وعبد شمس متجره الحبشة، وعبد المطلب إلى اليمن ، ونوفل نحو العراق.

ولا شك أن هذه الرحلات كانت تحيط بها المصاعب والمخاطر، ولاتنتهي إلى غاياتها إلا بشق الأنفس، وذلك لبعد الشقة ، ووعرة الطريق، ومجاهل الصحراء، وغارات اللصوص من ذؤبان العرب وصعاليكها وبخاصة من ذؤبان فهم وهزيل[2].

وقد هيأ التصادم المستمر لمكة بين الفرس والروم أن تزدهر بها التجارة ، فقد كان الطريق بين العراق والشام مقفلاً، وكانت أكثر تجارة الشمال والجنوب تهبط بها ، وفي الوقت نفسه كانت راعية الكعبة ، وأصنامها ، وأوثانها ، وبذلك كان أهلها أشرف العرب وكان كثير منهم يعترفون بالسيادة ، يقول ابن الفقية: (إنّ أهل مكة لم يؤدوا في الجاهلية أتاوة قط، ودانت لهم خزاعة ، وثقيف ، وعامر بن صعصعة، وفرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحلّ إذا دخلوا الحرم، وهم بعد أعزّ العرب ، يتامّرون عليهم قاطبة). وكانوا يأخذون منهم أتاوة تُسمي الحريم إذا نزلوا في بلدهم ، كما كانوا يأخذون إتاوة من التجار الأجانب إذا ألموا بهم ، وكان ينزلها بيزنطيون وفرس للتجارة، يدل على ذلك الصحابيان الجليلان صهيب الرومي ، وسلمان الفارسي.

---

(1) - سورة قريش :الآيات 1-4

(2) - يحي الجبوري : (مرجع سابق،) ص 80-81.

وكانت مكة أهم مدينة عربية في الجاهلية ، وكان لها نظام تجاري معقد ، ومعروف أنه كان بها ملأ يجتمع بدار الندوة ، وهو مجلس شيوخ مصغر ، لم يدخله إلا من بلغ أربعين سنة، وكانوا يختارون على مايظهر حسب ثرائهم ، وخدماتهم التي يؤدونها وهم سادة بطونها في البطاح- قريش -كانوا ينظرون في شئونها التجارية والدينية .

وكانت مكة تشبه مصرفاً كبيراً ، به المكاييل ، والموازين ، والبيع الحاضر، والمؤجل ، والربا ، وصنوف المضاربة المختلفة[1].

وقد كانت القوافل من الكثرة والضخامة بمكان حيث بلغت إحداهما خمسمائة وألف بعير، ، كما بلغت إحدي قوافل قريش ألفين وخمسمائة بعير ومائة رجل كما ذكر الطبري في تاريخه[2].

ولأهمية هذه القوافل ، وكثرة حمولتها ودوابها ، فقد كانوا يؤمنون الطريق، فيرسلون الرواد المستطلعين قبل الرحيل ، حتى يتعرفوا أخبار الطريق ، كما حدث في غزوة بدر فقد علم أولئك الرواد أن المسلمين يتربصون بغافلة قريش فأسرعوا إلى مكة ، واستنفروا أهلها .

وكانت هذه القوافل تحمل الطيب ، والبخور ، واللبان ، والجلود ، والثياب العدنية، وتوابل الهند، ، كل هذه البضائع من اليمن والهند وأفريقيا الشرقية ، وتأتي من الصين: الجلود، والمعادن ، والحرير ، ومن الحبشة: الدقيق ، والصمغ، والعاج، ومن العراق وفارس: التمر، والشعير ، ويحملون من الطائف الزبيب، ومن مناجم بني سُليم الذهب، يحملون كل ذلك إلى بلاد الشام ، ويعودن حاملين الأسلحة ، والقمح ، والزيوت والخمر، والثياب القطنية والكتانية والحريرية وغيرها.

وكانت قوافل قريش تحمل الفضة (أو القزدير) حيث استولى المسلمون في غزوة بدر سنة أربع للهجرة على قافلة لقريش فيها أموال أبي سفيان بن حرب ، ففخر بذلك حسان بن

---

(1) - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص 50 -51 بتصرف .
(2) - الطبري : (تاريخ الطبري) ط1 ، 2001م ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ج 2/ ص 261.

ثابت وعير قريشاً الهزيمة ، فلما كان يوم أحد رد أبو سفيان بن الحارث على حسان بقصيدة منها هذا البيت:

حسبتهم جلاد القوم عند قبابهم * كمأخذكم بالعين أرطال آنك[1]

فقال أبو سفيان بن حرب يعاتب أبا سفيان بن الحارث : (يابن أخي لم جعلتها آنك ، إن كانت لفضة بيضاء جيدة) من كل ذلك نعرف أن قوافل قريش كانت تحمل الغنى والثراء والمال النفيس[2].

وقد إستطاعت قريش[3] أن تجعل من مكة مركزاً تجارياً مهماً، تكدست فيه الأموال ، وكثرت فيه الثروة ، وذلك لما كانت تتمتع به من مكانة دينية مقدسة ؛ لأنها صاحبة البيت وسادنة الكعبة ، وأرضها حرام ، وحرمها آمن ، لايحل فيه قتال ولاغزو.

وكان للأسواق الأثر الكبير في رواج التجارة ، وتبادل السلع، وأهم الأسواق كانت تقام على مقربة من مكة ، كعكاظ ومجنة وذي المجاز ، والعرب تسعى إلى هذه الأسواق من كل حدب وصوب ، ليشهدوا منافع لهم ، ويتناشدوا الأشعار، ويذيعوا الخطب ، ويتحاكمون في خصوماتهم ، ويتفادوا الأسرى ويعقدوا الصلح ، أو يتفاخروا بالأحساب والمحامد والأمجاد.

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في منطقة واحدة ، بل كانت تقام في قلب الجزيرة حيناً وفي أطرافها في حين آخر ، وفي أوقات معينة معلومة ، ومن أسواقهم المهمة سوق دومة الجندل في شمالي نجد ، وسوق خيبر، وسوق الحيرة، وسوق الحجر باليمامة وسوق صحار، ودبا بعُمان ، وسوق بهجر ، وسوق الشعر ، وسوق حضرموت ، وسوق صنعاء وعدن ، وسوق نجران وغير ذلك من الأسواق الكثيرة.

---

(1) ـ ابن المعتز : (طبقات الشعراء) ط3 ، 2010م ، تحقيق عبدالستار فراج ، دار المعارف القاهرة ، ص 208.

(2)ـ يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 82.

(3)ـ لقد برعت قريش في التجارة ، وحذقت شئونها فسميت بهذا الاسم من تقريش المال قيل (سميت بذلك لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أهل ضرع وزرع ، من قولهم فلان ينقرش المال ، أي : يجمعه (لسان العرب) (قريش) .

ولقد كان لهذه الأسواق الأثر الكبير في تنشيط حركة التجارة وازدهارها ، كما كان الفضل في توافق العادات وحل المشاكل وامتزاج ثقافات أمم مختلفة ، وقد ساعد كل ذلك على الرقي العقلي والحضاري[1].

ولم يكن عرب نجد يفيدون من هذه الأسواق فقط للبيع والشراء ، فإن قوافل عروضها القرشية وغيرها كانت تجعل الكثيرين منهم جعلوا نظير حمايتها وكانت تتخذ منهم الخفير فتنفعهم بأموالها على أنه ينبغى أن لا يُظن أن أهل مكة جميعا كانوا أثرياء فقد كان بجانب الأثرياء فقراء وصعاليك وكان الفرق شاسعا بين ثراء السيد الشريف وفقر المعوز البائس كما كان بها رقيق[2] .

ثالثا الصناعة :-

فقد كانت الصناعة فى هذه الحقبة الضيقة النطاق ومحصورة فى الحواضر والمدن وقليلاً فى البادية. إن البادية تنظر إلى الصناعة نظرتها إلى الزراعة نظرة زراية واحتقار وإن نفوسهم لتأبى الامتهان بها ، وكما عير الأعشى إيادا بزراعتها – كما ذكر سابقاً– فقد عير عمرو بن كلثوم النعمان بن المنذر، وهو ملك على الحيرة بأن أمه من أسرة تمتهن الصناعة فقال عمرو :

لحا الله أدنانا إلى اللوم زلفة * والأمنا خالا وأعجزنا أبا

وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله * يصوغ القروط والشنوف بيثربا

هذه عقلية بادية، أما الحاضرة فنظرتها إلى الصناعة أهون من ذلك وإن كان الأشراف يترفعون فى جاهليتهم عن الصناعة .

وكان اليمنيون أعرق فى الصناعة وأكثر خبرة ودراية من المضريين . فأصل اليمن صناعة مهرة ومن الصناعات التى أجادها اليمنيون صنع الأسلحة من سيوف ورماح

---

(1) - يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 82- 84.
(2)- شوقي ضيف: (العصر الجاهلي) ص 77.

ودروع، وقد شهرت بنسبتها إلى صانعها ، أو إلى أماكن صنعها فقالوا : السيوف اليمانية، والرماح الردينية ، والقنا السمهرية ، وفى الشمال كانت بعض الصناعات ، كنسج الثياب ، وعمل الزرود ، والسروج ، والصياغة وخاصة فى مكة والمدينة .

أما البناء فما كان متقدما بشكل ملحوظ فكانوا يستعينون بعمال من الفرس والروم فى تشييد أبنيتهم المهمة، كتجديد الكعبة أو توسيعها[1]وبناء القصور ، فكان البناء بالجص ، مثل: دار معاوية الرقط وقصر السدير .

وللعرب مكسب آخر من طيب الرزق هو الصيد فهم يدربون الكلاب خاصة على اصطياد الفريسة ومطاردتها ، ويتقنصون الحمر الوحشية ، والبقر ، والوعول ، والماعز الجبلى ، والظباء ، ووحوش الصحراء الأخرى .

على أن الصيد كان مكسب الفقراء والضعفاء ، أما الفرسان وذو الشرف ، فما كانوا يرون الكسب إلا فى الغزو والغارة ، الذى هو دأب ذوى البطولة والبسالة والشجاعة ، ولذلك يهجو عمرو بن معديكرب بنى زياد ؛ لأنهم أهل قنص وصيد وليسوا أهلاً للحرب والقتال:

أبنى زياد أنتم فى قومكم * ذنب ونحن فروع أصل طيّب

نصُل الخميسَ إلى الخميس وأنتم * بالقهر بين مربق ومكلب

حِيدٌ عن المعروف يعى ابيهم * طلب الوعول بوفضه وبأكلب[2]

ومن أهم مصادر الكسب فى الحياة أيضاً الأنعام ، وأهم حيوان البادية وأكثره نفعاً وأشده احتمالاً لقسوة الصحراء الإبل.

كانت الإبل عماد الحياة عند العرب ، يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها ويكتسبون من أوبارها ويصنعون بيوتاً منها ، وعليها يحملون أثقالهم ويرحلون، قال سبحانه

1- يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي ، وخصائصه ، وفنونه) ط9 ، 2011م ، مؤسسة الرسالة ، ص 79-80.

(2) يحي الجبوري : (مرجع سابق) ص 86-87

المربق : الصائد بالربقة وهي العروة في الحبل. والمكلب: الصائد بالكلب . الوفضة : جعبة السهام من أدم.

و تعالى فى ذكر الأنعام وما جعل فيها من منافع لعباده : (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7))[1]

وقد أفاد العربي من الإبل كل فائدة فلم يترك منها شيئاً إلّا وجعل لنفسه فيه النفع ، فقد صنع من جلدها الأخفاف والقرب والسيور ، واتخذ من عظامها ألواحاً يكتب عليها ومن بعرها وقوداً يصطلي بناره وينضج به طعامه ، والإبل عند العرب خير المال ، بها يقومون البضائع ويثمنونها ، وبها يتقايضون ويفتدون الأسرى ، ويدفعون ديات القتلى ، ويدفعون المهور للزواج.

وكذلك عنوا بها عناية فائقة ، كانوا يطلبون لها أجود المراعي ؛ واهتموا بأسمائها وصفاتها وحركاتها ، فوضعوا لكل عضو من أعضائها اسماً بل أسماء وكثر ذكرها في أساليبهم ، ودارت حولها تشبيهاتهم واستعارتهم وضربوا بها الأمثال ، ونظموا فيها القصائد، وخاطبوها وناجوها وبثوها أشجانهم وعواطفهم كما يبث الخّل الحبيب[2].

وتلك كانت حياتهم الاقتصادية بين صيد للوحش ، وصيد للإنسان ، ورعي للأنعام، فتلك موارد رزقهم ، وليس معنى ذلك أنهم كانوا متساوين في الرزق ، فقد كان في كل قبيلة السادة الذين يملكون مئات الإبل ، والفقراء الذين لايملكون شيئاً ، وتحول كثير من هؤلاء الفقراء إلى قطاع للطرق يسلبون وينهبون ويقتلون على نحو ما هو معروف عن الصعاليك.[3]

---

[1]ـ سورة النحل: الآيات 4-7

[2] ـ يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 86

[3] ـ شوقي ضيف: (مرجع سابق) ص 81 بتصرف

الحياة الدينية

لقد عُرف العهد الجاهلي بالعهد الوثني عهد الشرك وعبادة الأصنام من دون الله، غير أن النظرة الفاحصة تكشف أن وثنية ذلك العهد ، لم تكن – كما قد يُظن – اعتقاداً متيناً بالأصنام ، فقد كان كثير منهم ، وبخاصة الأعراب ، يسخرون منها ويهزأون بها.[1]

وكانت كثرة العرب في الجاهلية وثنية تؤمن بقوى إلهية كثيرة تنبت في الكواكب ومظاهر الطبيعة ، وفي أسماء قبائلهم مايدل على أنهم كانوا قريبي عهد بالطوطمية، إذ تلتق جماعة حول الطوطم تتخذه حاميها والمدافع عنها من مثل : كلب ، وثور، وثعلبة.

فقد كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى كما جاء في القرآن الكريم ، وكانوا يتعبدون لأصنام، وأوثان كثيرة اتخذوها رمزاً لآلهتهم[2].

ويظهر أن عبادة النجوم والكواكب دخلت عندهم من قديم ، وقد جاءتهم من الصابئة وبقايا الكلدانيين، كما جاءتهم من لدن عرب الجنوب الذين كانوا يرجعون بآلهتهم إلى ثالوث مقدس.[3]

ولقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن هذا الثالوث الفلكي المقدس ، كانت عبادته شائعة كل شعوب الأرض، ولقد أشارة القرآن الكريم إلى وجود هذه العبادة عند العرب في قول تعالي: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)[4] وفي قوله تعالي :(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)[5] فالنجم الثاقب كما يقولون هو : نجم الزهرة المقدس.[6]

ولم يكونوا يؤمنون بأن هذه الأوثان والأصنام خالقة مدبرة قادرة ، ولم يكن الشرك إشراكاً في وحدانية الله ، فالدلائل تشير إلى أن عرب الجاهلية كانوا يؤمنون بالله الواحد القوي الخالق الذي بيده الأمر ، وكان اتخاذهم الأصنام على أنها وسائط ، وشفاعات تقربهم إلى

---

(1)ـ يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 103

(2)ـ جواد عليّ: (تاريخ العرب قبل الإسلام) ط 1، 1956م ، المجمع العلمي العراقي، ج5، ص 20

(3)ـ شوقي ضيف: (مرجع سابق) ص 4

(4)- سورة فصلت: الأية 37

(5) سورة الطارق: الآيات1-2.

(6)- أحمد كمال زكي: (الأساطير) مكتبة الشباب ، القاهرة 1975 ، ص 36

الله سبحانه ، فالشرك يلحظ من تقدس أصنام تنسب لها القدرة على الشفاعة لا الشرك في وحدانية الله.

وقد عبّر أوس بن حجر في بيت عن اعتقاده بالله الذي هو أكبر من كل المعبودات، مع إقراره باحترام اللات والعزى ، فقال:

وباللات والعزى ومن دان دينها * وبالله إن الله منهن أكبر[1]

وهذا النابغة الذبياني يقسم بالله الذي ليس وراءه شيئ ولا أكبر منه:

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

ويُجد في الشعر الجاهلي الدلائل الكثيرة الواضحة الصريحة التى تؤكد إيمان الجاهليين بالله ، وتوحيده ، والقسم به وإنه خالق الخلق وواهب النعم ، يقول عبيد بن الأبرص:

حلفت بالله إنّ الله ذو نعم * لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

وقد آمنوا بالله هو الحافظ الذي يلوذ الناس برحمته قال أفنون التغلبي:

لعمرك مايدري امرؤ كيف يتقي * إذا هو لم يجعل له الله واقيا

وإنّ الله يجزي على العمل الصاح ، قال أبو قيس بن الأسلت:

أجرت مخلداً ودفعت عنه * وعند الله صالح ما أتيت

ويقول زهير بأن الله عالم الغيب ، ومطلع على الضمائر وأسرار النفوس:

فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

1- ابن السائب الكلبي (أبو المنذر) : (كتاب الأصنام) ط1 ، 2009م ، تحقيق الاستناذ أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، ص7.

فلا تكتمن الله مافي نفوسكم * ليخفى ومهما يكتم الله يعلم[1].

ويقسم آخر بالله عالم الأسرار، ومحيّ العظام البيض وهي رميم:

أما والذي لايعلم السر غيره * ويحيي العظام البيض وهي رميم

لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا * محافظة من أن يقال لئيم

وفي بيت حاتم السابق إيمان بالبعث والحساب ، فالله يحيي الخلق بعد موتهم وإن كانوا عظاماً ، وقد أوضح لبيد بأن للناس يوماً يقفون فيه بين يدي الله ، وتكشف أعمالهم ، وتجزى كل نفس ماكسبت:

وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه * إذا كشّفت عند الإله المحاصل

وكذلك يذكر علاف بن شهاب التيمي فكرة الحساب والثواب والعقاب ، فيقول:

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة * فاخذت منه خطة المغتال

وعلمت أن الله جازٍ عبده * يوم الحساب بأحسن الأعمال

وإذا كان هذا إيمان بالله ووحدانيته وقدرته ، فكيف كان يوفقون بين هذا الإيمان ، وبين تقديس أوثان وأصنام وإشراكها في العبادة والتقديس مع الله سبحانه وتعالي؟.

وللعرب في ذلك تعليلات لاتكاد تكون مقنعة ، فهم يقولون : (ليس لنا أهلية لعبادة الله تعالي بلا واسطة لعظمته ، عبدنا الأصنام لتقربنا إليه تعالى) ومنهم من يقول : (جعلنا الأصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى) كما أنّ الكعبة قبلة في عبادته.[1]

(1)- يحي الجبوري : (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، وفنونه) ط9 ، 2001م ، مؤسسة الرسالة، ص106.

ولقد كانت الأصنام من جملة الشفعاء عند أصل الجاهلية بوصفها رموزاً للإله المعبود، وإن كانت فكرة الشفاعة لها صلة وثيقة بالديانتين اليهودية والمسيحية ، وقد يذهب البعض إلى القول بأن موقف أهل مكة من الرسول الكريم لم يكن نتيجة دعوته للوحدانية ، ولكن لتحديه وسخريته من أوثانهم وما يعبدون من دون الله[1].

ومن آلهتهم المعبودة : القمر أو وَدّ ، والشمس أو اللات، والزهرة أو العزى[3] ، ونجم الشعرى الذي عبده فريق من قريش وخزاعة ولخم[4] ، وقد جاء في قوله تعالى: **(وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ)**[5] ، وكانوا يقدسون النار ، ويظهر ذلك في إيقادهم لها عند أحلافهم واستمطارهم السماء وتقديم القرابين إليها، ويقال المجوسية كانت متفشية في تميم، وعُمان، والبحرين ، والمجوس يؤمنون بإلهين يدبران العالم هما النور ، والظلمة أو الخير والشر.

وكانت عبادة الأصنام منتشرة بينهم انتشاراً واسعاً ، وقد صوروها أو نحتوها رمزاً لآلهتهم، وقد يرون في بعض الحجار ، والأشجار ، والآبار مايرمز إليهم ، ففي أخبارهم أن العزّى كانت لغطفان، وهي شجرة بوادي نخلة شرقي مكة ، وقد قطعها خالد بن الوليد، وهو يقول:

ياعُزّ كفرانك لاسجانك ** إني رأيت الله قد أهانك

ويشير القرآن الكريم إلى بعض آلهتهم ورموزها من أصنامهم وأوثانهم فيقول: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19 (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ

---

(1)- جواد علي : (مرجع سابق) ص 416
(2)- شوقي ضيف: (مرجع سابق) ص 4
(3)- يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 115
(4)- سورة النجم: الآية 49
(5)- سورة النجم : الآيات 19- 20
(6)- سورة نوح: الآية 23

ضِيزَىٰ(22))[1] ويقول سبحانه وتعالي:(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23 (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24))[2]

وكانت عبادة اللات أو الشمس شائعة بين العرب الجنوبين وفي الحجاز ، فكان معبدها في الطائف ، ويقال إنه كان صخرة مربعة بيضاء بنَتْ عليه ثقيف بيتاً وكانت قريش وجميع العرب يعظمونه.

وكانت مناة صخرة منصوبة على ساحل البحر بين المدينة ومكة وكانت معظمة عند هذيل وخُزاعة ، والأوس والخزرج والعرب جميعاً وكان سُواع صنم هذيل وكنانة ، وربما كان في اسمه مايدل على أنه إلهِ الشر والهلاك، ويغوث وهو إله هوازن، فمعنى يغوث يعين ، وكان يعوق صنم همدان وحولان، ومعنى يعوق يحفظ ويمنع ، وكان نسر معبود حمير، ويشير اللفظ على الطائر المعروف باسمه[3].

وكانوا يتخذون عند هياكل هذه الأصنام والأوثان أنصاباً من حجارة يصبون عليها دماء الذبائح التي يتقربون بها إلى آلهتهم ، وكانوا يقدسون هذه الأنصاب ويعدونها مقرّاً لبعض الأرواح ، وفي ذلك يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)[4]الأزلام:القداح .

وكان هؤلاء الوثنيون ينكرون الرسل ، وأن هناك الها واحدا ،قال الله تعالى: (وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5 (وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6))[5]وكانوا لايؤمنون ببعث ولا نشور يقول جل ذكره :((وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا

---

(1) ـ سورة النجم : الأيات 19-22.
(2) ـ سورة نوح: الأيات 23-24.
(3) - شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص 94-96 بتصرف
(4) ـ سورة المائدة: الآية 95
(5) ـ سورة ص: الآية 3-6

وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29 ( ))[1] ، وقال:((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24))[2]

ولا يصل الباحث إلى أواخر العصر الجاهلي حتى يجد استعدادا لفكرة الإله الواحد ، وخاصة عند طائفة كانت تدعى باسم الحُنفاء ، وكانت تشك في الدين الوثني القائم وتلتمس ديناً جديداً يهديها في الحياة .

ولم تكن الحنيفية امتداداً أو تقليداً لليهودية أو النصرانية وإنما هي دين العرب القديم دين إبراهيم عليه السلام ، وما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، وكذلك لم يكن من المشركين، [3]فقال الله تعالى:((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ **(120** شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(121)))[4] والحنيف هو المسلم (حنيفاً مسلماً) قال تعالى : ((ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)) وجاء في الحديث قوله(ص): (إِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)[5] اسناد ضعيف .

وهكذا يتضح من هذه النصوص أن الإسلام والحنيفية على شرعة واحدة شرعة التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد ، وما الوثنية الإ تشويه لدين إبراهيم عليه السلام وتحريف له وخروج عليه[6].

فأما اليهودية : فقد جاء اليهود إلى الجزيرة بعد أن طردهم واضطهدهم قياصرة الروم فالتجأ كثير منهم إلى الحجاز واليمن ، وأصبحوا يثيرون الضغائن وينشبوا الأحقاد فوقعت بهم حروب وأيام ودماء حتى جاء الإسلام برحمته فانجاهم من كيد اليهود .

---

(1) ـ سورة الأنعام: الآية 29
(2) ـ سورة الجاثية: الآية 24
(3) ـ شوقي ضيف : (مرجع سابق) ص 96
(4) ـ سورة النحل: الآية 123
(5) ـ ابن سعد : (الطبقات الكبرى) ط2 ، 1998م ، دار صادر للطباعة والنشر ، ج1، ص 192
(6) ـ يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص 112- 113 بتصرف.

ولم يستطع اليهود أن يتركوا آثاراً واضحة في عرب الجزيرة ، بل كان تاثير العرب فيهم واضحاً متميزاً ، فقد تعرب فريق منهم : كيهود يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء ، وجاء الإسلام فدخل كثير منهم في دين الله أفواجاً ، واصطنعوا اللغة العربية لغة الحديث.

أماالنصرانية فقد انتشرت عن طريق الروم والحبشة ونصارى الحيرة، وقد اعتنقت بعض القبائل العربية النصرانية مثل: عاملة وجذام وكلب وقضاعة من الغساسنة في الشام، وفي العراق تغلب وأياد وبكر، والعباد في الحيرة.

وكان نصارى الشام يعاقبة أو(منوفيسئيين) وهم القائلون بأن للمسيح طبيعة واحدة، ينسب هذا المذهب إلى يعقوب البرادعي، المتوفى 500 للميلاد.

أما نصارى العراق فقد كانوا نساطرة نسبة إلى نسطوريوس المتوفى سنة 450 للميلاد، وهو يرى أن للمسيح طبيعتين: طبيعة الحانوت وطبيعة اللاهوت.

وقد عرفت الجزيرة العربية مع هذه الأديان- الوثنية واليهودية والنصرانية- ديانة أخرى هي المجوسية التي دخلت عن طريق الحيرة إلى العراق، فانتشرت في بعض القبائل كقبيلة تميم، والمجوس ثنوية يؤمنون بإلاهين يدبران العالم هما: إله الخير وإله الشر أو النور والظلمة.

هذه الديانات المختلفة والحياة المضطربة المختلفة تدل على أن الفترة فترة قلق وإرهاص وتطلع لشيء جديد تتوقعه النفوس، وتصفو اليه الأفئدة ، فجاء الإسلام في تلك الفترة انجع علاج وأسمى نظام وأكرم عقيدة وأعظم تشريع، فأخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.[1]

---

(1)- يحي الجبوري: (مرجع سابق) ص115-118 بتصرف.

الفصل الرابع : الصعلكة ودوافعها.

المبحث الأول: معنى الصعلكة في اللغة والأدب والمجتمع .

المبحث الثاني : الدوافع الاجتماعية لظاهرة الصعلكة .

المبحث الثالث : الدوافع الاقتصادية لظاهرة الصعلكة .

المبحث الأول

معنى لفظ صعلكة في اللغة والأدب والمجتمع

وقد ورد في ((لسان العرب)) لابن منظور الأفريقي:((الصعلوك: هو الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزهري ولا اعتماد وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك قال حاتم الطائي:

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى * فكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر[1]

وتصعلكت الإبل: خرجت أوبارها، وانجردت، وطرحتها.

ورجل مصعلك الرأس: مدوره ، ورجل مصعلك الرأس: صغيره، وأنشد:

يخيِّل في المرعى لهن بشخصه * مصعلك أعلى قُلَّة الرأس نقنق[2]

وقال شمر: المصعلك من الأسمنة:الذي كأنما حَدْرَجْتَ أعلاه حدرجة، كأنما صعلكت أسلفه بيدك، ثم مطلته صُعُداً أي: رفعته على تلك الدملكة، وتلك الاستدارة.[3]

وقال الأصمعي في أبي دؤاد يصف خيلاً:

قد تصعلكن في الربيع وقد قـ * ـرّع جلد الفرائض الأقدامُ

قال: تصعلكن: دققن، وطار عفاؤها عنها، والفريضة: موضع قدم الفارس.

---

(1)- أي عشنا زماناً.

2- ابن منظور الأفريقي: (لسان العرب) ط4 ، 2005م ، دار صادر بيروت، مادة صعلكة ص243-44

3- حدرج: فتل وأحكم. والدملكة: الاستدارة والملاسة والفتل.

وقال شمر: تصعلكت الإبل إذا دقت قوائمها من السمن، وصعلكها البقل.

وصعلك التريدة: جعل لها رأساً، وقيل: رفع رأسها والتصعلك: الفقر.

وصعاليك العرب: ذؤبانها، وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك ؛ لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنم ، ويرى أصحاب المعجم الوسيط: ((صعلك فلاناً: أفقره، وصعلك البقل والدواب: سمنها. تصعلكت الإبل: طرحت أوبارها. وتصعلك الرجل: افتقر.

الصعلوك: الفقير .وصعاليك العرب: فُتَّاكها. المصعلك: رأس مصعلك: صغيرٌ مدوَّرٌ))[1].

ويرى صاحب القاموس المحيط: ((صعلكهُ: أفقرهُ، وصعلك الثريدة: جعل لها رأساً، أو رفع رأسها، وصعلك البقل والإبل: سمنها. ورجلٌ مصعلك الرأس: مدوره. والصعلوك، كعصفور: الفقير. وتصعلك افتقر. وتصعلكت الإبل: طرحت أوبارها))[2].

ومن هذه النصوص اللغوية التى سجلها علماء اللغة في معاجمهم، يستطيع الباحث أن يتبين أصلاً عاماً للمادة تشترك فيه معانيها المختلفة، وتدور حوله، وهو الضمور والانجراد ويستطيع الباحث في سهولة ويسر أن يرد كل معاني المادة لذلك.

الانجراد:

فالابل تتصعلك إذا انجردت أوبارها وطرحتها.

والخيل تتصعلك إذا دقت وطار عفاؤها عنها، أي انجردت.

والبقل تتصعلك أي: تسمن، وهذا السمن يجعلها تطرح أوبارها وتتجرد منها.

الضمور: والمصعلك من الأسمنة الذي يبدو كأنما فتلت أعلاه وأضمرته.

---

(1) ـ أبراهيم أنيس وأخرون: (المعجم الوسيط) ط2، 1972، ص 540.مادة صعلكة .
(2) ـ أبو الطاهر الشيرازي: (القاموس المحيط) ط1 ، 2004م ، بيت الإفكار الدولية لبنان، ص 980. مادة صعلكة .

وهو يصعلك الثريدة ، أي : يجعل لها راساً، أو يرفع رأسها، كأنما أضمر أعلاها[1].

وهو مصعلك الرأس أي: صغيره وضامره.

وهو يتصعلك أي يفتقر كأنما تجرد من ماله، وبدأ ضامراً بين الناس.

* فالصعلكة إذن – في مفهومها اللغوي– الفقر الذي يجرد الإنسان من ماله، ويظهره ضامراً هزيلاً بين أولئك الأغنياء المترفين الذين أتخمهم المال وسمنهم.

أوبعبارة أخرى: ((الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لامال له يستعين به على أعباء الحياة ، ولااعتماد له على شيء أو أحد يتكيء عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها ويعينه عليها ، حتى يسلك طريقه كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة)).

أو بعبارة أخرى: ((الفقير الذي يواجه الحياة وحيداً، وقد جردته من وسائل العيش فيها، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها)).

فالمسألة إذن ليست فقراً فحسب، ولكنها فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه[2].

أما في قول شمر: (تصعلكت الإبل إذا دقت قوائمها من السمن:) (وصعلك البقل الإبل أي سمنها) ويراد أن الإبل حين تسمن تسلك مسلك الصعاليك – بالمعنى العرفي للصعلكه _ من النفور والشرود والهياج، والصعلكه بهذا العرف تُعَدُّ في أهم جوانبها أثراً من آثار الفقر.

أما زيادة الأزهري بقوله: ولااعتماد، الذي ورد في اللسان: ((الصعلوك الفقير الذي لامال له، وزاد الأزهرى ولااعتماد، وتصعلك الرجل إذا كان كذلك)).

---

(1) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك....) ط3، 1966م، دار المعارف القاهرة ، ص22.
(2) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك....) ص 23.

يعبر عن معنى دقيق في مفهوم الصعلكة بالمعنى المعروف لها، وإذا كان الفقر من اهم الدوافع إلى الصعلكة، فإن مايميز الصعاليك من غيرهم من الفقراء أنهم رفضوا أن يعيشوا عالة على غيرهم أو أن يجعلوا من أحد من الناس عماداً لهم في حين رضي بعض الفقراء لأنفسهم عيش الذل ، واستدرار الحسنات. ويعبر أحد الصعاليك وهو بكر بن النطاح عن هذا المعنى فيقول:

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل[1]

ويقول صاحب الصحاح عن الصعلكة: ((الصعلوك: الفقير الذي لامال له ، وصعاليك العرب ذؤبانها. وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه، والتصعلك الفقر..))[2]

وقول الجوهري: ((صعاليك العرب ذؤبانها)) ، فقد أشار بذلك إلى أن الصعلكة تستعمل فيما تستعمل كلمة ذؤبان وفي شرحه لكلمة ذؤبان يقول: ((وذؤبان العرب أيضاً صعاليكها الذين يتلصصون)) فقد صرح إذن في شرحه لكلمة ذؤبان أن (الذؤبان) هم الصعاليك، وأن الصعاليك ليسوا مجرد الفقراء، وإنما يتلصصون، في حين أنه لم يذكر هذا المعنى صراحة في شرحه للفظ صعلكة ، وقد ورد في جمهرة أشعار العرب: ((الصعلوك الفقير، وهو أيضاً المتجرد للغارات))[3]

وهو أكمل تعريف أوردته الكتب لمعنى الصعلوك أو لشرح الصعلكة، على أن الصعاليك هم قطاع طرق أو لصوص أو فتاك، وهذا تعريف يدل على معنى الصعلكة اللغوي والعرفي؛ فاللغوي هو الفقر والتجرد من المال، والعرفي: يشرح الصعلكة على أنها اللصوصية والتذؤب[4].

---

(1) ـ عبد الحليم حفني: (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) ط1 ، 1979م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 18.
(2) ـ الجوهري: (الصحاح) ط4، 1990م ، ج4 ، ص 1595، مادة صعلك.
(3) ـ ابو زيد القرشي : (جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام) د.ط ، 1981م ، تحقيق : علي البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص595.
(4) ـ عبد الحليم حفني: (مرجع سابق) ص 19-20، بتصرف.

أما معنى صعلكة في الأدب أو الاستعمال الأدبي لها فقد تترد هذه المادة في أخبار العصر الجاهلي وشعره بصورة واسعة، فقد وردت في المعاجم الصعلكة بمعنى الفقر، ولكن مفهومها الذي يتفق مع السياق الأدبي لايتفق تماماً مع مفهومها اللغوي ، فهذا عمرو بن برّاقة الهمداني يغير على إبله وخيله رجل من مراد، فيذهب بها،فيأتي عمرو فيغير على المرادي فيستاق كل شيء له، ويقول:

تقول سليمى: لا تعرّض لتلفة * وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جُلُّ ماله * حسامٌ كلون الملح أبيضُ صارمُ

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم * قليل إذا نام الخليُّ المسالمُ

ومن الواضح أن الصعاليك هنا في هذه الأبيات ليسوا أولئك الفقراء المعدمين الذين يقنعون بفقرهم، أو يستجدون الناس مايسدون به رمقهم، وإنما هم أولئك المشاغبون المغيرون أبناء الليل الذين يسهرون الليل في النهب والسلب والإغارة بينما ينعم الخليون المترفون المسالمون بالنوم والراحة والهدوء.

فالكلمه إذن قد خرجت من الدائرة اللغوية، دائرة الفقر إلى دائرة أخرى أوسع منها، هي دائرة الغزو والإغارة للنهب والسلب[1].

ويشبه هذا ما ورد في أخبار عديّ بن زيد من أن النعمان بن المنذر حبسه حتى مات، فأراد ابنه أن يثأر له من النعمان، فدبر مكيدة يوغر بها صدر كسرى حتى يقتله، وترامى خبر المكيدة إلى سمع النعمان، ففر من كسرى ولجأ إلى قبائل العرب، ولكن أحداً لم يجرؤ على إجارته، فقال له سيد من بني شيبان في حديث طويل معه: ((فامض إلى صاحبك، فإماّ أن صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً، وإما أن أصابك فالموت خير لك من أن يتلعب بك صعاليك العرب، ويتخطفك ذئابها، وتأكل مالك)). فمن الواضح أنّ الصعاليك هنا ليسوا هم الفقراء ، ولكنهم طوائف من قطاع الطرق كانوا منتشرين في أرجاء الجزيرة العربية، ينهبون

---

[1] ـ يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 24-25.

من يلقونه في صحرائها الموحشة الرهيبة، ويتلعبون به، ويأكلون ماله، وهذا السيد يعرف جيداً طبيعة الدور الذي يقوم به هؤلاء الصعاليك على مسرح البادية، وهو دور تعبر عنه تعبيراً دقيقاً هذه الألفاظ.

وبهذه الجولة ممكن الوقوف لتسجيل أن مادة ((صعلك)) تدور في دائرتين:

1-**الدائرة اللغوية:**

التي تدل على معنى الفقر، ومايتصلُ به من حرمان في الحياة، وضيق في أسباب العيش.

2-**الدائرة الاجتماعية:**

وفيها يرى المادة تتطور لتدل على صفات خاصه تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه، وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع.

ألم يلتفت اللغويون إلى هذا المعنى الاجتماعي؟ .

إذا أراد الباحث أن يجيب عن هذا السؤال، يعود مرة أخرى إلى النصوص اللغوية، وتلفت نظره تلك العبارات الغامضة التى يذكرها اللغويون في تعريفاتهم، ففى الصحاح ((وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم))[1].وفي القاموس المحيط: ((ذؤبان العرب أيضاً صعاليكها الذين يتلصّصون)) ، وفي أساس البلاغة: ((وهم من ذؤبان العرب: من صعاليكهم وشطّارهم))[2] وفي النهاية لابن كثير : ((يقال لصعاليك العرب ولصوصها ذؤبان لأنهم كالذئاب)).

ويظن الباحث أن هناك تعبيراً عن مفهوم المادة – صعلكة الاجتماعي– أشد دقة كما ذُكر آنفاً، وهو تعبير أبي زيد القرشي، قد تنبه إلى أن هناك جانبين لهذه المادة واستطاع أن يميز بينهما تميزاً دقيقاً ، واضحاً حيث يقول:(الصعلوك الفقير ، وهو أيضاً المتجرد

---

(1) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك....) ص 26-27.

(2) ـ محمود الزمخشري : (أساس البلاغة) ج1، ط1 ، 1998م ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية القاهرة مصر، ص548.

للغارات)[1] ومع ذلك أن هناك ألفاظاً أخرى تشارك الصعلكة في مدلولها العرفي أو الأدبي، وأشهر هذه الألفاظ : لص ، وذئب ، وفاتك ، وخليع، وشيطان، وشاطر، وبعض هذه الألفاظ ألصق بالصعلكة من بعض.

فاللص هو أقرب هذه الألفاظ إلى المدلول العرفي للصعلكة وذلك بحكم وصفه اللغوي ، وبحكم استعماله. وتتفق كتب اللغة مع الروايات الأدبية والأخبار على وصف الصعاليك بأنها ذؤبان العرب ، وتتفق أيضاً على أن لفظي ذؤبان وصعاليك يؤديان معنى واحداً يدور حول السطو واللصوصية .

أما لفظ "فاتك" فقد تذبذب بين استعمالين ، استعمال في معنى السطو وقطع الطريق، أي في معنى الصعلكة ، واستعمال عام يدور حول الجرأة والشجاعة وإن كان فيه شيئ من أساليب الصعاليك.

أما استعمال الجرأة والشجاعة ، فنجده في كتب المعاجم يقول القاموس المحيط: (فاتك: جريئ شجاع، وفتك به انتهز منه فرصة فقتله أو جرحه...)[2].

ويُلاحظ أنه يضيف إلى الجراة والشجاعة معنى آخر وهو المغافلة والغيلة ، وهذا المعني هو الذي يربط الفتك بالصعلكة ويجعلهما عند التطبيق في وصفٍ شخصي مايلتقيان بحيث يؤدي أحدهما معنى الآخر.

وهذان المعنيان للفتك ، الجرأة والغيلة ساقهما الصحاح حيث يقول :(الفاتك: الجريئ ، والجمع فُتّاك ، والفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غاز غافل حتى يشدعليه فيقتله. أما صاحب لسان العرب فقد أضاف إلى المعنيين السابقين معنًى آخر، هو معنى العزيمة وعلو الهمة مع الاستقلال بالرأي، فنجده يقول: ((الفتك: ركوب ماهم من الأُمور ودعت إليه النفس، والفاتك: الجرئي الصدر، وفاتك: جرئي وفتك بالرجل انتهز منه غرة فقتله أو جرحه، وقيل هو القتل أو الجرح مجاهرة وكل من قتل رجلاً غاراً فهو فاتك)).

---

(1) ــ يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 27.
(2) ــ عبد الحليم حفني: (شعر الصعاليك.....) ص20-21.

يقول عمرو بن براقة:

إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه * وصاح من الأفراط نوم جواثم

ومال بأصحاب الكرى غالباته * فإني على أمر الغواية حازم

فإنه حينما يوغل الليل في الدجي حتى يكفهر ، وحينما يوغل كل شيئ في النوم حتى يصفو الجو للنوم يتحول هو قوة مقدمة حازم .

وهذان المعنيان هما الرابطة بين الفتك والصعلكة في معناها العرفي من اللصوصية وقطع الطريق وما ينحو منحاهما[1].

وإن رجال اللغة قاربوا بين مدلول عدة الفاظ كصعلوك ، وذئب ، وخلع، وفاتك ولص ، وجعلوها في جملتها تنتهي إلى غاية واحدة ، هي التعبير عن (سلوك عدواني) وأن هذه الألفاظ تُعد صوراً وأساليب لهذا السلوك ، فأحياناً يكون لصوصية ويسمي لصاً ، وأحياناً يكون تذوباً أي فيه خلق الذئب ويسمي صاحبه ذئباً ، وأحيانا يكون فتاكاً فيه طابع المغارة والغيلة ، ويسمي فاعله فاتكاً ، وما إلى ذلك ، وأن هذه الأساليب تدخل في مفهوم الصعلكة.

وإذا رجع الباحث مجدداً لتعريف القرشي في جمهرة أشعار العرب حيث يقول: (الصعلوك الفقير، وهو أيضاً المتجرد للغارات) يوجد من استعمال بعض الشعراء للفظ صعلكة في المعنيين في قصيدة واحدة ، فهذا عروة بن الورد العبسي يوازن بين نوعين، الصعلوك الفقير، الذي رضي لنفسه عيش الخمول والمسكنة ، متسقطاً حسنات الناس ، وفضالهم ، مهيناً لنفسه بالذل والحاجة إلى الناس ، والصعلوك المتحرك والمتحفز، الذي يضع نفسه فوق الناس ، فارضاً رهبته وباسه عليهم ويجد الباحث عروة لائماً النوع الأول أشد اللوم ، راضياً عن الثاني أشد الرضا فيقول عن الأول:

لحى الله صعلوكاً إذا جن ليله * مضى في المشاش آلفاً كل مجزر

---

[1] ـ عبد الحليم حفني: (شعر الصعاليك....) ص 21-23.

يعد الغنى من دهره كل ليلة * أصاب قراها من صديق ميسر

قليل التماس المال إلا لنفسه * إذا هو أضحى كالعريش المجور

ينام عشاء ثم يصبح قاعداً * بحث الحصى عن جنبه المتعفر[1]

ويقول عن النوع الثاني موازناً بينهما:

ولله صعلوك صفيحة وجهه * كضوء شهاب القابس المتنور

مطلاً على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيح المشهر

وإن بعدو ألا يأمنون اقترابه * تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك أن يلق المنية يلقها * حميداً، وإن يستغن يوما فأجدر[2]

فقد استعمل لفظ صعلوك في النوع الأول في مدلوله اللغوي، وهو الفقير المجرد من المال، واستعمله في النوع الثاني في الدلالة العرفية أي: للفظ في المجتمع ، وهو الشخص المتحفز دائماً للسطو وللعدوان وذلك في قصيدة واحدة.

وكذلك فعل السليك بن السلكة، فقد استعمل اللفظين في قصيدة واحدة، أحدهما في المدلول اللغوي، والآخر في المدلول العرفي فيقول مخاطباً امرأة:

فلا تصلي يصعلوك نؤوم * إذا أمسى يعد من العيال

ولكن كل صعلوك ضروب * بنصل السيف هامات الرجال[3]

---

(1) – عبد الحليم حفني: (شعر الصعاليك....) ص 26.

لحى: لعن. المشاش: رؤس العظام اللينة التي تمضغ. مجزر: مكان الجزر، أي: يجمع العظام اللينة مكان الذبائح ليقتات بها ، من باب المبالغة الساخرة.. يعنى غاية ما يتمناه أن يتفضل عليه محسن بأكله. العريش: خيمة من خشب أو جريد. المجور: الساقط.

(2) – صفيحة وجه : بشرته. القابس: الذي يقتبس النار . المتنور : المضي. مطلاً : مشرفاً على أعدائه يهددهم بالغزو والسطو. المنيح: إشارة إلى نوع من الأقداح كانوا يضربونها. المشهر: المشهور. المنتظر: يعني توقعهم السطو منه يشغلهم شغل الأهل بعودة الغائب المرتقب الاوبة.

(3) – عبد الحليم حفني: (شعر الصعاليك....) ص 30-31.

والظاهرة الواضحة في حياة هؤلاء الصعاليك، هي أنهم جميعاً فقدوا توافقهم الاجتماعي، وظاهرة التوافق الاجتماعي هي الأساس الذي تقوم عليه الصلة بين الفرد والمجتمع، وفقدان هذا (التوافق الاجتماعي) ينتهي بالفرد عادة إلى أن تكون صلته بمجتمعه قائمة على أساس (السلوك الصراعي).

وكما ذكر سابقاً أن كلمة ((الصعلكة)) تدور في دائرتين: دائرة لغوية، ودائرة اجتماعية.

وتبدأ الدائرتان من نقطة واحدة هي الفقر، فأما الدائرة اللغويه فتنتهى حيث بدأت، يبدأ الصعلوك فيها فقيراً، ويظل في نطاقها فقيراً، يخدم الأغنياء، ثم يموت فقيراً.

وأما الدائرة الاجتماعية يبدأ الصعلوك فيها فقيراً ثم يحاول أن يتغلب على الفقر الذي فرضته عليه أوضاع اجتماعية أو ظروف اقتصادية، وأن يخرج من نطاقه ليتساوى مع سائر أفراد المجتمع ولكنه – من أجل هذه الغاية – لايسلك السبيل التعاوني، وإنما يدفعه (لاتوافقه الاجتماعي) إلى سلوك السبيل الصراعي فيتخذ من (الغزو والإغارة للسلب والنهب) وسيلة يشق بها طريقه في الحياة، فيصطدم بمجتمعه الذي يرى في هذه الفوضوية مظهراً من مظاهر التمرد، وتنقطع الصلة بين المجتمع والصعلوك، فيتخلى المجتمع عنه ويحرمه حمايته ، ويعيش الصعلوك خليعاً مشرداً، أو طريداً متمرداً، حتى يلقى مصرعه.

ويستطيع الباحث أن يقول في ضوء هاتين الدائرتين اللغوية والاجتماعية أن هناك نوعين من الصعاليك:

1-الصعلوك العامل: وهو الذي يمثل صعاليك الدائرة الاجتماعية.

2-الصعلوك الخامل: وهو الذي يمثل صعاليك الدائرة اللغوية [1].

---

[1] ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك....) ص 61 بتصرف.

المبحث الثاني

الدوافع الاجتماعية لظاهرة (الصعلكة)

حين يُنظر إلى المجتمع الجاهلي في صورته العامة يُرى أنه مجتمع قبلي، انقسم فيه العرب إلى وحدات اجتماعيه متعددة ، عرفت كل منها باسم القبيلة .

وقد نزلت كل وحدة من هذه الوحدات الاجتماعية في بقعة من الجزيرة العربية يتوافر فيها الماء والكلأ، واتخذت منها موطناً لها ، فإذا ما ساءت الظروف الجغرافية، فأحالت موطنها إلى بقعة جرداء غير صالحة للحياة، انتقلت منها إلى بقعة أخرى .

وقد نشأ من هذه الظروف إيمان بوحدة اجتماعية تغلغل في نفوس أبناء القبيلة، نشأ عنه أن إحساسهم بالشذوذ في هذه الوحدة إحساس قوي أصيل، ومن هنا كان حرصهم على أن تظل هذه الوحدة قائمة كما هي، نقية كما آمنو بها، يخرجون منها ما يرونه شوائب فيها، ولا يبقون إلا ما هو صالح للمحافظة عليها، ولا يسمحون لغريب بأن يدخل في مجموعها إلا بشروط خاصة ، ووفقاً لتقاليد معينة، وداخل نطاق محدد[1]، وهذه هي أول الدوافع الاجتماعية لظاهرة الصعلكة، التي يمكن توضيحها فيما يلي:

1 -إيمان القبيلة بوحدتها :

عرفت القبيلة هذا الإيمان بالوحدة أمراً مقدساً، وترتبت عليه طائفة من التقاليد الاجتماعية كانت بمثابة (دستور) ينظم سياستها، ويحدد ما على أفرادها من واجبات وما لهم من حقوق ، والأساس الذي تقوم عليه نصوص الدستور(العصبية) والمقصود بها(النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة)[2].

---

(1) - يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ط 3 ، 1966م، دار المعارف،القاهرة مصر ، ص 89- 91.
(2)– ابن خلدون: (المقدمة) ط1 ، 2004م ، تحقيق عبد الله الدرويش ، دار يعرب مصر، ص 128.

وينص هذا الدستور فيما يتصل(بالسياسة الداخلية للقبيلة) على أن أفراد القبيلة جميعاً متضامنون فيما يجنيه أحدهم، وأن هذا(العقد الاجتماعي) بين الفَرد والقبيلة قائم على أساس عاطفي بحت، ولا مجال للتفكير فيه.

وفي مقابل هذا الحق الذي كان للفرد على القبيلة، كان عليه أن يحترم رأيها الجماعي، فلا يخرج عليه، ولايتصرف تصرفاً بدون رضاها، ولا يكون سبباً في تمزيق وحدتها أو الإساءة إلى سمعتها بين القبائل أو تحميلها ما لا تطيق فيقول أبو سفيان:(لست أخالف قريشا، أنا رجل منها ما فعلتْ فعلتُ) ومن هنا(فرضت وحدة القبيلة، وتحمل الجموع لتبعات الفرد، على سادتها أن يمارسوا نوعاً من الإدارة البوليسية، فإذا ارتكب فرد جرماً رفضت القبيلة أن تتحمل نتائجه، وإذا أخطأ في حق قبيلته نفسها، فإنه يطرد منها)[1]

كل هذا يعني أن ارتباط الفرد بالقبيلة ارتباط محكم ولاشعوري، يجري في عروقهم مع الدم، وأصبح سلوكاً كالعادة والتقليد، يفعلونه بالعاطفة من دون تفكير، وينفرون من الذي يخل به بالعاطفة وبدون تفكير أيضاً، فالكل متضامنون مع بعضهم في السراء والضراء، يقول الشاعر في بيت مشهور:

وما أنا إلا من غزيّة إن غوت * غويتُ وإن ترشد غزيّة أرشد

ولهم مثل في ذلك : (في الجزيرة تشترك العشيرة)

يعزّز هذا قول قريط في الحماسة:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال بُرهانا

وهذا يعني أن الفرد وإن جنى فهو في مأمن تنجده القبيلة بدون سؤال عن فعله الذي فعله أو جنايته التي ارتكبها، وهم يلبون نجدة أيّ فرد من القبيلة دون أن يعرفوا من هو أو من الذي دعاهم للنجدة وفي أي موضع، ويعزّز هذا قول المازني في الحماسة:

---

[1]- يوسف خليف (مرجع سابق) ص 92.

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ** لأيّة حرب أم بأيّ مكان[1]

وخلاصة القول، إن الفرد هنا إن فعل جناية فهو محمي بقبيلته، وجنايته معصوبة برأس العشيرة وهو سيدها.

واستناداً على ماسبق ذكره يمكن للباحث أن يتصور فرداً ليس له قبيلة، أو خلعته قبيلته فأصبح فرداً، لا ظهر له ولاسند ولا حماية، بين هذه الجماعات القبلية القاسية، التي تغير بعضها على بعض، المتنازعة على موارد الكلأ والماء، التي تتعامل بإدراك الثأر مهما كلف ذلك، والتي تقتل لأتفة الأسباب، ويروح دمه هدراً، لا أحد يسأل عليه ولا يدرك ثأره، فهذا المعرّض للقتل في أي لحظة، يشعر ألا أمن له، ولا استقرار بين هؤلاء، ولايهنأ له عيش حتى يجد ملجأً أو ملاذاً، وحتى يجد طريقة أخرى للمعيشة.

وهنا يجد الخليع نفسه أمام مشكلة خطيرة، هي مشكلة الحياة أو الموت، لقد سُحبت منه (الجنسية القبلية) ورفعت القبيلة عنه حمايتها، وطردته من حماها، ولم يعد أمامه إلا أحد أمرين: إما أن يفر إلى الصحراء ليلاقي مصيره في البادية القاسية فقيراً مفرداً، لااعتماد له على أحد، ولا على شيء[2]، وإما أن يلجأ إلى من يحميه ويعيش في جواره ؛ ومن هنا كانت نشأة قانون آخر من قوانين المجتمع الجاهلي، وهو(قانون الجوار).

وطائفة الصعاليك(الشّذّاذ) رفضت قانون الجوار- وهو العيش في مقام القبيلة التي أجارتها، فاندمجت في مجتمعها وطابت لها الحياة الجديدة -وخرج هؤلاء الصعاليك إلى حياتهم الجديدة، ليجدوا في الصحراء متسعاً لنشاطهم المتمرد الذي لايحتمله مجال القبيلة الضيق، وليشقوا طريقهم في الحياة بأسلوبهم الذي اعتادوا عليه، دون أن يعتمدوا على أحد سوى قوتهم، ويبدو أن هؤلاء الصعاليك المتمردين كانوا ينظرون إلى القبائل أنها نقط ارتكاز لنشاطهم).[3]

---

(1) ـ المازني : (حماسة أبي تمام) ج 1 ، ص 9.
(2)ـ يوسف خليف: (مرجع سابق) ، ص 95.
(3) ـ يوسف خليف: (نفسه) ص 98.

فقد كان قيس بن الحدادية(صعلوكاً خليعاً) خلعته قبيلة خزاعة لأنه اشترك مع جماعة من أسرته في قتل أحد أفراد قبيلتهم، وعجزوا عن دفع الدية ففروا هاربين، (فنزلوا في فراس بن غنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا، فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز فآواهم ، وأحسن إلى قيس، وتحمل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس).

وألف قيس بعد خلعه عصابة من صعاليك العرب جمع فيها(شذاذاً من العرب وفتاكاً من قومه) .وكان اول ما فعلته هذه العصابة أن حاولوا الإنتقام لأنفسهم من هؤلاء الذين كانوا سبباً في خلعهم، فأغاروا عليهم وقتلوا منهم رجلاً واستاقوا أموالهم[1].

وظل هذا الصعلوك المتمرد يجمع الخلعاء والشذاذ ويغير بهم حتى قتل وهو خليع.

فهذا الخلع هو الذي دفع الصعاليك إلى احتراف الصعلكة مهنياً مع الاستقرار في الصحراء .

2 -إيمان القبيلة بجنسها:

كما آمنت القبيلة بوحدتها هذا الإيمان العميق الذي ترتب عليه ظهور هذه الطائفة من التقاليد الاجتماعية، آمنت بجنسها، وذلك لأن من الأسس التي قامت عليها القبيلة العربية إيمان أبنائها (برابطة الدم) أي أنهم جميعاً من دم واحد .

وقد نشأ عن هذا الإيمان بوحدة الجنس في نفوس أبناء القبيلة إيمان بامتيازه، فقد آمنوا بأنهم جنس ممتاز لاتفضلهم قبيلة أخرى، وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

حديا الناس كلهم جميعاً ** مقارعة بينهم عن بنينا

---

(1) ـ أبو الفرج الاصفهاني (الأغاني) ج 13، ص 8.

ويقول التبريزي: (قالوا معنى حديا الناس كما تقول واحد الناس، وقيل معناه نحن أشرف الناس)[1].

وهم يفضلون كل القبائل، آباؤهم أشرف آباء، وأمهاتهم أكرم أمهات، وهم أجدر الناس بأن يكونوا خير الناس، وفي كل ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

إني لمن قوم بنى الله مجدهم * على كل باد في الأنام وحاضر

وأيضاً:

إنا بني نهشل لاندعى لأب * عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

وأيضاً :

وأماتنا أكرم بهن عجائزاً * ورثن العلا عن كابر بعد كابر

وايضاً :

ونحن بنو ماء السماء فلا نرى * لأنفسنا من دون مملكة قصراً

ولعل في هذا الإيمان بامتياز الجنس ما يفسر تلك المنافرات التى امتلأت بها أخبار العصر الجاهلي، وذلك الفخر الذي تدويّ أصداؤه في قصائد شعرائه ، ومما شجع على هذا الإيمان بامتياز الجنس في نفوس أبناء القبيلة صلاة العداوة بين القبائل المختلفة التى كانت تسطير على الحياة الاجتماعية في هذا العصر الجاهلي[2].

وقد نشأ عن هذا (الإيمان بوحدة الجنس وامتيازه) طائفة من التقاليد تنظم العلاقات بين الطبقات الاجتماعية الثلاث: أبناء القبيلة ، والعبيد، الموالي .

---

(1) ـ يوسف خليف ، (مرجع سابق)، ص13.
(2)ـ ابن خلدون : (مرجع سابق) ص 131- 135.

وفي طائفة العبيد كان يحدث أحياناً أن تبيع القبيلة أسراها الذين حصلت عليهم من الحرب فينضموا لهذه الطائفة. أما في العنصر العربي، فقد اشتعلت حرب بين لحيان وخزاعة (فكان بعضهم لا يزال يغزو بعضاً، فإذا أصابت بنو لحيان من خزاعة أحد باعوه) وكان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضاعة (أصابه سباء في الجاهلية لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر فأخذوا زيداً، فقدموا به سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، وقيل اشتراه من سوق (حباشة)، وكانت أم عمرو بن العاص (من بني عنزة أصابها رماح العرب فبيعت بعكاظ)[1]

أما العنصر الآخر الذي شارك في تكوين طبقة العبيد، وهو عنصر غير عربي، فقد كان مصدره البلاد المجاورة: كالحبشة وما حواليها من الأمم، فكان تجار الرقيق يحملون العبيد والإماء من هذه البلاد إلى جزيرة العرب يبيعونهم في أسواقها بالمواسم[2] ولم يكن إلى المسألة من جانبها الإنساني، وإنما هي تجارة كسائر التجارات تتخذ منها القبائل وسيلة للربح.

ويخرج هؤلاء(الأغربة) – أبناء الإماء وأبناء العبيد– إلى الحياة، وقد وسمتهم الطبيعة بذلك اللون الذي يبغضه مجتمعهم، والذي لا يد لهم فيه ، ولا خروج لهم منه، فإذا هو يحول منذ البدء دون أن يعترف بهم آباؤهم، ثم إذا هو بعد ذلك يقف صخرة تتحطم عليها آمالهم في أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية، ولا يهيئ لهم إلا فرصة ضيقة للحياة على هامش المجتمع حياة ذليلة محتقرة يخدمون فيها سادتهم، ويقومون لهم بتلك الأعمال الفرعية التى يأنفون هم من القيام بها، أما الأعمال الأساسية فلايقوم بها إلا أبناء الحرائر فيقول الشاعر:

لا يكشف الغماء إلا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها[3]

---

(1)- السكري : (شرح أشعار الهذليين) ط1 ، د.ت ، تحقيق عبدالستار فراج ، مطبعة دار المدني القاهرة ، ص 116.
(2)– جرجي زيدان : (تاريخ التمدن الإسلامي)ط 3 ، 1921، مطبعة هلال مصر ، ج 4 ، ص 20.
(3)- التبريزي: (حماسة أبي تمام) ط1 ، 2000م ، تحقيق غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ج 1 ، ص 25.

ويقول التبريزي : (يعنى أن أبناء الحرائر هم الصابرون على المكاره في ابتناء المجد واكتساب الشرف)[1] .

وبعض من هذه الفئة أو الطائفة كان يرفض تلك الحياة (الهامشية) ويتمرد على ذلك الوضع الاجتماعي الذليل المحتقر الذي فُرض عليه ؛ لأن لديه من القوة النفسية ما يجعله يرفض قبوله، ومن القوة الجسدية ما يمكنه من رفع راية العصيان في وجه هؤلاء السادة .

وقد خرج هؤلاء الأغربة الأقوياء على أوضاع القبيلة ، ورفضوا الحياة الذليلة التي فرضتها عليهم ، وخرجوا من حماها، ليشقوا طريقهم في الحياة بالأسلوب ، الذي يضمن لهم حياة كريمة حرة تعتمد على القوة في سبيل الحصول على الحق[2] .

من هؤلاء الأغربة المتمردين تألفت جماعات من صعاليك العرب ، وقد انضمت هذه الطائف من الصعاليك الأغربة إلى الطائفة السابقة من الصعاليك الخلعاء والشذاذ ، ليشتركوا جميعاً في العمل ضد هذا المجتمع الذي فقدوا توافقهم الاجتماعي معه ، إما لأنه تخلى عن رعايتهم كما في حالة الأغربة ، وإما لأنه تخلى عن حمايتهم كما في حالة الخلعاء والشذاذ[3] .

3-عدم وجود دولة جامعة :

ويُعني بذلك عدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة، ويحس أفراد هذه الأمة ، بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها خضوعاً يؤثر في سلوكهم، تكون هذه القوة في صورة قانون يخضع له أفراد الأمة ويحسون بسلطانه على نفوسهم وسلوكهم.

فهذه القوة المؤثرة الجامعة هي التي يُعني فقدانها في العرب قبل الإسلام[4] .

---

(1)- يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في عصر الجاهلي) ، ص 111.
(2)- يوسف خليف: (نفسه) ص 112.
(3)- يوسف خليف: (نفسه) ص 116.
(4)- عبد الحليم حفني : (شعر الصعاليك ، منهجه وخصائصه) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 42.

ومن ثم لا يرى الأفراد حاجزاً على سلوكهم ولا حائلاً بينهم وبين ما يرتضونه لأنفسهم من سبل السلوك ، سواء كان هذا السلوك صعلكة أو غيرها ففي الجاهلية لم تكن هنالك سلطة (رسمية) فوق الصعاليك، فلسفة المجتمع بعاداته وتقاليده فالصعاليك لايؤمنون بأي سلطان من أي نوع .

وتُوجد هذه النزعة شائعة في شعرهم ، فالشنفرى يعبر عن ثورته على المجتمع البشري كله بالهجرة عنه إلى مجتمع الوحوش ساخطاً عن الأول راضياً عن الثاني ، فيقول من اللامية الشهيرة[1]:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فإني إلى قوم سواكم لأميل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى * وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك مافي الأرض ضيق على امرئ * سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

وتأبط شراً يأبى أن يخضع لأعراف المجتمع وتقاليده، ويصر على أن يفرض نفسه وسلوكه على المجتمع ، فإذا-لم يقبل الناس منه ذلك فإن في الأرض متسعاً له لايعبر عنه بالأماكن، وإنما بالآفاق ، فيقول :

إني زعيم لئن لم تتركوا عذلي * أن يسأل الحي عني أهل آفاق

أن يسأل القوم عني أهل معرفة * فلا يخبرهم عن ثابت لاقي

وهكذا نجد نزعة التحرر من السلطة والنفور منها شائعة في شعر الصعاليك ، وقد شاعت ظاهرة الصعلكة لعدم وجود السلطة، ومفهوم ذلك أنه حين توجد هذه السلطة لاتوجد الصعلكة كظاهرة احتماعية وإنما حالات فردية ، فالشذوذ لا يخلو منه مجتمع

وهذه الحقيقة هي التي يهدف الباحث للوصول إليها، فإن عدم وجود سلطة في المجتمع الجاهلي كان من الأسباب الأساسية في وجود الصعلكة كظاهرة[1].

---

[1]_ عبدالحليم حفني : (نفسه) ص 44- 46.

وكانت تقاليد وأعراف المجتمع الجاهلي تخضع أكثر مايخضع لعاملي القوة والمنفعة الذاتية ، فحيثما وجدت القوة ، خضع لها المنطق والعرف، وحيثما وجدت المنفعة الذاتية كانت أول الأهداف، وهذا لا يمنع أن تكون هناك أهداف أخرى من المصلحة العامة والحفاظ على الخلق الاجتماعي والتقاليد المتوارثة، ولكنها جميعاً تأتي بعد ذلك الهدف، وهو المصلحة الذاتية، ولكن هذه الأعراف والمصلحة الذاتية لم تأخذ صفة الإلزام بحيث يتقيد الأفراد بالتزامها، ولعدم وجود سلطة تقوم على تنفيذها .

والصعاليك كانوا أقدر أفراد المجتمع على انتهاك هذه الأعراف والتنكر لها ؛ لأنهم يملكون أمرين مهمين في هذا المجال، أحدهما القوة المتحررة من كل قيد وسلطان، والتي تسير دفة الحياة في مجتمعهم ، والآخر أنهم أكثر أفراد المجتمع وطوائفه تحللاً من روابطه، لذلك لم يكن المجتمع بما فيه من تقاليد وأعراف حجراً على حريتهم وسلوكهم، ولذلك يُرى الشنفرى يقتل قاتل أبيه وهو محرم بالحج ، مخالفاً بذلك عرف المجتمع، بل مفاخراً بذلك فيقول:

قتلنا قتيلاً مهدياً بملبد * جمار منى وسط الحجيج المصوت

جزينا سلامان بن مفرج قرضها * بما قدمت أيديهم وأزلت[2]

أما من الناحية الاجتماعية السلوكية، فلم يكن لعبادة الأصنام فيها أثر، فلم يمتنع أحد من سلوك معين خوفاً من الأصنام، وإذا كانت عبادة الأصنام لم تستطع أن تمنع أحداً منهم عن شيئ، فأولى ألا تحمل ولا تمنع الصعاليك والفتاك، الذين لا يؤمنون بشيئ إلا بأشخاصهم، ضاربين بالمجتمع وما فيه، وبسخطه ورضاه عرض الحائط ، كما يقول أحدهم :

---

(1) ـ عبدالحليم حنفي : (مرجع سابق) ص 46.
(2) ـ عبدالحليم حنفي : (مرجع سابق) ص 50-51.

غلام إذا ماهم بالفتك لم يبل * ألامت قليلاً أم كثيراً عواذله[1]

وحتى المشورة التي تواضع المجتمع على أنها سداد وحزم ، يرونها ترددا وعجزاً، كما يقول أحدهم:

وما العجز إلا أن تشاور عاجزًا * وما الحزم إلا أن تهم فتفعلا

وخلاصة القول إنه لم تكن هناك سلطة جامعة أو قانون جامع أو دين واحد، يمنع وجود طائفة الصعاليك، أو تحجر سلوكهم حين يوجدون .

4- ظهور زعامات غير متزنة:

فقد كانت في هذا العصر الجاهلي دوافع أسهمت في نشأة الصعلكة وفي انتشارها، وهي ظهور زعامات غير متزنة في هذا المجتمع ، كانت هذه الزعامات تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر، وهؤلاء الرؤساء لم يكن هناك قانون ينظم وصولهم إلى الرياسة وإنما كانت هناك صفات تعارفوا على أن يسودوا من يتحلى بها، وتلك الصفات تم ذكرها في الحياة الاجتماعيه من هذا البحث .

ولم تكن لهؤلاء الرؤساء ضوابط أو أسس تقوم عليها رئاساتهم اندفع بعضهم في بغض لا يتقبله المجتمع ، وظلم تأباه طبيعة مجتمع لم يألف الذل قط ، ولكن هذا البغض استطاع أن يستغل بعض الظروف في شخصيته أو عصبيته، فيطغى ويبغى، وهذا البغي والطغيان من شأنه أن يدفع بعض النفوس الأبية إلى التمرد ومحاولة صده والخروج عليه.

على أنه من مظاهر ظلم بعض هؤلاء السادة احتكارهم موارد الرزق المحدودة في البيئة، وتضييقهم على الناس بما فيه أقوامهم، ويدل على ذلك ثراؤهم الفاحش إذا قورن بالفقر الشديد الذى يعانيه الناس من حولهم[2] .

---

(1) ـ عبدالحليم حفني : (نفسه) ص 52

(2) ـ عبدالحليم حنفي : (مرجع سابق) ص 54.

ومن أمثلة البغي في مصادر الرزق احتجاز كليب التغلبي سيد ربيعة للمراعي بل ولمواقع السحاب لنفسه دون الناس جميعاً بما فيهم قومه .

وبذلك يكون هؤلاء السادة قد أسهموا مع الظروف في قسوتها على مجتمع محدود الموارد. ومن الطبيعي أن يكون هذا السلوك عاملاً من عوامل تمرد بعض الأفراد، ولجوئهم إلى وسائلٍ كالصعلكة .

إذا كان في المجتمع من يأبى الظلم ويتمرد عليه ، ويرفض البغي ويتصدى له، وإذا كان في المجتمع من يؤلمه الفقر الذي أسهم السادة في خلقه، وإذا كان في المجتمع من تغريه أموال هؤلاء السادة بالتلصص إليها والسطو عليها، فأولى الناس بذلك هم الصعاليك؛ لأنهم أكثر الناس امتلاكاً للوسائل المضادة، وأقواهم على استخدامها، سواء أكانت مضادة البغي والظلم، أم مضادة الإحساس بالفقر، أم مضادة الثراء والغنى[1].

وشيخ القبيلة عند العرب-زعيم كبير جداً لا يرقي إلى مرتبته أحد مهما كان وفي ، يقول أحمد أمين:(وقد أنتجت الحالة الاجتماعية في جزيرة العرب هذه الصعلكة ؛ لأن أكثرهم كان من الفقراء ولا يجدون ما يأكلون، وإذا حصلوا على شيء من غارة أو نحوها، فشيخ القبيلة هو الذي يأخذ من الغنيمة حصة الأسد، وهم لايأكلون إلا الفتات)[2]

وفي ذلك يقول الشاعر في شيخ القبيلة :

لك المرباع منّا والصفايا * وحُكمُك والنشيطة والفضيلة .

وهي قسمة لا يرضى بها أحد، ولكنه قانون القبيلة، وهذا لا يستطيع الفقراء تجاوزه، وهذا مجال للتمرد على قانون القبيلة، وهذا الأمر يفضي إلى الصعلكة .

5- طبيعة البيئة:

---

(1) - عبدالحليم حفني: (نفسه) ص 45- 55.

(2) - أحمد أمين : (الصعلكة والفتوة في الإسلام) ط 3 ، 2010م ، دار المعارف القاهرة ، ص 2.

سيطرت على المجتمع العربي حينذاك ظروف كثيرة ومنها طبيعة البيئة، ويُعنى بها طبيعة الأرض ومناخها وقد أسهمت بوضع الصلات الاجتماعية بين الجماعات والقبائل و الأفراد .

وهذه البيئة جديرة أن تخلق القسوة والعنف في أكثر من ناحية وأهمها الصراع الدائم بين القبائل ، والغزو والإغارة . وفي حقيقة الأمر تشبثت كل جماعة بالحياة وحرصها على إثبات الكيان .

فالغزو والإغارة بين الجماعات كانت أهدافه غير مباشرة من التشبث بالحياة وإثبات الكيان، وكانت هناك أهداف مباشرة أهم وأعمق سواء كانت هذه الأهداف انتقاماً وقصاصاً، أم كانت طمعاً ورغبة في المال والجاه ، إم كانت إرهاباً وتهديداً ، فتُجد أخبارهم حافلة بالغارات التي تبدأ غالباً بالطمع في المال ثم تأخد طابعاً آخر وهو الانتقام بغارة ترد بها الجماعة المظلومة على الفئة الظالمة ثم تتالى، حتى أسلوب الغارات لم يكن يقف على طائفة معينة كانت تزاوله كل طبقات المجتمع ، بل تحول أسلوب الغارات عند السادة وزعماء القبائل إلى نوع من قطع الطرق على القوافل واللطائم وهذا النوع كان في نظرهم مظهراً من مظاهر القوة والمنعة، ولذلك نجد أخبار قطع الطريق تتردد كثيراً في تراجم سادة القبائل ورؤوسها، ومنهم: عامر بن الطفيل، كان يوصف من شياطين وقطاع الطرق، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى، والحارث ابن بدر أحد سادة بني تميم، والنابغة الذبياني الشاعر المشهور الذي ورد أنه كان يغزو للسلب والنهب والغنيمة مع رفيقه زياد بن ياسروغيرهم.[1]

وكان السطو والغزو وقطع الطريق ميداناً مرموقاً يتنافسون فيه، ولكن لم يكن يبرز فيه إلا ذوو القوة والبأس الشديد، والصعاليك كانوا يملكون هذه القوة وهذا البأس، وكان معظمهم يملكون قوة يتميزون بها عن المجتمع ، هي سرعة العدو الذي يصفونه بأنه يسبق الخيل مثل: الشنفرى، وتأبط شراً، والسليك، وأبو خراش، وأبو براقة.

---

(1) - عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ص 67- 68.

وهذه القوة كانت تمثل حصناً منيعا يتيح لهم حرية التنقل، ويتيح لهم الأمن من المخاطر[1].

والبيئة الصحراوية ذات المناخ الحاد، والموارد الطبيعية المحدودة، التي تعتمد على المطر تجود به السماء في فترات متباعدة غير منتظمة، والتي يسيطر عليها الجفاف والجدب وكان هذا عاملاً فعالاً في وجود الفقر، وأن الظروف الاجتماعية التي تسود البيئة الصحراوية توصد أبواب الرزق في وجوه أبنائها، وتجعل من العمل في سبيله مهمة شاقة غير مثمرة ، فهي حياة تعرف الكدح الكثير ولكنها تضيع ثمرته .

فهذه السهول القاحلة تحول دون نمو الثروة الانتاجية ، فيما عدا قطعان الغنم والماشية، كانت هذه البيئة الطبيعية عاملاً في وجود الفقر كانت عاملاً في إحساس الفقراء إحساساً قويا به، كما أن البيئة أغدقت على طائفة من الناس ماءً لا ينضب، وكلأ لايجف، وثروة لاتهددها الطبيعة في كل لحظة بالفناء، بقدر ماسلطت على أبناء المناطق المجدبة الحرمان جفافاً وجدباً وفقراً ، وكل هذه الفوارق الطبيعية التى تثير في نفوس الصعاليك الثورة والتمرد[2] .

والبيئة الصحراوية تربي في نفوس أبنائها صفات الشجاعة والجرأة والكبرياء العنيدة، والاعتماد على النفس ومواجهة المخاطر، كما يذكر ابن خلدون: (وأهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر... قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية)[3].

وإن هؤلاء الرجال الأقوياء من أبناء الصحراء يرفضون الاعتماد على الزراعة أو الصناعة، ولا يجدون سبيلاً إلا في الرعي أو التجارة أو الصيد أو النهب، وكان صعاليك العرب يرفضون الرعي؛ لأنهم يرون فيه عملاً من أعمال العبيد الأذلاء. أما التجارة فلم يكن لهم فيها مجال، لاعتمادها على رأس المال، فلم يبق أمامهم سوى الصيد والنهب.

---

(1)ـ عبدالحليم حفني: (مرجع سابق) ص 69.
(2) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 74.
(3) – ابن خلدون: (المقدمة) ص 125.

هكذا خلقت الصحراء هؤلاء الرجال الأقوياء، ووضعتهم في بيئتها الفقيرة، وضيقت عليهم موارد العيش، وأوجدت في جوارهم بيئات خصبة تفيض بالمال والثراء، فلم يكن هناك مفر إلا الغزو والإغارة للسلب والنهب.

وانتشر صعاليك العرب في البادية يقطعون طرقها، وينهبون ويسلبون، ويثيرون في أرجائها الرعب والخوف ، ويغيرون على المناطق الخصبة، ويعترضون القوافل التجارية، حتى لتضطر إلى أن تخرج مسلحة في حرس شديد[1].

وتتدخل البيئة مرة أخرى لترسم لهؤلاء الصعاليك المغامرين طريقهم، وتحدد لهم مناطق نشاطهم، فتكون تلك المناطق الخصبة، وليس من الممكن أن يعيش بدو الصحاري وحضر السهول الزراعية في أي مكان متجاورين في سلام، وقد اتخذ صعاليك العرب من مناطق الخصب في الجزيرة العربية أهدافاً لهم يتجهون إليها، ومناطق نشاط يعملون فيها، ويذكر تأبط شراً أن[2] أهدافه هي تلك المزارع الخصبة حيث الماء والزرع والماشية :

فيوماً على أهل المواشي وتارة * لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل[3]

وأيضاً يذكر أبو خراش بمثل ذلك:

لست لمرةَ إن لم أُوفِ مرقبة ** يبدو لي الحرفُ منها والمقاضيب[4]

وأهم مناطق الخصب في الجزيرة العربية هي: اليمن ونجد وبعض مناطق السراة، ويثرب والوديان المحيطة، وكل هذه المناطق تعرضت لغزوات الصعاليك.

وقد توزع نشاط الصعاليك بين هذه المناطق، حتى ليوشك أن تكون لكل جماعة من جماعاتهم مناطق اختصاص يتركز فيها نشاطهم.

---

(1) – يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 75– 76.

(2) – يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 77.

(3) – التركيب: المزرعة، والثميل: الحب.

(4) – مرة: أبوه، أوفي: أشرف ، والحرف من الجبل : أعلاه المحدد ولعل هذا تحريف صوابه (الحرث) بمعنيّ النبات ، بدليل (المقاضيب) ، بعدها: وهي أرض تنبت النبات الرطب.

فقد تركز عروة بن الورد وصعاليكه في منطقة يثرب وما يجاورها من شمالي الجزيرة العربية، وفي شعره أخبار كثيرة عن غزواته لهذه المنطقة فيقول :

فإنكم لن تبلغوا كل همّتي * ولا أربى حتى تروا منبت النخل

وبذلك يعلن صعاليكه بأنهم لن يحققوا كل آماله، ولن يبلغوا أقصى همته، حتى يصلوا إلى يثرب منبت النخل فيغيروا عليها.

ويقول عروة أيضاً:

فيوماً على نجد وغارات أهلها * ويوما بأرض ذات شث وعرعر

وهنا يصرح عروة بأنه يغير أحياناً على نجد وأحياناً على تهامة، وهي مناطق غير مناطق اختصاصه يثرب وماحواليها.

ولكن يبدو للباحث أن عروة أراد بذكر غاراته لوناً من ألوان التسلية أراد به أن يظهر براعته وسعة حيلته.[1]

6-الوراثة:

الوراثة من العوامل الإنسانية الموجهة لحياة البشر قاطبة، والعرب كانوا يعرفون الوراثة ويقدرون آثارها كما ذُكِر سابقاً، بل كانوا يعتزون بها إلى حد المبالغة والإفراط في كثير من الأحيان، حتى أنه يمكن إرجاع كثير من عاداتهم الاجتماعية الحيوية إلى تقديرهم للوراثة.

وهذا الاهتمام واضح لايخفى على العين الباصرة وهو واضح في سيادة القبيلة أو زعامتها لاتكون إلا لعربي صرف، وكنفورهم أحياناً من التزوج لغير العربيات حفاظاً على توارث الدم العربي، ومن ذلك ناتج احتقار أبناء غير العربيات، وحتى عدم نسبهم إلى آبائهم العرب ، بل كانوا ينسبون إلى أمهاتهم ، ومن أخبارهم كانوا يدركون أثر الوراثة، قولهم: (من أشبه

---

[1] - يوسف خليف: (مرجع سابق) ، نص 78- 80.

أباه فما ظلم)، (شنشنة أعرفها من أحزم)[1] وفي الحديث قوله الرسول صلى الله علي وسلم:(تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس)[2]. أسناد ضعيف.

وكانوا ينظرون إلى الوراثة في فهمهم تصل إلى حد النزعات النفسية ، ومنها قولهم في منافرة قامت بين سيدي عشيرة قال أحدهما:(أبادلك العداوة ما حيينا)

فيرد الآخر بقوله:(ونحن إذا متنا نورثها البنينا)

ومن الطبيعي جداً أن يكون سلوك الصعلكة نابعاً من النزعة النفسية موروثاً، وبما أن الصعلكة ظاهرة اجتماعية، فإن الوراثة بظروفها المهيأة نمّت روادها ومزاوليها.

ويجد الباحث بعض القبائل اشتهرت بصفات معينة ظل أفرادها يتوارثونها،[3]حتى أصبحت صفة لهم يعرفون بها، فقد اشتهر بعض بني عامر بن صعصعة بالخلفاء ؛ لأنهم كانوا لايعطون أحد طاعة، وأيضاً أشتهرت بعض من عبد القيس كانوا يصفون بأنهم لصوص، وكل هذا من عوامل الوراثة.

وقد اشتهرت بعض القبائل بتخريج عدد كبير من الصعاليك، واشتهرت بكثرة الإغارات حتى أصبح طابع الغارات والسطو والفتك والصعلكة صفة غالبة عليها، ومنها : بنوسعد، من بنى تميم ومن صعاليكهم : السليك، وعبيد بن أيوب، وعبدة ابن الطبيب، والأحمير السعدى .

فإن الوراثة إذا كانت جماعية تتحول نفسها إلى بيئة بمعنى أن الصعلوك يرث نزعة الصعلكة من البيئة ، وتصبح البيئة تهيئى المجال لإبراز عنصرً الوراثة واستغلاله، فتختلط الوراثة بالبيئة، فيرث الوليد ميراثاً ثم ينشأ في بيئة يظهر فيها سلوك هذا الميراث وفي ذلك يقول الشاعر:

---

(1)_ وملخص هذا المثل أن أبا أخزم الطائي كان له ابن يسمي أخزم وكان عاقاً له ، ثم مات وترك بنين له ، فوثبوا يوماً على جدهم يضربونه حتي أدموه فقال :

إن بني ضربوني بالدم شنشنة أعرفها من أخرم

وجُعل الشطر الأخير مثلاً.

(2) _ شمس الدين الذهبي : (سير أعلام النبلاء) ط11 ، 1998م ، تحقيق: بشار عواد، وآخرون ، دار الفكر بيروت ، ج 20 ، ص 98.

(3)_ عبدالحليم حفني ، (ممرجع سابق) ، ص 77-78 .

وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عوده أبوه

إن أسلوب الغارات والسطو والصعلكة كان ظاهرة مألوفة في المجتمع الجاهلي كله، إلا أن هناك جماعات لصق بها كصفة غالبة على أفرادها ومتعاقبة فيهم حتى صارت موروثة بصورة تميزهم عن الجماعات الأخرى .

ومثال ذلك قبيلة هذيل، فإن شهرتها بالغارات والخلع والصعاليك، ومع ذلك أن هناك قبائل كانت تشارك هذه القبيلة في ظروفها وموقعها من البيئة، ومع ذلك لم تشاركها هذه الصفة- الصعلكة- ومن هذه القبائل هوازن وسليم وغفار[1].

أمّا ظروف هذيل الجغرافية والاجتماعية التي دعت لانتشار الصعلكة فيها:

1- وقوعها حول طرق القوافل الأساسية الموصلة بين اليمن والشام.

2- وقوعها حول القوافل الفرعية الموصلة بين مكة وقبائل الشام .

3- موقعها قريباً من أهم أسواق العرب وهي : عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز.

ومع أن قبائل هوازن وسليم وغفار تشارك قبيلة هذيل في كل هذه الظروف ، ولكنها لم تشاركها في الصعلكة ، ولم يكن هناك دافعاً سوى إدخال عامل الوراثة الذي تدل عليه شهرة هذيل بتوارث أهم أسلحة الصعاليك وهي سرعة العدو ، ويقول عبيد بن أيوب العنبري يقرر أن صعلكته وراثة عن آبائه:

رأت خلف الأدراس أشعث شاحباً * على الجدب بساماً كريم الشمائل

تعود متن آبائه فتكاتهم * وإطعامهم في كل غبراء شامل[2]

فالوراثة كانت دافعاً من دوافع الصعلكة ، سواء كان أثر الوراثة من حيث النزعة النفسية إلى العدوان.

---

(1) ـ عبدالحليم حفني مرجع سابق ، ص 79.

(2)ـ عبدالحليم حنفني : (مرجع سابق) ص 80.

المبحث الثالث

الدوافع الاقتصادية لظاهرة الصعلكة

عرفت الجزيرة العربية منذ أقدم عصورها النشاط التجاري على صورة واسعة، حتى قيل قديماً: ((إن كل عربي تاجر، وأن تاريخ التجارة الأولى هو تاريخ البخور، وأرض البخور هي بلاد العرب، وأول تجار ورد ذكرهم في التوارة هم العرب ويذكر الباحثون أن العرب كانوا: ((الواسطة بين قدماء الأوربيين والشرق الأقصى))، ((وأن البيزنطيين كانوا يعتمدون في شؤونهم التجارية على قوافل البدو التى كانت تحمل لهم الأحجار الكريمة ، والتوابل من بلاد الهند الغامضة ، والجلود والمعادن والمواد الغريبة والحرير من الصين، لأجل ثياب أباطرتهم وحظاياهم وكهنتهم، والعطور من بلاد المجوس، والبخور من اليمن، والصمغ من أفريقيا، لأجل كنائسهم وقصورهم.[1]

وقد كان لمخازن العرب الأهمية ما كان لمخازن البندقية إبان عظمتها ، ومنذ عصور سحيقة والقوافل التجارية النشطة تعمل بين مناطق الإنتاج وبين مدن العراق والشام ومصر[2].

ويبدو أن هذه الحركة التجارية النشطة التى سالت بقوافلها وديان الصحراء العربية حتى جعلت من العرب((حملة العالم بين الشرق والغرب)) ترجع إلى تلك الظروف التى كانت تسود العالم القديم في ذلك الوقت فقد كان الطريق البحري محفوفاً بالمخاطر، فإلى جانب، ((القراصنة)) الذين كانوا يهددون أمنه ، ويقطعون طرقه، ويأخذون كل سفينة غصباً ، كانت الملاحة نفسها متأخره ، ولهذا انحصرت التجارة في البر[3].

إذا كان في الطريق البحري فيه القراصنة تمثل خطراً على التجارة، فأيضاً في الطريق البري كانت هنالك عقبة أمام التجارة، وهي تلك غارة الصعاليك التى تمثل خطراً جسيماً على سبيل

---

(1)- يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) دار المعارف ، ط 3 ، ص 123- 0124

(2)- لورين (جوستاف): (حضارة العرب) ط1 ، 1969م ، ترجمة محمد عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 106.

(3)- يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 124.

الحركة التجارية ، وكانت برارى آسيا الوسطى وجزيرة العرب بما فيها من تهامة وجبال ووديان وصحراء معيناً وفياً للصعاليك.

وخلاصة القول: من كل ما سبق يتضح أنه كانت التجارة عند العرب منذ أقدم العصور في الجزيرة العربية، وكانت من الوسائل السريعة للكسب ، وكانت برية في شكل قوافل تجارية تحمل على الإبل، وتقطع طرقاً من اليمن عبر الحجاز إلى أفريقيا وآسيا وسوريا وربما إلى بلاد فارس[1] والروم، وهي محملة بكل أنواع البضائع، فضلاً عن الإبل التى كانت في حد ذاتها مالاً وفيراً.

هذا كله يشكل أسباباً مهيئة للصعاليك العرب، ومسرحاً واسعاً لنشاطاتهم في الإغارة والسلب والنهب وقطع الطرق.

ومن كل ماسبق يظهر للباحث أن هناك دوافع، اقتصادية لظاهرة الصعلكة وهي:

1- الطرق التجارية:

من الأسباب التى دعت الصعاليك إلى الإغارة والسلب والنهب الطرق التجارية، وإن الطرق التجارية لم تكن مجهولة في الإختيار.

ويقرر الدارسون:((أن طرق القوافل ليست مسألة اختيار مطلق)) وإنما هي مسألة ((تعتمدعلى طبيعة الصحاري والجبال وموارد المياة))[2] ويلاحظون أن ((طرق القوافل في الجزيرة العربية تتبع عادةً مجاري الوديان)) وهذا طبيعي لأنها تتجنب به مجاهل الصحراء، ووعرة الجبال، ويضمنون طرقاً واضحة المعالم، محددة المسالك، تكثر فيها الماء.

وقد عرفت الجزيرة العربية منذ أقدم عصورها طريقين أساسين للقوافل التجارية[3]:

---

(1)- احمد امين : (فجر الإسلام) ط 3 ، 1953م ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج1 ، ص 15.
(2)- يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ط 3، دار المعارف ، ص 125.
(3)- يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 126. -

1- **الطريق الشرقي:** يبدأ من ظفار- التى كانت المركز الأساس لتجارة البخور- ويمضي متاخماً لقوس عمان الساحلي ثم على الخليج الفارسي، ومن_ القطيف الخليج الفارسي_ عن طريق تدمر إلى فلسطين وصُور بسورية، وكان هذا الطريق هو الطريق الأساس الذي تنقل فيه بضائع الهند إلى صنعاء باليمن، ومنها إلى ثغور البحر الأحمر أو إلى الحجاز.

2- **الطريق الغربي:** فيبدأ من ظفار أيضاً، ثم يسلك وادي حضرموت، ثم مار بالحجاز ومحازياً البحر الأحمر، وكان الطريقان يمران بمعظم البلاد والقبائل العربية[1] وكانت هنالك طرق أخرى.

وهذه التجارة التى هي مصدر ثراء لبعض العرب أسباب مباشرة أو غير مباشرة لظاهرة الصعلكة ، فالقوافل محمله بكل ماهو غالٍ ونفيس ثم إن الإبل التى تحمل هذه البضائع هي نفسها أغلى مطلب للصعاليك.

فهذه القوافل التى كانت توغل في مجاهل الصحراء، والتجار الذين كانوا يترددون بتجارتهم في هذه الطرق والمجاهل كل ذلك كان صيداً ثميناً يغري طوائف الصعاليك من قطاع الطرق وأصحاب الغارات بأن يتعرضوا لها ويستميتوا بالفوز بها[2] بل إنها كانت تغري القبائل نفسها وعلى سادتها بأن يتعرضوا لها ويقاتلوا دونها ؛ ولذلك كان من المعروف عندهم أن أصحاب القوافل لايستطيعون أن يعبروا هذه الطرق بقوافلهم إلا إذا أمنوا القبائل التى كانوا يمرون بها سواء بحلف أو إتاوة، أو خفارة قوية كما ورد في أخبار النعمان بن المنذر في لطائمه التي كان يتاجر بها في الأسواق.

وكذلك لطيمة باذام عامل كسرى على اليمن والتى كان خفيرها هوذة بن عليّ، فأغار بنو تميم على اللطيمة وقتلوا خفراءها وأساورٍ كانوا معها وأسرت بنو سعد هوذة ابن عليّ،

---

(1)_ عبدالحليم حفني (شعر الصعاليك ، منهجه ، وخصائصه) الهيئة المصريه العامة للكتاب 1979م ، ص 60.
(2)_ عبدالحليم حفني: (مرجع سابق) ص 61.

وفي أخبار السليك بن السلكة" أنه كان يعطى عبدالملك بن مويلك الخثعمي إتاوة من غنائمه على أن يجيزه بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن[1].

إذا تساءل الباحث ما الذي جعل الطرق التجارية خطرة على القوافل والتجار، وقتئذ سهلة وثيرة للصعاليك؟

والإجابة على هذا السؤال إن أرض الجزيرة يغلب عليها الطابع الجبلي الصحراوي، يجد الباحث أن هذه الطبيعة تخلق حصوناً طبيعية للصعاليك، وتحميهم حينما يلتمسون الحماية، وتخفيهم حينما يطلبون الخفية، وأرض هذه الطبيعة من شأنها أن تغرس في أبنائها طبائع خاصة يتوارثونها وتؤكدها لهم وسائل حياتهم، ويقول ابن خلدون عن العرب بالبادية:(وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعيث، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولاركوب خطر ويفرون إلى منتجعهم بالقفر).[2]

أما الصعاليك فينتهبون بقوة وركوب خطر حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم، وكان هؤلاء الصعاليك يمتازون بالقوة الجسمية والقدرة على تحمل الجوع، والعطش والسرعة في الأخذ والبطش، وكانوا يفضلون دائماً أن يكونوا في كنف هذه الطبيعة الصعبة المنال، فنجدهم يألفون الجبال والقفار والأماكن التي يخشى غيرهم ارتيادها.

وكل هذه الخصال جعلت الصعاليك يتفوقون على التجار في معرفة مجاهل الصحراء، والتعايش معها، حيث يعرف هؤلاء الصعاليك أين يجدون القوافل التجارية فيتعرضون لها بدون معاناة.

ولم يكن يسلم من هذا الخوف الذي يؤرق التجار والمنتقلين بأموالهم إلا قريش كما يقول الزمخشري: ((وكانت لقريش رحلتان: يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته، فلايتعرض لهم،

---

(1)_ عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ،ص 61.
(2)_ عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ص 63.

والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم))[1] فقال الله تعالى في ذلك: ((لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ))[2]

والصعلكة كما وردت في كتب اللغة تساوي الفقر، والصعاليك شبان فقراء أمثال: عروة بن الورد، وتأبط شراً، والسليك بن السلكة، والشنفرى، ويسمون أيضاً ذؤبان العرب؛ لأنهم يتخطفون المال كما تتخطف الذئاب[3].

هكذا فإن الحاجة الماسة، والفقر الذي لاسبيل لدحره، ولاأمل لتجنبه، يجعلهم مثل: الذئاب الجائعة التي تتحين الفرص ولاتفوتها، قط، وهذا ما يفسِّر تعريض أنفسهم للهلاك ودخولهم في مآذق يعلمون أنها ضيقة من أجل الكسب، فكأنما كانت إغاراتهم على هذه القوافل عبر طرقها المعروفة، واجباً حتماً لابديل له، ولاحياد عنه، وللتعبير عن هذا يقول عروة بن الورد سيد الصعاليك:

ذريني للغنى أسعى فأنيِّ * رأيتُ الناس شرّهم الفقير[4]

ويقول:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتُعذرا[5]

ويقول:

ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومقتراً * من المال يطرح نفسه كلّ مطرح[6]

والبيت الأخير أصدق تعبير عن هذه الحال، وهكذا كان الصعاليك يطرحون أنفسهم مطرح هذه القوافل التجارية، ليسدوا الرمق أولاً، وليحصل بعد ذلك مايحصل، وكم عانوا

---

(1)_ عبدالحليم حفني : (نفسه) ص 63

(2)_ سورة قريش : الآية 1-4.

(3)_ أحمد أمين : (الصعلكة والفتوة في الإسلام) ط 3 ، 1985م ، دار المعارف القاهرة ، ص 270.

(4)_ ابن السكيت : (ديوان عروة بن الورد) تحقيق: محمد فؤاد نعناع، ط1 ، 1995، مكتبة الخانجي القاهرة، ص 198.

(5) – ابن السكيت: (ديوان عروة) ص 191.

(6)_ ابن السكيت : (ديوان عروة) ص 119.

شظف العيش وويلات الجوع حتى كادوا يسفّون التراب، وهذا الشنفرى يعبر عن جوعه وضمور بطنه التى يطوى داخلها أمعاء خاوية، حتى كاد أن يسف التراب، فيقول:

أديم مطال الجوع حتى أميته * وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل

وأستف تراب الأرض كي لايرى له * عليّ من الطول أمرؤ متطوّل

حتى يقول:

وأطوي على الخُمص الحوايا كما انطوت * خيوطة ماوى تغار وتُفتَلُ

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا * أزلّ تهاداه التنائف أطحل[1]

إذن فالإغارة على هذه القوافل التجارية في هذه الطرق الطويلة، أمر لابد منه ليعيشوا بأيسر الطرق، وكأنه نتاج منطقي لجملة ما سلف من أسباب ودوافع، فالمسألة بالنسبة لهم حياة أو موت، والإغارة على هذه القوافل رغم مخاطرها أهون، لأن الموت قد يدرك الصعلوك جوعاً، وقد عبّر أحد الصعاليك عروة بن الورد عن ذلك بقوله:

أرى أمَّ حسّان الغداة تلُومني * تخوّفني الأعداء، والنفس أخوف

لعل الذي خوَّفتنا من أمامنا * يصادفه في أهله المتُخلِّف

إذن الموت من الجوع مؤكد إن ركن وانتظر، وهو جائز إن غار على القوافل التجارية، وجواز الموت أهون من تأكيده.

وفي مرور هذه القوافل عبر تلك الطرق، فرصٌ صالحة للسلب والنهب وكأنه رزق حلال ساقه الله لهم رأفة بهم، فشكّلوا عصابات من الشذّاذ والخلعاء، وصعاليك القبائل البعيدة عن طرق القوافل لهذه المهمة والغاية عندهم تبرر الوسيلة ، فالشنفرى من الذين

---

(1)- أبوبكر الغالي :(الأمالي والنوادر) د.ط ، 2002م ، دار الكتب المصرية ، ج2 ، ص 204.

المطال: المماطلة. الخمص: ضمور البطن والجوع . الحوايا: الأمعاء

ماري: اسم رجل أو اسم القاتل. الأطحل: الذي لونه بين الغبرة والبياض.

أُشربت نفسه بغضاً لمن كانوا سبباً في تضعلكه وتشرده، فكان يتوعدهم دائماً بأن يقطع الطريق على ساداتهم الأغنياء، وهو الخبير بمجاهل ومسالك الصحراء:

وأمشي لدى العصداء أبغى سُراتهم ** وأسلك خلاً بين أرفاع فالسر

هم عرفوني ناشئاً ذا مخيلةٍ ** أمشي خلال الدار كالأسد الورد[1]

2- الأسواق:

ومن الطبيعي بمكان أن تقوم بمنطقة مكة مجموعة من الأسواق- التي ذكرها الباحث في مبحث الحياة الاقتصادية- لأنها كانت أكبر مراكز التجارة في الجزيرة العربية، ونظراً لكثرة وفود العرب التى كان تهوى إليها في مواسم الحج.

ويمكن للباحث أن يقول، وهو مطمئن : أنه على طول الطرق التجارية كانت تقوم الأسواق، وأن هذه الأسواق كانت تكثر حول مراكز التجارة الأساسية.

ويستطيع الباحث أن يقسم هذه الأسواق إلى مجموعتين:

1- فهناك أسواق تقع في بلاد فيها هيئة حاكمة ذات قوة تنفيذية، ترد الظالم عن ظلمه، وتأخذ لصاحب الحق حقه من غاصبه، وهذه لم يكن التجار فيها يحتاجون إلى خفارة، لأن القوة التنفيذية فيها كانت تقوم بهذه المهمة، نظير عشور يحصلونها من التجار كسوق عدن.

2- هناك أسواق تقع في مناطق بدوية لاحكم فيها إلا للقوة الفوضوية، كما يقول القدماء: ((من عز فيها بزّ)) وهذه كان التجار يحتاجون فيها إلى خفارة، كسوق الرابية بحضرموت:

وكان سادة بعض هذه المناطق ينصبون أنفسهم حكاماً على أسواقها، ويسيرون فيها بسيرة الملوك فيأخذون من التجار فيها العشور، كما كان يفعل بعض بني تميم في سوق المشقر بهجر، وكما كان يفعل آل الجلندي والجلندي في سوق صُحار وفي سوق دَبى.

---

(1)- أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ج 21، ص 198.

ومع ذلك كان التجار في هذه الأسواق آمنين على دمائهم وأموالهم.

وكان في العرب من ينكر سفك الدماء وارتكاب المنكر، وكانوا ينصبون أنفسهم لنصرة المظلوم وكانوا يسمون الذادة المحرمون، كانوا يلبسون السلاح لدفاعهم عن الناس[1].

كما أن بعض الأسواق كانت تقوم بحمايتها القبائل التى كانت تقام في أرضها، ويسمون بذلك جيرانها فقد كانت كلب وجديلة طيء جيراناً لسوق دومة الجندل، وكانت عبدالقيس وتميم جيراناً لسوق المشقر، وكان حلف الفضول يجير في أسواق مكة، وقد وصلت هذه الإجارة في بعض الأحيان إلى درجة كبيرة من القوة تستطيع بها أن ترد على المظلوم حقه.

والغاية التى يرد الباحث أن يصل إليها إن الفرصة السانحة أمام صعاليك العرب في هذه الأسواق للغزو والإغارة للسلب والنهب قد افلتت من أيديهم، نظراً لتلك الحماية وهذه الإجارة التى كانت تقوم بها بعض القبائل، ونظراً إلى ازدحام هذه الاسواق بالناس من مختلف الطبقات ازدحاماً يفسد على الصعاليك خططهم التى تعتمد على التربص والحذر، والمفاجأة الخاطفة، والفرار السريع من أجل النجاة والسلامة[2].

ومع ذلك كان الصعاليك يرون أن الأسواق التجارية مواسم يلتقي فيها الناس من شتى القبائل، ممايتيح لهم الفرصة للاتصال بهم ومخالطتهم، وانتقاء ضحاياهم من بينهم، ليصنعوا على ذلك؛ خططهم المقبلة التى يعتزمون تنفيذها بعد ذلك؛ أي : الإغارة على الناس في ديارهم بعد معرفة مداخلهم، ومثال لذلك فقد خرج السليك ابن السلكة في الشهر الحرام حتى أتى عكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه ثم خرج متفضلاً، فجعل يطوف بين الناس ويقول: ((من يصف لي منازل قومه وأصف له منازل قومي؟)) فلقيه قيس بن مكشوح المرادي، فقال: ((أنا أصف لك منازل قومي)) وصف لي منازل قومك))[3] فتوافقا وتعاهدا ألايتكاذبا، ووصف كل منهما للآخر منازل قومه، فانطلق قيس إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح ثكلتك أمك؛ هل تدري من لقيت؟ قال: ((لقيت رجلاً فُضُلاً كأنما خرج من

---

(1)_ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ط 3 ، دار المعارف ، ص 130- 131.
(2)_ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 131-132.
(3) _ أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ج 18، ص 135.

أهله، فقال: هو والله سليك ابن سعد[1]. وبناءًا على ذلك قد وضع السليك خطته موضع التنفيذ، فأغار هو وأصحابه على مراد وخثعم، وأسر قيس بن مكشوح، وأصاب من نعمهم، ثم انصرف مسرعاً.

ومعرفة المكشوح لهذه الخطة، تدل على أن هناك نوعاً من الاحتيال على هذه الصورة، كان مشهوراً عند الصعاليك.

وإذا كانت هذه الفرصة قد أفلتت من صعاليك العرب في داخل هذه الأسواق، نظراً للحماية والإجارة، والازدحام، فإن في الطرق الموصلة إليها، وفي المناطق المحيطة بها متسعاً لحركاتهم، فوقفوا يترصدون التجار في مقدَمهم إليها، وفي منصرفهم عنها، يقطعون عليهم الطرق، وينهبون ما تصل إليه أيدهم[2].

إذا تسأل الباحث ما الذي جعل المناطق المحيطة لمكة معيناً لانتشار حركات الصعاليك؟

ويمكن أن يقول: إن من أسباب انتشار الصعاليك في هذه المنطقة وقوعها على الطرق التجارية الذي يصل بين اليمن والشام مما جعلها ممراً للقوافل التجارية ، وأيضاً كانت مكة مركزاً تجارياً حيث تقام ثلاث أسواق مشهورة : سوق عكاظ، وسوق المجنة، وسوق ذو المجاز ، وجعل منها مركزاً تجارياً أو ميداناً نشطاً لحركات التجار في غدُوّهم ورواحهم، مما أتاح للمتمردين من صعاليك هذه المنطقة الفرصة المناسبة للغارة والغزو للسلب والنهب، مما جعل الأمر لهذه الفئة المتصعلكة أن تشكل خطراً على النشاط التجاري في هذه المنطقة وأسواقها الثلاثة ؛ ولهذا السبب اضطر التجار إلى أن يتخفّروا بالقبائل القوية لحمايتهم.

وكان لهذه الأسواق أثر في حياة صعاليك العرب، فقد كانت تجري تجارة رائجة، هي تجارة الرقيق الذي كان يجلب من إفريقيا، والتى كانت سبباً في نشأة طبقة الأغربة في المجتمع الجاهلي ، وقد أمدت هذه الطبقة حركة الصعلكة بمجموعة كبيرة من صعاليك العرب، وكانت هناك مجموعة كبيرة أيضاً تدعم التصعلك وهي ظاهرة الخلع وكان هذا اللون

---

(1) - أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ج 18، ص 136.
(2) – يوسف خليف: (الشعر الصعاليك في العصر الجاهلي) ط 3، القاهرة دار المعارف، ص 132- 133.

من النشاط الاجتماعي، كان يتخذ صورة إعلان رسمي يذاع على الناس في المواسم والأسواق، وكان هؤلاءِ الخلعاء يمدون حركة الصعلكة بمجموعة كبيرة من صعاليك العرب.

ومعنى ذلك أن هذه الأسواق اكتنفت هاتين الطائفتين من صعاليك العرب: طائفة الأغربة وطائفة الخلعاء؛ مما جعل ظاهرة الصعلكة متمركزة في المناطق المحلية بمكة، وقبيلة هذيل.[1]

وإن كان الفقر من الأسباب البارزة لظهور ظاهرة الصعلكة إلا أنه لذاته لم يكن السبب الوحيد ولا الأهم، وإنما الأهم هو احتكاكه بالغنى، غنى أصحاب الإبل في البادية أو(أرباب المخائض) كما يسميهم الصعاليك في شعرهم ، وغنى أصحاب التجارة في المدن والبلدان. وهذان المجالان: مجال المخائض، ومجال التجارة أهم مجالات الصعاليك، كما كان الصعاليك أهم خطر يهدد هذين المجالين.

وقد قال أحد الصعاليك وهو يزيد بن الصقيل العقيلي:

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

فقد بشر أصحاب المخائض بالأمن والاطمئنان على تجارتهم بعد توبته ؛ لأنه كان يمثل عليهم خطراً جسيماً.

وأيضاً يقول الصعلوك الأُحيمر السعدي:

تعيرني الإعدام والبدو معرض * وسيفي بأموال التجار زعيم

وهو ينكر وصفه بالعدم ، وسيفه سلطانًا قاهراً قادراً على أخذ أموال التجار.

ثم تاب الأحيمر أيضاً فراح يتحدث عن حزن ومرارة لا يستطيع أن يخفيها كلما مرت قوافل التجار أوعبرت زوامل المتاع، عاوده الحنين إلى الصعلكة ولكنه مع ذلك ينصح زملاءه

---

(1)_ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في الجاهلي) ، ص 133- 134 بتصرف.

السابقين في الصعلكة أن يتناسوا خيرات العراق واليمن التى يجوز بها التجار عليهم، ويتوبوا مثلما تاب هو فيقول:

أشكو إلى الله صبري عن زواملهم * وما ألاقي إذا مروا من الخزن

قل للصوص بني اللخناء يحتسبوا * بز العراق وينسوا طرفة اليمن[1]

3- المدن التجارية:

من الطبيعي أن يشارك في هذه الحركة التجارية النشطة سكان الجزيرة العربية، كلٌّ حسب طاقته المالية وظروفه الاجتماعية وحسب قربه أو بعده من المراكز التجارية النشطة، والذين تقع مدنهم على الطرق التجارية ، فقد فرض عليهم موقعهم أن يشاركوا في هذه الحياة التجارية بكل ماتحتمله رؤوس أموالهم.[2]

وقد نشطت التجارة في المدن التجارية نشاطاً واسعاً ولا سيما مكة بالذات، جعلت منها التجارة جمهورية تجارية تعتمد في سيادتها على طبقة الأثرياء، وهم السادة، ويؤكد ذلك قول بندل جوزي: (مدينة تجارية لايفكر أهلها إلا في التجارة ، ولايهمهم إلا جمع المال واستثماره بجميع الوسائل المحللة والغير محللة)[3].

وبهذا النشاط التجاري الذي مارسه عرب الحجاز أصبحت مكة مركزاً إدارياً كبيراً؛ مما جعل التجارة تنتقل من أيدي اليمنيين وقتئذ كانت مكة محطة على طريق القوافل التى كانت تمر بها من جنوب الجزيرة إلى سوريا وفلسطين ومصر، وفي ذلك يقول بندل جوزي- كانت مكة قبل القرن الخامس الميلادي-: (محطة للقوافل التى كانت تمر بها وهي راجعة من جنوب الجزيرة تحمل بضائع الهند واليمن إلى سوريا وفلسطين ومصر، فأصبحت في أواخر

---

(1) ـ عبدالحليم حفني : (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) ص 62.
(2) ـ يوسف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 134.
(3) ـ بندل جوزي : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ط1 ، 1928م ، مطبعة بيت المقدس ، ص 15.

الجيل السادس مدينة تجارية غنية تمر بما كان يأتيها من البضائع المحلية والأجنبية أكثر سكان الحجاز وأسواقه).[1]

وقد سيطر أهل مكة على النشاط التجاري في الجزيرة العربية، فاشتعلت في نفس كل منهم حمية تدفعه للعمل والمال والمضاربات التجارية ، من التجار ذي الأريكة الخشبية في الهواء الطلق، إلى صاحب الدكان الصغير، إلى رجل الأعمال الكبير صاحب الكتبة الكتيرين، الذي تزدان دفاتر حساباته الجارية بالأختام والكتابات الحاذقة، وبذلك أصبح في مكة لقب تاجر لقباً للشرف، وهذا اللقب يعطي صاحبه حق المشاركة في السلطان السياسي[2].

وأحدث هذا النشاط التجاري نوعاً من الاختلال في التوازن الاقتصادي، نشأت عنه طبقة من الصعاليك المعوزين ممن تخلفوا عن القافلة التجارية، ونحّاهم التيار الجارف جانباً، وكان عدد أفراد هذه الطبقة في مكة عدداً كبيراً جداً مقارنة بعدد الأثرياء أو أصحاب الثروة، وكانوا في حالة سيئة لايملكون شيئاً حتى أنفسهم لايملكونها؛ لأن حق التشريع كان محصوراً في أيدى الطبقة العليا وهم أصحاب الثروة والسادة، فكانوا يسّنون من الشرائع مايوافق مصالحهم الذاتية، ولم يكن لهم رادع من ضمائرهم يردعهم عن استثمار أتعاب الصعاليك وامتهانهم، وكانت سياستهم قاسية، وحياة الصعاليك بينهم عرضة دائمة للأخطار، وسلسلة يأس وعذاب، فلا قانون يحميهم ولا شريعة ترق لحالهم، لتخرجهم من هاوية الموت الاجتماعي والرق الأبدي، فكانوا يعيشون في شعاب الجزيرة وأطرافها البعيدة ، في بيوت حقيرة قذرة، وعيشة ضنكة، وجوع مستمر، بينما كان أصحاب الثروة يقيمون في وسط المدينة، في قصورهم[3] الفخمة بالقرب من الكعبة والنادي أو دارة الندوة. وكانت العلاقة بين طبقة أصحاب الثروة والمال، وطبقة الصعاليك المعوزين من السوء إلى حد كبير، ومساوئي الطبقة الأولى أنها كانت تسطير على كل مظاهر الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية ،

---

(1) ـ بندل جوزي : (نفسه) ، ص 13.
(2) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 136.
(3) ـ بندل جوزي :(من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ص 20-21.

وكان حق التشريع في أيديهم، وأحياناً يتلاعبون بالاسواق، ويضاربون بالدارهم، والدنانير والتبر، والنقود الأجنبية ، وتارة يزيدون في وزنها أو قيمتها، وطوراً يخفضون تبعاً لمصالحهم الشخصية ، ومن نتاج ذلك اختل التوازن الاقتصادي اختلالاً كبيراً، يكون من نتاجه أن تصبح طبقة الصعاليك تحت رحمتهم، فيضطر أفرادها إلى الاستدانة إبقاء حياتهم ، ويستغل أولئك الأثرياء هذه الفرصة فيقرضونهم بأرباح تصل إلى حد مائة بالمائة، وكان عدد المرابين في مكة والمدينة كثيراً ، وحمل القرآن الكريم حملات شعواء على الربا والمرابين، والتلاعب بالديون، ونظم الصلة بين الدائن والمدين، ووضع الشروط الواجبة لكلٍ من الطرفين حقه، في آية الدين في سورة البقرة قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ....)[1].

وكانت هذه الديون تزداد يوماً بعد يوم بما كان يضاعف إليها من الربا الفاحش، مما جعل سداده أمراً صعباً للغاية ، ولهذا لم يكن للمدين وقتئذ أمل من أولئك الظالمين بالطرق السليمة إلا نادراً، ولابد للمدين أن يسلك أحد طريقين:

1- إما الهروب إلى الصحراء والالتحاق بالصعاليك.

2- إما الدخول في طبقة الأرقاء، ويعيش في حياة الضنك والبؤس والظلم، والتحقير داخل المجتمع، وفتات المتاع[2].

وبالطبع فإنّ الخيار الأول أقرب إلى كرامة النفس الأبيّة التى تكر الظلم والقهر، وأيضاً أقرب إلى سلوك العربي الجاهلي ، فلم يكن هناك إنكار للتصعلكُ .

وإذا سأل الباحث ما الذي جعل مكة في الجاهلية مركزاً للصعاليك؟.

كما هو معلوم إن مكة كانت حرماً مقدساً في الجاهلية والإسلام ، لاظلم ولابغي فيها، حيث لايقتل فيها أحد، فإذا ضاقت الصحراء بطوائف المتشردين وقطاع الطرق، وذؤبانها،

---

(1) ـ سورة البقرة الآية :281

(2) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 137.

ورغبوا في الراحة منها إلى حين، فإن الإقامة في مكة يضمن لهم حياتهم، فأبواب البلد الحرام مفتوحة لكل لاجئ أو خائف أو طريد، من دخله كان آمناً، ومن أحدث في غيره من البلدان حدثاً ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله.

وبذلك هؤلاء الصعاليك يجتمعون في البلد الحرام للراحة والتخطيط للغارات، ومعرفة أسرار القبائل ، فإذا أرادوا العمل المتمرد والمتصعلك خرجوا إلى البادية الواسعة، حيث حياة الفوضى.

وإضافة إلى ذلك فإنّ الصعاليك لايمارسون نشاطهم في المدن ولاسيما مكة لأنها مدينة لها نظام اجتماعي يقيم سكانها في منازل منتظمة ، فهي ليست بالميدان الصالح لحركات الصعاليك المتمردين[1].

وهؤلاء الصعاليك يحترمون تقاليد مجتمعهم الدينية فهذا تأبط شراً يؤخر انتقامه حتى تنتهي الأشهر الحرم فيقول:

فعُدوا شهورَ الحُرم ثم تعرَّفوا * قتيلَ أناسٍ أو فتاةً تعانق[2]

وخلاصة القول مهما اختلفت أسباب الصعلكة يرجع سببها العام أو السبب المباشر إلى اختلال التوازن الاقتصادي في ذلك المجتمع الجاهلي الذي يضع طائفة من أفراده في الجوع والفقر، بينما يضع في طائفة أخرى كنوز الثروة ومفاتيح الاقتصاد، وهو لا يجعل كلاً من الطبقتين في عالمها الخاص، وهذا التماذج بين الطبقتين ، جعل طبقة أصحاب الثروة عرض ثراءها وتتيه بما أغدق عليها من مكانة اجتماعية ، فتزايد إحساس هؤلا الصعاليك بالفقر والجوع، وكان طبيعي جداً أن تتجه هذه الطائفة البائسة الفقيرة إلى الاغتصاب واللجوء إلى النهب والإغارة ، وكانت مؤمنة بأن هذا الاغتصاب حق ، مادامت لاتبغي منه سوى أن تعيش وتنال البقاء في الحياة[3].

---

(1) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 137 – 138- بتصرف

(2) ـ أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) بولاق، ج 21، ص 142.

(3) ـ يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 145. بتصرف.

الفصل الخامس : الشعراء الصعاليك وشعرهم .

المبحث الأول : الشعراء الصعاليك .

المبحث الثاني : أثر البيئة في شعر الصعاليك .

المبحث الثالث : مصادر شعر الصعاليك .

المبحث الرابع : موضوعات شعر الصعاليك .

المبحث الخامس : الظواهر الفنية في شعر الصعاليك .

المبحث الأول

الشعراء الصعاليك

الصعاليك هو اسم يطلق على جماعة كانت خارجة على سلطة القبيلة وواجباتها ، بعضها كان الأغربة والبعض الآخر طردوا من قبائلهم ، ومعظم أفراد هذه الجماعة من الشعراء المجيدين وقصائدهم تُعد من عيون الشعر العربي.

وكانت حياتهم ثورية تحارب الفقر والاضطهاد ، وتسعى للتحرر في شكله المتمرد ، فغزو القبائل بقصد الأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء ، ولم يعترفوا بالمعاهدات أو الاتفاقيات بين قبائلهم والقبائل الأخرى .

وقصائدهم كانت تأتي برؤيتهم الخاصة عن الحياة ، فمعظم قصائدهم تحكي عن شجاعتهم وقدرتهم وتمردهم على المجتمع ، وشعرهم يمتاز بقوة العاطفة وسعة الخيال ؛ ولذلك لا يستطع الباحث الحديث عن كل الشعراء الصعاليك ، وإنما يتحدث عن أشهر الشعراء الصعاليك ومنهم :

1-عروة بن الورد :

هو عروة بن الورد بن زيد[1]بن عبد الله بن ناشب بن هُرّيم بن لُديم بن عوذ ابن غالب بن قطيعة بن عبس[2]، ينتهي نسبه إلى قبيلة عبس ، فهو من هذه الناحية في شرف من قبيلته [3] أبوه من عبس وأمه من نهد ثم من قضاعة [4]، قال دكتور شوقي ضيف : (كان أبوه من شجعان قبيلته وأشرفهم ، ومن ثم كان له دور بارز في حرب داحس والغبراء

---

(1) ـ وقيل ابن عمرو بن زيد.(الأغاني)
(2) ـ وفي حماسة أبي تمام: (عروة بن الورد بن حابس بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن سفيان بن هرم بن عوف بن غالب بن قطيعة بن عبس) (8/2).
(3) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك.....) ص 322.
(4) ـ غازي طليمات : (الأدب الجاهلي ، قضاياه، أغراضه ؛ أعلامه، فنونه) دار الفكر المعاصر، ص 577.

أما أمه فكانت من نهد من قضاعة ، وهي عشيرة وضيعة لم تُعرف بشرف ولا خطر ، فآذى ذلك نفسه ، إذ احسّ في أعماقه من قبلها بعار لايُحمى ، فيقول:

وما بي من عارٍ إخالُ علمته * سِوى أن أخوالي إذا نُسِبوا نهد

فهي عاره الذي حلّت البليّة منه ، والذي دفعه دفعاً إلى الثورة على الأغنياء)[1] .

ولعل هذا الإحساس الذي سيطر على نفس عروة بأن أمه أقل شرفاً من أبيه هو الذي جعله ينسب كل ما يحس به من عار إلى تلك الصلة التي تربطه بأحواله النهديين، ومعنى هذا أن عروة قد وضع منذ نشأته الأولى بين شقي الرحى ، فأبوه تتشأم منه قبيلته، وأمه من قبيلة أقل شرفاً .

وعلل دكتور يوسف خليف صعلكته بحقد دفين زرعه أبوه في نفسه فقال : (كان له أخٌ أكبر منه ، وكان أبوه يؤثره على عروة فيما يعطيه ، ويقرّبه ، فقيل له : أ تؤثر الأكبر مع غناه على الأصغر مع ضعفه ؟

قال : (أ ترون هذا الأصغر ، لئن بقي مع ما أرى من شدة نفسه ليصيرن الأكبر عيالاً عليه)[2].

وتفتحت عيناه في الحياة على صورة مختلفة التوازن صورة الأخ الأكبر الذي يؤثر أبوه مع غناه عنه ، وصورة الأخ الأصغر الذي يهمله أبوه مع ضعفه وحاجته إليه، وصورة الأغنياء الذين تؤثرهم الحياة بكل شيء مع غناهم ، وصورة الفقراء الذين تحرمهم الحياة من كل شيء مع شدة حاجتهم وضعفهم ، وأخذ يعتمد على فلسفة الصعلكة يؤمن بها كل الإيمان والدعوة إليها بحماس ، ومن الطبيعي أن يجد لهذه الدعوة أنصاراً مخلصين بين أولئك الفقراء المستضعفين الذين أجهدهم الفقر وأهزلهم الجوع وأذلتهم الأوضاع الاجتماعية، وسدت الحياة في وجوهم سبل العيش الحر الكريم ، فالتفت حوله طوائف من الصعاليك ، يخرج بأقويائهم

---

(1) ـ شوقي ضيف : (العصر الجاهلي) ص278

(2) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك...) ص 323.

فيغير ثم يوزع الغنائم على من أغار بهم ، وعلى من تخلف من المرضى والضعفاء أيضاً ، وقد عرف الصعاليك في عروة هذه النفس الإنسانية القوية فكانوا إذا أصابتهم سنة قحط أتوه فجلسوا أمام بيته حتى إذا بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصعاليك ، أغثنا فيخرج ليغزو بهم[1]؛ ولهذا سُمِّي (عروة الصعاليك).

ويسأل الباحث : هل عروة بن الورد صعلوكاً من الصعاليك؟

يرى الباحث أن عروة بن الورد لم يكن صعلوكاً باللفظ المقصود به الصعلكة ، لم يكن سافكاً للدماء ولا متشرداً في الصحراء ، ولم تخلعه قبيلته ، وفي هذا يقول غازي طليمات أدلة تنفي عن عروة الصعلكة : (ذكر الأستاذ منذر شعار أن الصعلوك كان منخلعاً من قبيلته ، ولم يكن عروة كذلك ، وأن الصعلوك كان دائم التنقل يتسقط الطعام ، وعروة كان سيّداً يعطي ويهب ، وأن الصعلوك لم يشترك مع قبيلته في الغزو ، وعروة كان أحد فرسان عبس، يشاركها في غزواتها ، وأن الصعلوك لم يكن على صلة بالتجارة ، وعروة كان يخالط أهل يثرب وبني النضير ، فيقرضونه إن احتاج ويبايعهم إذا غنم)[2].

فعروة صعلوك إذا كانت الصعلكة جودِ يد ، وركوب فرس ، وبذل معروف ، وشرف نفس ، ورفقاً بالفقير وغضباً على الغني البخيل ، وهو غير صعلوك إذا كانت خلعاً من القبيلة وتشرداً في الفيافي ، وتسقّطاً للطعام ، وإنما قصد الروات بتسميته صعلوك ؛ لأنه كان يأخذ من الأغنياء عنوةً ويعطي الفقراء رفقاً بهم ، وكان مقصده العطف على الفقراء ، وإطعام الجائعين والبرّ بالمرضى ، وكانت غزوات عروة مرهونة بأيام القحط كما يرى الأصفهاني : (كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاءِ من دون الناس من عشيرته في الشدة، حتى إذا أخصب الناس وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه إن كانوا غنموها؛ فلذلك سُمِّيَ عروة الصعاليك).

---

(1) ـ يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 324.
(2) ـ غازي طليمات : (الأدب الجاهلي ، قضاياه.....) ص 579.

وهذه الصعلكة ألصقت بعروة إلصاقاً لأنها ليست من طبعهً ، فقد وصف بالفروسية، والجود ، والقيام بأمر العاجزين عن الكسب.

أما أخلاقه فهو شجاعٌ ، كريمٌ ، عفيف ، ذكي ، حازم ، صريح ، حسن العشرة ، يلتزم الحق ، ويزهد في جمع المال ، وينشط للعمل الدءوب ويكره الخمول ، وهذه الأخلاق الرفيعة جعلت له مكانة سامغة ، حتى قال معاوية ابن أبي سفيان : (لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم)[1].

ويراه عبدالملك بن مروان منتهى الكرم والسماحة ، ولذا قال :(من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة) حتى أنهً يتمنى أن يكون عروة أباه ، لما يمتاز به سلوكه من إنسانية حانية رحيمة ومات مقتولاً ، قتله رجل من بني طهية في بعض غاراته ، وقيل سنة 596م عند الثعالبي ، وقيل سنة 616م عند لويس شيخو ، وليس في هذه الأقوال راجح ؛ لأنها لا تسند إلى أدلة قوية[2].

2- تأبط شراً:

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن كعب بن حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار[3].

وأمه امرأة من بني القين اسمها أميمة ، يلتقي نسبها بنسب أبيه في بني فهم ، ولدت خمسة من الذكور[4]:تأبط شراً ، وريش ، ونسر ، وكعب ، وجدر ، وقيل :أنها ولدت سادساً واسمه عمرو، وبعد جابر تزوجها الشاعر أبو كبير الهذلي ، فكره تأبط شراً ، وحاول أن يقتله ، فأخفق ، وخافه.

و (تأبط شراً) لقبٌ لُقِّب به ثابت بن جابر وسبب اللقب كما جاء في الأغاني : (ذكر الرواة أنه كان رأى كبشاً في الصحراء ، فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما

---

(1) ـ غازي طليمات: (مرجع سابق) ص 578-580.
(2) ـ خليل أبو ذبيان : (الأدب الجاهلي) ص 329.
(3) ـ المفضل الضبي: (المفضليات) ط9 ، 2012م ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف القاهرة ، ص
(4) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، ج21، ص 144.

قرب من الحي ثقل عليه الكبش فلم يقلّه ، فرمى به فإذا هو الغول ، فقال له قومه : ما كنت متأبطاً يا ثابت ؟ قال : الغول ،قالوا : لقد تأبط شراً فسُمي بذلك.

وقيل : بل قالت له أمّه : كل اخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك ، فقال لها : سآتيك الليلة بشيء ، ومضى فصاد أفاعيَ كثيرة من أكبر ما قدر عليه ، فلما راح أتى بهن في جراب متأبطاً به ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فتساعيّن في بيتها ، فوثبت وخرجت ، فقال لها نساء الحي : ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاعي في جراب ، قلنِ : وكيف حملها ؟ قالت: تأبطها ، قلن : لقد تأبط شراً ، فلزمه تأبط شراً)[1]

وقيل – ولعله أصح الأقوال : (إن أمه سُئلت عنه – وكان قد وضع تحت إبطه سكيناً أو سيفاً أو جعبة سهام – فقالت : تأبط شراً)[2].

يعدّ هذا الشاعر في الصعاليك الفتّاك ، وفي أغربة العرب الأشداء ، وتجتمع في شخصيته مقومات الصعلكة في أشرس صورها وأضراها كان عدّاءً لاتجاريه الخيل : (إن تأبط شراً كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين ، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه ، فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله)[3].

وكان صاحب مكيدة ودهاء ، وذا بصر حديد وسمع رهيف ، وبديهة حاضرة تعينه على اقتحام ما يعرض له من مآزق ، وكان اسمه كافياً لبث الرعب في القلوب كما ورد في الأغاني : (قال أبو وهب لتأبط شراً : بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل ؟ قال :باسمي إنما أقول ساعة ألقى الرجل : أنا تأبط شراً ؛ فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت)[4].

---

(1) ـ الأصفهاني : (نفسه) ص 145.
(2) ـ غازي طليمات : (الأدب الجاهلي ، قضاياه.....) ص 591.
(3) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، ج21، ص 146.
(4) ـ الأصفهاني: (نفسه) ص 147.

وهذه أمه تصف للناس طريقة تربيتها إياه وكأنها أحست تساؤلهم عن سر ما يمتلك من صفات لم يألفوها في غيره ، وعبدالحليم حفني يقول : (فهي تسوق لهم جانب من التعليل ذلك كما روى الجاحظ في قوله :(رووا جميعاً أن أم تأبط شراً قالت : والله ما ولدته يتناً ولا سقيته غيلاً ، ولا أبته على مأقة ، وقد شرح الجاحظ هذه الألفاظ بأن اليتن خروج المولود قبل رأسه وذلك علامة سوء ، وأن الغيل ارتضاع لبن الحبلى ، وذلك فساد شديد ، وأن المأقة مضمون العنف والحمق من الأم في ترقيص ابنها وإعداده للنوم بطريقة مفزعة لا رفق فيها)[1].

والقبائل التي غزاها هي : هذيل ، وبجيلة ، والعَوْص ، وخثعم ، والأزد ، وبنو نفاثة، والصعاليك الذين كانوا يغيرون معه هم : مرة بن خليف ، وعمرو بن براقة ، والمسيب ابن كلاب ، وعامر بن الأخنس ، والشنفرى.

ومع مكره وضراوته كان غادراً ، حتى أنه يقتل من يكرمه ، ولو كان شيخاً كبيراً ، أو غلاماً لم يحتلم ، والخصلة الوحيدة في سلوكه قيامه بشؤون أصحابه الصعاليك ، ودفاعه عنهم ، وثأره لهم ، ورثاؤه إياهم ، حتى دعاه صديقه الشنفرى : (أمّ العيال) ويقصد بالعيال الصعاليك.

وقد قتله غلام تقتحمه العين اسمه سفيان بن ساعدة إذ رماه بسهم ، وهو مختبئ خلف شجرة ، فلحقه تأبط شراً وهو جريح فقتله[2].

وذكر صاحب الأغاني خبر قتله : (إنه خرج من أهله بغارة من قومه ، يريدون هؤلاء الصعاليك بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعيد بن هذيل ، فلم يفلحوا وفي طريقهم وجدوا أهل بيت شاذ من بني قريم وهذا البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة فحصرهم تأبط وأصحابه حتى أمسوا ، وقد قالت وليدة لساعدة : إني قد رأيت اليوم القوم بهذا الجبل ، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أهله ، وانتظر تأبط وأصحابه أن يغفل الشيخ ،

---

(1) ـ عبد الحليم حفني : (شعر الصعاليك.....) ص 113.
(2) ـ غازي طليمات : (الأدب الجاهلي، قضاياه.....) ص 590.

وذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح ، مشوا إليه وأعطوه من مواثيقهم ما أقنعه ، وشكوا إليه الجوع ، فلما اطمأن إليهم وثبوا عليه فقتلوه ، وإن له صبي صغير اسمه سفيان كان أبوه أمره أن ينام وراء ماله ، فأقبل إليه تأبط شراً مستتراً بمجنّه ، فلما خشيَ الغلام أن يناله تأبط بسيفه ، رمى مجنّ تأبط بحجر ، فظن تأبط شراً أنه قد أرسل سهمه ، فرمى مجنه عن يده ، ومشى إليه ، فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبتّه حتى خرج منه السهم ، فوقع في البطحاء حذوَ القوم[1]...) وذهب إليه فقتله ، ومات تأبط شراً ، وتركوه أصحابه وانطلقوا، وجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلاّ مات ، وكان ذلك إبان عام 530م[2] وقيل : (قُتل في بلاد هذيل وألقي في غار يُقال له (رخمان)[3]

3- أبو خراش الهذلي :

أبو خراش اسمه خُويلد بن مرة ، أحد بني قِرْد واسم قرد عمرو بن تميم بن سعد ابن هُذيل بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار[4].

شاعر فحل من شعراء هذيل الفصحاء ، مخضرم: أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم مدة حتى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أحد عشرة إخوة كلهم عداء لا تسبقهم الخيل ، وكان أبوخراش أبرزهم موضعاً وأشهرهم ذكراً[5].

وكان ممن يَعْدو فسبق الخيل في غارّات قومه وحروبهم ، وأخبار عدْوه إذ يقول أبو الفرج الأصفهاني : (خرج أبو خراش الهذلي من أرض هذيل يريد مكة ، فقال لزوجته أمّ خراش : ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة ، وإنك من أفكّ النساء وإن بني الديل يطلبونني بثأرات فإياك وإن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها ، فقالت: معاذ الله أن أذكرك لأحد من أهل مكة وأنا أعرف السبب ، وخرجت إلى السوق لتشتري عطراً ، فمرّ بها فتيان من بني الديل فقالا لها : من أهلك من هُذيل ، فقالت: إنّ أبا خراش معي ولاتذكراه لأحد ،

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، ج21، ص 192-194.
(2) ـ غازي طليمات : (الأدب الجاهلي، قضاياه.....) ص 592.
(3) ـ كامل سليمان الجبوري: (معجم الشعراء) ط1، 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 38.
(4) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، ج21، ص 330.
(5) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة، ص 231 بتصرف.

ونحن رائحون العشية فخرج الرجلان وجمعا له جمعاً، وأخذوا مولى لهم اسمه مخلد ، وكان من أجود الرجال عدْواً ، وأمر زوجه بالمرور بهم بمفردها ، فقال لها : (فاركضي بعيرك ، وضعي عليه العصا والنجاء النجاء ، وهي على قعود عُقيلي يسابق الرياح ، فلما دنا منهم وقد تلثموا ، فوقف قليلاً كأنه يُصلح شيئاً وجازت بهم أمّ خراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم ، ووضعت العصا على قعودها ، وتواثبوا إليه ووثب يعدو فزاحمه على المحجة التي يسلك فيها العقبة ظبيٌ فسبقه أبو خراش ، وتصايح القوم بمخلد يا مخلد أخذاً أخذاً فقال: فات الأخذ فقالوا: ضرباً ضرباً ، فسبق الضرب ، فصاحوا رمياً رمياً ، فسبق الرمي فنجا)[1].

وكانت حياته غير مستقرة ومضطربة ، وهو مطلوب من عشائر كثيرة ، فثمالة تريده ، وبنو الديل يتربصون له ، وفهمْ وكنانة تبحثان عنه ، وهو مع كل هذا يفر من الجميع ويوقع بالجميع . أما قومه يعيش في توافق معهم دون أن يخشى أحداً إلا من غيرهم.

وهذه الصعلكة ظهرت عنده في شكل ثورة نفسية ، وهي صدى لثورة على النظام الاجتماعي والاقتصادي آنذاك ، ولم تتفجر عنده إلا في حالات العسر والفاقة ، حيث يعيش مع قومه طالما وجد القوت موفوراً ، حتى إذا أملق وأقفر من الزاد تصعلك[2].

وكان كريماً سمحاً إلى حد بعيد ، وهذه السماحة كانت سبباً في هلاكه[3]،كما ورد عند صاحب الأغاني : (أسلم أبو خراش فحسن إسلامه ، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجاجاً، فنزلوا بأبي خراش ، والماء منهم غير بعيد ، فقال : يابني عمي ، ما أمسى عندنا ماء ، ولكن هذه شاة وبرمة وقربة فرِدوا الماء وكُلوا شاتكم ، فأبوا إلا أن يحضره هو فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قِربته ، وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى ثم أقبل صادراً فنهشته حيّة قبل أن يصل إليهم ، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء ، وقال: اطبخوا شاتكم وكلوا ، ولم يعلمهم

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة، ص 231 بتصرف.
(2) ـ أحمد كمال زكي:(شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي) د.ط، 1969م،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة، ص 363.
(3) ـ عبد الحليم حفني : (شعر الصعاليك.....) ص 123.

بما أصابه ، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا ، وأصبح أبو خراش في الموت فلم يبرحوا حتى دفنوه)[1].

وحين بلغ عمر بن الخطاب ذلك ، فقال : (والله لولا أن تكون سنة لأمرت ألا يضاف يماني بعدها وكتب إلى عامله باليمن : بأن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرمهم ديته[2].

4- السُّليك بن السُّلكة :

هو السُّليك بن عمرو ، وقيل عمير بن يثربى بن الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم[3] ، وهو منسوب إلى أمه سُلكة وكانت سوداء ، وهو أحد أغربة العرب وهجنائهم وصعاليكهم ، وكان له بأس ونجدة [4]، وهو من العدّائين الذين كانوا لايُلحقون ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا ، وهم : السليك بن السلكة ، والشنفرى ، وتأبط شراً ، وعمرو بن برّاق، ونفيل بن براقة .

وكان السليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم ، وكانت العرب تدعوه: سليك المناقب[5] ، وكان أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وكان يستودع بيض النعام ماء السماء في الشتاء ، ثم يدفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار، وكان أدلّ من قطاة يجيء يقف على البيضة ، وكان لا يغير على مُضر ، وإنما يغير على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة ، وكان يقول:(اللهم إنك تهيي ما تشاء لمن تشاء إذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إنّي أعوذ بك من الخيبة ، فأما الهيبة فلا هيبة)[6].وقيل أملق حتى لم يبق له شيء ، فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غِرة من بعض ما يمرُّ عليه فيذهب بإبله حتى إذا أمسى في ليلة من ليالي الشتاء قرّة مقمرة اشتمل الصماء ونام فبينما هو كذلك جثم عليه رجل فقال: (استأسر فرفع السليك

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، ج21، ص 252.
(2) ـ عبد الحليم حفني : (شعر الصعاليك.....) ص 123.
(3) ـ الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة بيروت، ج20، ص 346.
(4) ـ ابن قتيبة : (الشعر والشعراء) دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 2000م، ص 215.
(5) ـ المقانب: جمع مقنب، وهي جماعة من الخيل تجتمع للغارة.
(6) ـ الأصفهاني: (الأغاني) ج20، ص 347.

رأسه ، فقال : إن الليل طويلٌ وإنك مقمر ، فذهبت مثلاً ، وجعل الرجل يلهزه – يلكزه – ويقول: ياخبيث استأسر ، فلم يعبأ به فلمّا أذاه ضمّه ضمّة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك: أضرطاً وأنت الأعلى، فذهبت مثلاً[1] ، ثم قال له : ما شأنك؟ فقال : أنا رجل فقير خرجت لعلّي أصيب شيئاً فال: انطلق معي فخرجا فوجدا رجلاً قصَّته (مثل) قصّتهما فأتوا جوف مراد وهو اليمن فإذا فيه نعم كثير فقال السليك لهما : كونا (منّي) قريباً حتى أتي الرعاء فأعلم لكما علم الحيّ أ قريب هو أم بعيد فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلتُ لكما قولاً أوميء به إليكما فأغيرا على ما يليكما ، فانطلق يستنبطهم حتى أخبروه خبر الحيّ فإذا هو بعيد فقال لهم السليك : ألا اغنيّكم قالوا بلى فرفع عقيرته يتغنّى[2]:

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي ** سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذواد

أ تنظران قريباً ريث غفلتهم *** أم تغدوان فإن الريح للغادي[3]

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريخ الحيّ حتى فاتوهم بالإبل[4].

السليك ينذر قومه:

يقول صاحب الأغاني : (قال أبوعبيدة :وبلغني أن السليك بن السلكة رأته طلائع جيش لبكر بن وائل ، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ، ولا يعلم بهم أحد ، فقالوا: إن علم السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا له فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يمحص – يسرع – كأنه ظبي ، وطارداه سحا سحابة يومه ثم قالا : إذا كان الليل أعيا، ثم سقط أو قصّر عن العدو ، فنأخذه فلما أصبحا ، وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا عنها وندرت – سقطت – قوسه فانحطمت فوجدا قِصدة – قطعة– منها قد ارتزت بالأرض ، فقالا : ماله أخزاه الله ، ما أشده ، وهما بالرجوع ، ثم قالا : لعل هذا كان من أول الليل ، ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاجّاً

---

(1) ـ ابن قتيبة : (طبقات الشعراء) ص 215.
(2) ـ ابن قتيبة : (الشعر والشعراء) ص 216.
(3) ـ الأم : جمع أمة إلى العشر فاذا كن أكثر قيل إماء. الذود: القطيع من الإبل.
(4) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ج20 ، ص 348.

قد بال في الأرض قرعاً يخدها فقالا : ماله قاتله الله ما أشد متنه ، والله لا نتبعه أبداً فانصرفا ، ثم إلى قومه فأنذرهم فكذبوه لبُعد الغاية ، فأنشا يقول :

يُكذّبني العمران عمرو بن جُندب ** وعمرو بن سعد والمُكذب أكذبُ

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها ** كراديس يهديها إلى الحيّ موكبُ

كراديس فيها الحوفزان وقومه ** فوارس همّام متى يدعُ يركبوا[1]

مقتل السليك:

قال السكري في خبر مقتله : (إنه لقي رجلاً من خثعم في أرض يقال لها : قمة بين عقيل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل : مالك بن عمرو بن أبي ذراع بن جثم بن عوف ، فاخدموا معه امرأة له من خفاجة يقال لها النوار ، فقال له الخثعمي أنا أفدي نفسي منك، فقال له السليك : ذلك لك ، على ألا تخيس بي ولا تطلع علي أحداً من خثعم ، فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلّف امرأته رهينة معه ، فنكحها السليك ، وجعلت تقول: احذر خثعماً ، فإني اخافهم عليك فأنشأ يقول:

تهددني كي أحذر العام خثعماً ** وقد علمتْ إني امرؤ غير مُسلمِ

وما خثعم إلا لئام ارقة ** إلى الذل فالأسحاق تنمي وتنتمي

قال : وبلغ ذلك شبيل بن قُلادة بن عمرو بن سعد ، وانس بن مدرك الخثعمين ، فخالفا إلى السليك فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل فأنشأ يقول :

من مبلغ حرمي إني مقتول ** يا ربّ نهب قد حويت عثكول

وربّ قِرن قد تركت مجدول** وربّ زوج قد نكحت عطيول

وربّ عان قد فككت مكبول** وربّ واد قد قطعت مسيول

---

[1] ـ الأصفهاني : (مرجع سابق) ج20، ص 353.

فقال أنس لشبيل : إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل ، وإن شئت أكفني القوم أكفك الرجل، قال : بل أكفيك القوم ، فشد أنس على السليك فقتله)[1].

5- الشنفرى:

هو اسمه عمرو بن مالك[1] بن الحارث بن ربيعة بن الأواس بن حجر بن الهنو ابن الأزد بن الغوث[2] ، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بنْ عيلان .

والشنفرى معناه عظيم الشفاة ، وهو ابن أخت تأبط شراً ، وهو شاعر جاهلي صعلوك مختلف في تاريخ حياته والمظنون أنه كان هجيناً يحمل حقداً عنيفاً لبني سلامان، نشأ في بني فهم فعاشر صعاليكها ، شُهر بسرعة الجري ، وضرب المثل في العدو به ، فلم يزل فيهم حتى اسرت بنو سلامان رجلاً من فهم ثم أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى ، فكان الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلا أحدهم وكان السلامي اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه[3].

وهو شاعر يماني ، من فحول الطبقة الثانية ، وكان من فتاك العرب وعدائيهم ، وهو صاحب لامية العرب ، ويضربُ به المثل في العدو ، فيقال: (أعدى من الشنفرى)[4] .

وكان يظن نفسه أنه من بني سلامان ، حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، فقال لها الشنفرى: اغسلي رأسي يا أخية (وهو لا يشك في أنها أخته) فانكرت أن يكون أخاها ولطمته ، فذهب مغاضباً حتى أتى الذي اشتراه من فهم ، فقال له الشنفرى: أصدقني من أنا ؟ قال: أنت الأواس بن الحجر، فقال: لن أدعوكم حتى اقتل منكم مائة بما استعبتموني ، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً، وقال الشنفرى للجارية السلامية التي لطمته ، وقالت لست بأخي :

ألا ليت شعري والتلهف ضلة * بما ضربت كف الفتاة هجينها

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ج20 ، ص 357- 358.
(1) ـ كامل سليمان الجبوري : (معجم الشعراء) ط1، 2003، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص 408
(2) ـ المفضل الضبي: (المفضليات) ص 108.
(3) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ج21، ص 201
(4) ـ يحي مراد: (معجم تراجم الشعراء الكبير) د.ط ، 2006 ، دار الحديث ، القاهرة ، ص 225- 226.

ولو علمت قعسوس أنساب والدي* ووالدها ظلت تقاصر دونها

أنا ابن خيار الحجر بيتاً ومنصباً وأمي ابنة الأحرار لو تعرفينها[1]

ثم لزم الشنفرى دار فهم فكان يغير على الأزد فيمن تبعه من فهم ، وكان يغير عليه أكثر من ذلك ، وقال الشنفرى لبني سلامان :

وإني لأهوى إن ألف عجاجتي * على ذي كساء من سلامان أو برد

وأصبح بالعضداء أبغي سراتهم * وأسلك خلاً بين أرباع والسرد

فكان يقتل بني سلامان بن مفرج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرمداء فأعجزهم، فإذا هو هارب بقرية خيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ، ثم خشي الطلب فقال:

قالا تزرني حتفتي أو تلاقني * أُمش بدهر أو عذاف فنوّرا

أمشي بأطراف الحماط وتارةً * تنفض رجلي بُسطا فعصنصرا

وأبغي بني صعب بن مُرّة بلادهم * وسوف ألاقيهم إن الله يسرا

ويوماً بذات الرأس أو بطن منجل * هنالك تلقى القاصيَ المتغورا[2]

ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلاماني وخازم (حازم) بالناصف من أنبدة ومع أسيد ابن أخيه ، فمرَّ عليهم الشنفرى ، فأبصر السواد بالليل فرماه ، وكان لا يرى سواداً إلا رماه كائناً ما كان ، فشل ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده ، فلم يتكلم ، فقال الشنفرى: إن كنت شيئاً فقد أمنتك ، وكان خازم باطحاً بالطريق يرصده ، فنادى أسيد : يا خازم ، أصلِت يعني

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ج21، ص 202.
قعسوس : لقب للفتاة.
(2) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ج21، ص 203.
دهر وعداف وفنورا: أماكن. تنفض رجله: تجول به. بسيطا وعصنصرا: موضعان. الحماط : ضرب من النبت.

اسلل سيفك ، فقال الشنفرى : لكل ما تصلت فأصلت الشنفرى، فقطع أصبعين من أصابع خازم الخنصر والبنصر وضبطه خازم حتى لحقه أسيد وابن أمية نجدة فأخذ أسيد سلاح الشنفرى وقد صرع الشنفرى خازماً وابن أخي اسيد ، فضبطاه وهما تحته ، وأخذ أسيد برجل ابن أخيه ، فقال أسيد : رجل من هذه؟ فقال الشنفرى رجلي ، فقال: ابن أخي أسيد: بل هي رجلي يا عم، فأسروا الشنفرى ، وأدّوه إلى أهلهم ، وقالوا له: أنشدنا فقال: إنما النشيد على المسرة ، فذهبت مثلاً ، ثم ضربوا يده فتعضرت – اضطربت – فقال الشنفرى في ذلك:

لا تبعدي إما ذهبت شامه * فرب وادٍ نفرت حمامه

و رُبَّ قرْنٍ فصّلت عظامه

ثم قال له السلامي: أ أطرِفُك؟ ثم رماه في عينه ، وكان الشنفرى إذا رمى رجلاً منهم قال له: أ أطرِفُك؟ ثم يرمي عينه ، ثم قالوا له حين أرادوا قتله: اين نقبرك؟ فقال:

لا تقبروني إن قبري محرم * عليكم ولكن أبشري أمّ عامر

إذا احتُملت رأسي وفي الرأس أكثري * وغُودر عند الملتقى ثمَّ سائري

هنالك لا أرجو حياةً تسرُّني * سمِير الليالي مبسلاً بالجرائر[1]

ومن لامية الشنفرى المشهورة :

أقيموا بني أُمي صدور مطيكم * فإني إلى أهل سواكم لأميل

فقد حُمَّت الحاجات والليل مقمر * وشُدت لطيّاتي مطايا وأرحل

وفي الأرض منأي للكريم عن الأذى * وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ * سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

---

[1] ـ الأصفهاني: (الأغاني) ج21، ص 203-205.

ولي دونك أهلون سيد عملس * وأرقط زهلول وعرفاء جيال

هم الرهط لا مستودَع السر شائع * لديهم ولا الجاني بما جرَّ يحذل

وكلّ أبيٍّ باسل غير أنني * إذا عرضت أُولى الطرائد أبسل

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن * بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

وما ذاك الا بسطة عن تفضل * عليهم وكان الأفضل المتفضل

وانّي كفاني فقد من ليس جازياً * بحسنى ولا في قربه متعلّل

ثلاثة أصحاب فؤاد مشيّع * وأبيض إصليت وصفراء عيطل

هتوف من الملس الحسان يزينها * رصائع قد نيطت عليها ومحمل

إذا زلَّ عنها السَّهم حنَّت كأنها * مرزَّة ثكلى ترنُّ و تعول[1]

---

(1) - ابو علي القالي: (الأمالي والنوادر) ص 210

المبحث الثاني

أثر البيئة في شعر الصعاليك

كان النظام الاجتماعي الذي ساد المجتمع الجاهلي ، وليد النظام الاقتصادي بكل مافيه من خلل وتباين، ذُكرتْ سابقاً طبقات هذا المجتمع ، وبخاصة طبقة السادة وطبقة العبيد، وكانت طبقة السادة تمتلك كل شيء ، وأما طبقة العبيد لم تملك شيئاً حتى نفسها وحريتها ، وهذا الفارق الحاد بين الطبقتين في الثروة والمكانة الاجتماعية، ومن الطبعي أن يحدث الشقاق الذي يدفع الإنسان المعدم إلى التصعلك[1].

وصراع الإنسان الصعلوك ضد القوى المحيطة به والتي تفرض عليه شتى ضروب القهر ، إنما هو نتيجة حتمية لإحساسه بقدرته على رفض هذا القهُر الذي ينقله من القوة إلى الضعف ؛ مما يجعل الصعلوك مضطراً لإنكار عبودية الزمان والمكان والمجتمع بما فيه من الإنسان والقيم، والعمل على التميز عن الآخرين والحرية تقتضي حرية القول، وحرية الفعل ، والشعور بالعدل ، والإحساس بالمساواة ، وتبدأ من حب الحياة إلى رفض كل أنواع الحياة المهينة ، من وقوع الظلم إلى الإحساس به، ومحاولة رفعه ، وكل ما سبق ذكره حق إنساني لا يتحقق في هذا المجتمع إلا بالقوة وإباء الضيم والإصرار على تحقيق الحياة الكريمة التي يجد فيها الإنسان العيش في إطار من العزة والأمن[2].

ولاشك أن للبيئة أثراً واضحاً جلياً في حياة الصعاليك ، وشعرهم ، وفي الرؤية التي ينطلق منها الصعاليك ، وهذا الشنفرى يرى المكان الفسيح منطلقاً لكل رفض للهوان والظلم، فيقول:

وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذى * وفيها لمن خاف القِلَى مُتَحَوَّلُ

---

(1) ـ عبدالقادر عبدالحميد زيدان : (**التمر والغربة في الشعر الجاهلي**) ، دار الوفاء الاسكندرية، ص 107.

(2) ـ حسني عبدالجليل يوسف :(**المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي ، الالتزام والاغتراب والتمرد**) ط1، 2008م، دار الوفاء ،ص 138- 143.

لعمرك ما بالأرض ضِيق على امرِئٍ * سرى راغباً أو راهباً وهْوَ يَعْقِل[1]

وهذا الشاعر يرسم صورة منمقة للمكانة الوضيعة التي تُفرض على هذه الطبقة الكادحة من المجتمع ، إلا أن نفوس هؤلاء الصعاليك وما تحمله من قوة وعزة ، لا تستكن لهذا الوضع ، وإنما الأرض واسعة.

وقد عبر شعرهم عن هذا الوضع المهين من المجتمع تعبيراً به مراراً وألماً حاداً، ينم عن عمق تأثيرهم بالذل والهوان الذي يريد المجتمع أن يفرضه عليهم[2].

والشنفرى يعبر عن نفوره من إذلال نفسه، وأن يكون للناس فضلاً عليه، يفضل استفاف التراب، ويفضل الجوع بدلاً من الشبع على الذل، فيقول:

أديم مِطالَ الجوع حتى أُميته * وأضرب عنه الذِّكر صفحاً فأذهل

استفُّ تُرْبَ الأرض كي لا يرى له * عليّ من الطَّول امرؤٌ مُتَطوِّل

ولولا اجتناب الذَّام لم يبقَ مشروبٌ * يعاش به إلاَّ لَدَيّ ومأكل

ولكن نفساً حُرَّة لا تُقِيم بي * على الضَّيم إلاَّ ريثَ ما أتَحوَّل

وأطوى على الخُمصِ الحوايا كما انطوت * خُيُوطة ماريّ تُغار وتُفتل

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا * أزلّ تهاداه التنائف أطحل[3]

وهذا أبو خراش أقفر من الزاد أياما ، ثم مرّ بامرأة من هذيل فذبحت له شاة ، فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر، وضرب بيده على بطنه وقال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام ، والطعام ،

---

(1) ـ حسني عبد الجليل : (**المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي**) ص 144.
(2) ـ عبدالحليم حفني :(**شعر الصعاليك...**) ، ص 199.
(3) ـ أبوبكر الغالي: (**ذيل الأمالي والنوادر**) ، دار الكتب العلمية ، ج 2، ص 204.
المطال: المماطلة. الطول: المن. الذام : العيب. الخمص: ضمور .
البطن أو الجوع. الحوايا: الأمعاء . ماري: اسم رجل
تغار : تحكم. الأزل: خفيف الوركين ، صفة الذئب
التنائف: جمع تنوفة: هي المفازة. الأطحل: الذي لونه بين الغبرة والبياض

والله لا طعمت منه شيئاً ، ثم أخذ من المرأة صَبر ، فاقتمحه ، ثم أهوى إلى بعيره فركبه، وأنشد يقول:

وإني لأثوي الجوع حتى يملّني * فأحيا ولم تدنس ثيابي ولا جِرمي

وأصطبح الماء القراح فأكتفي * إذا الزاد أضحى للمزلَّج ذا طعم

أردُّ شجاع البطن قد تعلمينه * وأُوثر غيري من عيالك بالطُّعم

مخافة أن أحيا برغمٍ وذِلةٍ * فللموت خير من حياة على رغم[1]

وهذا الشاعر يصبر على الجوع حتى يملّه وإذا الجوع أقسى على جسد الفقير ، فإن حياة الذل أشد قسوة على نفس الشاعر.

وهذا الشاعر يرسم صورة رائعة لذلك الجوع النبيل الذي يشعر به الصعلوك، ولكن نفسه الأبية ترفض أن يهينها من أجله، فلا يجد أمامه سوى الصبر والقناعة[2].

وقد آثر الصعاليك حياة التشرد والوحوش والصحراء على ما فيها من معاناة ، على حياة المجتمع المهينة القاسية المذلة ، وكان عبور الصحراء الموحشة والليل المخيف تمثل نمطاً مشتركاً من أنماط حياتهم ، وفي ذلك يقول تأبط شراً:

قليل التشكي للملم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالكِ

يبيت بموماة ويمسي بغيرها * وحيداً ويعروري ظهور المهالكِ

يرى الوحشةَ الأنس الأنيس ويهتدي* بحيث اهتدت أم النجوم الشَّوابكِ

ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي * بمنخرق من شدةِ المتداركِ[3]

---

(1) ـ الأصفهاني :(**الأغاني**) ، دار الثقافة ، ج21، ص 239. أثويه : اطيلّ حبسه عندي. الجرم: الجسد . المزلج: الذي ليس بالمتين. والمزلج من الرجال: الذي ليس بالتام.

(2) ـ يوسف خليف: (**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**)، ص 31.

(3) ـ حسني عبدالجليل : (**الموافق الإنسانية في الشعر الجاهلي**) ، ص 145.

فالشاعر يصف الصعلوك بأنه صبور لا يتألم وبأنه كثير الأسفار يجتاز المسالك الوعرة دون خوف ، ينام في الصحراء وحيداً لا يؤنس وحشته أحد ، ينتقل من فلاة إلى فلاة، ويجتاز الأخطار ، ويركب الأهوال يألف الوحشة والعزلة، ويعرف طريقه في الليل ويهتدي بالنجوم ، يسابق الريح فيسبقها وهذا الصعلوك رغب عن المجتمع الجاهلي، فألف تلك الأماكن الموحشة كما ألف الوحوش ، كأنه حين اغترب عن مجتمعه أصبح في عالم غير عالمه ، فما عاد يألف إنساناً.

وأثر البيئة واضح في شعر الصعاليك وفيه شعور حاد بالفقر ، وإحساس مرير بوقعه على نفوسهم، وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم ، وحرمهم من العدالة الاجتماعية [1]وهذا قيس بن الحدادية لا يساوي عند قومه عنز جرباء جذماء ، وهذه القصة التي تدل على هوان مكانة قيس وردت عند صاحب الأغاني: (وكان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جماعة من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرّة، فقالوا له: استأسر، فقال : وما ينفعكم مني إذا استأسرتُ وأنا خليع؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جذماء ما أعطيتموها[2].....).

وايضاً مما يدل على هوان مكانة الصعاليك ، خبر تلك اللطمة التي لطمتها الفتاة السَّلامِية للشنفرى التي كانت سبباً مباشراً في تصعلكه ؛ لأنها أنكرت عليه أن يتسامى إلى مقامها الاجتماعي ، خبر كبير الدلالة على ماكان يعانيه هؤلاء الصعاليك من مجتمعهم[3]، فقال أبو الفرج: (كان من سبب أمر الشنفرى أنه سبت بنو سلامان ، وهو غلام ، فجعله الذي سباه في بهمه يرعاها مع ابنة له ، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها، فصكّت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فاخبرته، فخرج إليه ليقتله ، فوجده وهو يقول:

ألا هل أتى فتيان قومي جماعةً * بما لطمت كفُّ الفتاة هجينها

ولوعلمت تلك الفتاة مناسبي * ونسبتها ظلت تقاصر دونها

---

(1) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك) ، ص33.
(2) ـ الاصفهاني : (الأغاني) ، دار الثقافة ، ج13، ص 151.
(3) ـ يوسف خليف: (الشعراءالصعاليك) ن ص 33.

أليس أبي خير الأواس وغيرها * وأمي ابنة الخيرين لو تعلمينها

إذا ما أروم الودّ بيني وبينها * يؤمُ بياض الوجه مني يمينها[1]

وهذا الحياة الذليلة المهينة التي يحيونها على هامش مجتمعهم ، يخدمون الأغنياء، وهؤلاء الصعاليك لا يرضون بذلك ، مما دفعهم بفرض أنفسهم بالقوة على المجتمع، وهم في سبيل ذلك لا يبالون بشيء ، حتى بالحياة نفسها ، فهم جميعاً مؤمنون بفكرة الفناء في سبيل المبدأ ، وما قيمة الحياة إذا عاش الإنسان فقيراً محتقراً ، منبوذاً من مجتمعه، إن الموت في هذه الحالة خير من الحياة ، وفي ذلك يقول عروة بن الورد:

إذا المرء لم يَبْعث سَوَاماً ولم يَرُحْ * عليه ولم تعطف عليه أرقارُه

فالموت خير للفتى من حياته * فقيراً ، ومن مولى تدبُّ عقاربه

فقلت له: ألا أحْيَ وأنت حر * ستشبع في حياتك أو تموت

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعْتذرا[2]

وفيم الخشية من الموت؟ إن كلّ حي ملاقيه سواء من خاطر بنفسه ومن لم يخاطر، وفي الأغاني : (أجدب ناس من بني عبس في سنة أصابتهم ، فأتوا عروة بن الورد وخرج بهم ليغزو ، فنهته امرأته عن ذلك بما تخوّفت عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج غازياً ، فقال:

أرى أمَّ حسّان الغداة تلومني * تخوّفني الأعداء والنَّفس أخوف

تقول سُليمى لو اقمت لسرَّنا * ولم تدرِ أني للمقام أطوّف

لعل الذي خوّفتنا من أمامنا * يصادفه في أهله المتخلِّف[3]

---

[1] - الأصفهاني: (**الأغاني**) دار الثقافة ، ج21، 215.
[2] - يوسف خليف: (**الشعراء الصعاليك**) ، ص 34.
[3] - الأصفهاني: (**الأغاني**) ، دار الثقافة ، ج3، ص 78.

وهو يعرف ما في خروجه من المخاطر ، هو أخوف على نفسه من غيره ، ولكن الدوافع لخروجه إنما هو رغبة في أن يقي نفسه وأولاده ذل الحاجة وأن يدفع عنهم عائق الجوع والفقر من أجل مقام طيب ينتظره.[1]

وقد كانت حياة الصعاليك حياة خوف وتشرد ، وتوعد دائماً مع الموت ، حتى يرى بعض الناس ، أن هؤلاء الصعاليك أقرب إلى الموت من غيرهم ، وقال صاحب الأغاني : (خطب تأبط شراً امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل : لا تنكحيه فإنه يقتل لأول نصل غداً فيفقد ، فقال تأبط شراً:

وقالوا لها لا تنكحيه-فإنه * لأول نصلٍ أن يُلاقي مجمعا

فلم ترَ من رأي قتيلاً وحاذرت * تايُّمها من لابس الليل أروعا

قليل غرار النوم أكبر همه * دمُ الثأر أو يلْقى كميا مقنعا

قليل ادخار الزاد إلا تعلَّة * وقد نشز الشرسوف والتصق المعي

يناضله كلٌّ يشجع قومه * وما طبُّه في طرقه أن يشجعا

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه * ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا

رأين فتى لا صيد وحش يهمه * فلو صافحت إنساً لصافحنه معا

ولكن أرباب المخاض يشقهم * إذا افتقدوه أو رأوه مشسعا

وإني وإن عمّرت أعلم أنني * سألقى سنان الموت يبرق أصلعا

على غرّة أو جهرة من مكاثر * أطال نِزال الموتَ حتى تسعسا[2]

---

[1] – حسني عبدالجليل : (**الأدب الجاهلي ، قضايا، وفنون، ونصوص**) ط1، 2007م، دار الوفاء ، ص 178.

[2] - الأصفهاني : (**الأغاني**) ج21، دار الثقافة ، ص 164.

والموت نهاية كل حي ، لن ينجو منه أحد ولو حرص، وهذا أبو الطمحان القيني يقول:

لو كنتُ في ريمان تحرس بابه * أراجيل أحبوش وأغصف آلفُ

إذن لأتتني حيث كنتُ منيتي * يخبُّ بها هاد بأمري قائف[1]

ويرى الشنفرى أن الموت حقيقة حتمية لابد للإنسان أن يلقاها:

دعيني وقولي بعدُ ما شئتِ، إنني * سيغدى بنعشي مرةً فأغيَّبُ[2]

وهؤلاء الصعاليك لا يبالون من الموت؛ لأن المجتمع يضع لهم مكانةً وضيعة ، حتى هذا الصعلوك لن يبكي عليه أحد ، فهو يعيش وحيداً ، ويموت وحيداً، وفي ذلك يقول:

إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها * ولم تُذْرِ خالاتي الدموعَ وعمتي

والصعاليك لهم عزيمة قوية صادقة لا يثنيهم شيئ عن هدفهم الذي يسعون إليه إلاّ الموت، يقول تأبط شراً مصوّراً صدق عزيمته وقوة نفسه:

وكنتُ إذا ما هممت اعتزمتُ * وأحْر إذا قلت أنْ أفعلا

ومما يدل على أن الصعاليك لهم قوة نفسيه منعتهم من القيام بالأعمال التي يقوم بها العبيد ، ويرفضها السادة لخدمة الإبل وغيرها ، مما ورد في حكاية عنترة قوله: (العبد لا يحسن الكر ، وإنما يحسن الحلاب والصر) ويصرح تأبط شراً بترفعه عن القيام بهذه الأعمال، فيقول:

ولستُ بِتِزْعيٍّ طويل عشاؤُهُ * يؤنفها مستأنف النبت مُبْهِلِ[3]

---

[1] - الأصفهاني : (**الأغاني**) ج11، طبعة بولاق ، 132. ريمان حصن باليمن . أراجيل: جمع راجل . أحبوش: جماعة من الناس .الأغصف: الكلب المسترخي الاذن. الألف: المستأنس بمن يحرسهم، من الإلف

[2] - الأصفهاني : (**الأغاني**)، درا الثقافة ، ج18، ص .

[3] - يوسف خليف: (**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**) ، ص 35- 36.

ويصرح مرة أخرى بأنه يخجل من الوقوف وسط قطعان الغنم، وقد حمل في يده عصا طويلة حتى أشبه ذلك الطائر المائي الطويل المنقار ، وقد وقع في مستنقع من مستنقعات المياه الضحلة:

ولست براعي ثَلَّة قام وسطها * طويل العصا غُرْنَيق ضحل مُرَسَّلِ[1]

فهم لا يقبلون لأنفسهم إلا تلك الأعمال التي يقوم بها السادة كالغزو والإغارة ، يقول تأبط شراً:

متى تبغني مادمتُ حيّاً مسلَّماً * تجدني مع المسترعل المتعبهل[2]

فمكانهم الذي يطلبونه لأنفسهم ليس وراء الإبل أو بين قطعان الغنم ، ولكنه في الطليعة المتقدمة بين القادة والأبطال.[3]

وهذا عروة بن الورد يشكي المكانة الوضيعة التي فرضها عليه المجتمع ، وقد عاش حياة كلها هموم ومعاناة وكلها جفاء وازدراء ، فقد عيروه بأمه الغريبة ، وعيروه بفقره ، فلما جمع المال عيروه به لأنه جاء نهباً وسلباً، فيقول:[4]

هم عيروني أن أمي غريبة * وهل في كريم ماجدٍ ما يعيرُ

وقد عيروني المال حين جمعتُهُ * وقد عيروني الفقر إذ أنا مقترُ

وعيروني قومي شبابي ولِمّتي * متى ما يشأ رهط امرئ يتعيَّرُ

ولا أنتمي إلا لجار مجاور * فما آخر العيش الذي أنتظر

وهذه الأبيات توضح موقف القبيلة من عروة فهي رافضة له في عصر فتوته وشبابه، وهذه الظروف التي أحاطت به وضعته بين شقي الرحى منذ نشأته الأولى.

---

(1) - الثلة: جماعة الغنم. الغرنيق: طائر مائي . رجل مرسل : كثير الرسل أي اللبن.
(2) - المسترعل: قائد الفرسان، والذي يخرج في الرعيل الأول . المتعبهل: الممتنع الذي لا يمنع.
(3) – يوسف خليف :(**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**) ، ص 37.
(4) - عبدالقادر عبدالحميد زيدان: (**التمر والغربة في الشعر الجاهلي**)، ص 74.

واستطاع عروة أن ينتزع ذاته من طغيان القبيلة فلم يكن يهدفه إلاّ أن يكون إيجابياً بالقدر الذي يتيح له أن يكون على وفاق تام مع نفسه ومع الحياة ، حتى في اللحظات التي تغطي فيها سحابات داكنة من نكران الجميل أفق هذه الحياة ، فيقول:

إني امرؤ عافي إنائي شركة * وأنت امرؤ عافي إناءك واحد

أتهزأ مني أن سمنت وأن تري * بجسمي مسَّ الحقّ والحقُّ جاهد

أفرق جسمي في جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد[1]

وهذه الأبيات ترمز لكرم عروة بن الورد ، الذي من أجله تمناه الخلفاء ، وبلغ به درجة في مدارج البذل والعطاء ، ومع ذلك هذه الأبيات تحمل معنى التهوين والإذلال ، وما أقسى ذلك على نفس كنفس عروة ، وهذه الأبيات تصور عذاب عروة واغترابه والشعور بالذلة والهوان في قوله: (مسَّ الحقّ والحقّ جاهد) وقد كانت لعروة رغبة لا تقاوم في العطاء ، وحياته كلها كفاح من أجل دوامها، فيقول:

فراشي فراشُ الضيف ، والبيت بيته * ولم يلهني عنه غزالٌ مقنَّعُ

أحدثه ، إن الحديث من القِرى * وتعلم نفسي أنه سوف يهجعُ

وقد كان هذا المجتمع يخلع بعض أفراده ، ويعلن هذا الخلع في مجالات التجمع كالأسواق ، ولم يكن معناه عزل الفرد عن قبيلته فحسب بل عن المجتمع بأسره ، وهو إجراء تأديبي ، ويصبح هؤلاء المتمردون في خضم معترك من الحياة عنيف ، قد يتفق مع طبائعهم الثائرة ، ولكن يؤدي إلى الإحساس الدائم بالغربة والضياع[2]، وهذا قيس بن الحداية بعد خلعه يقول:

سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت * بهن النَّوى حتى حللن المطاليا[3]

---

(1) – كرم البستاني: (**ديوان عروة بن الورد**) د. ط ، 1950م ، تحقيق وشرح كرم البساوي ، مكتبه صادر بيروت ، ص 82 – 83.

(2) - عبدالقادر عبدالحميد : (**التمرد والغربة في الشعر الجاهلي**) ، ص 65.

(3) المطالي: الأرض السهلة اللينة ترادفت: تتابعت عليها الرحلة.

فإن كانت الأيام يا أمّ مالك * تسلّيكم عنيّ وتُرضي الأعاديا

فلا يأمنن بعدي امرؤ فجع لذَّةٍ * من العيش أو فجع الخطوب العوافيا[1]

وبُدّلت من جدواكِ ياأمّ مالكٍ * طوارق همٍّ يحتضرن وساديا[2]

وأصبحت بعد الأنس لابس جُبّة* أساقي الكماة الدارعين العواليا[3]

فيومايَ يومُ في الحديد مُسربلاً * ويوم مع البيض الأوانس لاهيا

فلا مدركاً حظّاً لدى أمّ مالك * ولا مستريحاً في الحياة فقاضيا[4]

خليليّ إن دارت علّيّ أمّ مالك * صروف الليالي فابعثا لي ناعيا

ولا تتركاني لا لخير معجَّل * ولالبقاء تنظران بقائيا

وإن الذي أمَّلت من أمّ مالك * أشاب قذالي واستهام فؤدايا[5]

فليت المنايا صبَّحتني غُديّةً * بذبح ولم أسمع لبينٍ مناديا[6]

نظرتُ ودوني يذبُلٌ وعمايةٌ * إلى آل نُعمٍ منظراً متنائيا[7]

شكوت إلى الرحمن بعُد مزارها * وما حمَّلتني وانقطاع رجائيا

وقلت ولم أملك أعمرو بن عام* لحتفٍ بذات الرَّقَمتين يرى ليا

وقد أيقنتْ نفسي بعشيّةَ فارقوا * بأسفل وادي الدَّوح أن لا تلاقيا

---

(1) ـ العوافي: جمع عافية وهي الطامسة.
(2) ـ الجدوي: العطية.
(3) ـ الجُبة: الدرع، والكماة: جمع كميّ: وهو الشجاع المتكي في سلاحه أي: المتغطي بالدرع والبيض ، ورجل دارع : عليه دراع . العوالي: جمع عالية ، وهي أعلى الرمح ورأسه.
(4) قاضياً: ميتاً، من قضى ، أي مات.
(5) ـ القذال: جماع مؤخر الرأس ، واستهام فؤاده: اذهبه
(6) ـ غدية مثل عشية: والجمع غدايا كعشية وعشايا. البين: الفراق.
(7) ـ يذبل وعماية: جبلان في بلاد نجد.

إذا ماطواكِ الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا[1]

وهذه القصيدة توضح ما يعانيه الشاعر من مأساة بعد أن كان في حضن قبيلته وحمايتها ، حُرِم من هذه الحماية التي تعطيه الأمن والطمأنينة، وتحول الحب الذي كان يعطيه البهجة والإيناس في حياته من قِبل محبوبته (أمّ مالك) إلى هموم تعتاده في غربته وضياعه ، وتحولت حياة الشاعر في غربته إلى صراع دائم مع الفوارس والأبطال من أجل البقاء ، ولم تقف مأساة الشاعر عند الخلع بل تخطته إلى مأساة رحيل المحبوبة وقبيلتها بحثاً عن الحياة ، بعد أن أجدبوا ، وكان أنين الحزن ظاهراً في شعره بعد أن اختلطت لديه مشاعر الضياع من الخلع، ورحيل المحبوبة التي كانت له بمثابة المرفأ في تيار هذه الحياة المرهقة.[2]

ومن الطبيعي أن يتحدث الصعاليك – بعد الخلع – عن انقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم تلك الظاهرة التي كانت لها الأثر في تصعلكهم ، وبعضهم ينتسب عن طريق الجوار إلى قبيلة أخرى فتحميه، وهذا حاجز يعلن في صراحة عندما خلعته قبيلته– وهو أزدي من بني سلامان – أصبح منتسباً إلى بني مخزوم من قريش ، وهم لا يخزلونه إذا استنصر بهم فيقول:

قومي سلامان إذ ماكنت سائلة * وفي قريش كريم الحلْف والنَّسب

إلى متى أدعُ مخزوماً تَرَىْ عُنُقاً * لا يرْعشون لضربِ القوم منْ كثب[3]

ويدعو قيس بن الحدادية أن يجزي الله عنه خيراً أولئك الذين حموه– وهم بنو عدي بن عمرو بن خالد– فآووه وأحسنوا إليه وقال يمدحهم:

جزى الله خيراً عن خليع مطرَّدٍ * رجالاً حموه آل عمرو بن خالد

---

(1) – الأصفهاني: (**الأغاني**) ج14، دار الثقافة ، ص 150 – 151.

(2) – عبدالقادر عبدالحميد : (**التمر والغربة في الشعر الجاهلي**) ، ص – 76.

(3) – يوسف خليف:(**الشعراء الصعاليك**) ، ص 230. العُنق: الجماعة من الناس والرؤساء

فليس كمن يغزو الصديق بنوكه * وهمته في الغزو كسب المزاود[1]

عليكم بعرصات الديار فإنني * سواكم عديدٌ حين تُبلى مشاهدي[2]

ألاوذتم حتى إذا ما أمِنتم * تعاورتم سجعاً كسجع الهداهد[3]

تجنّى عليّ المازنات كلاهما * فلا أنا بالمغضي ولا بالمساعد[4]

وقد حدبت عمرو عليّ بعزّها * وأبنائها من كل أروع ماجد[5]

مصاليت يوم الرّوع كسبهم العلا * عِظام مقيل الهام شُعر السواعد[6]

أولئك إخواني وجلُّ عشيرتي * وثروتهم والنصر غير المحارد[7]

وهذا الصعلوك الفقير لا يملك شيئاً ليجزيهم به سوى الدعاء الصادق الصادر من أعماق نفسه، وقد آووه وعطفوا عليه، ونصروه بعزهم وشرفهم وبأبنائهم الأبطال الأمجاد، وهو يعلن على الملأ أن هؤلاء أصحابه وأهله وثروته ونصره.

ولا ينسى الصعاليك الخلعاء خلع قبائلهم لهم حتى في آخر لحظات حياتهم ، حين يمر بهم ماضيهم الحافل بالمغامرة والكفاح[8]، وهذا الخلع هو السبب الأساس في تلك الحياة القاسية التي عاشوها ، والتي يودعونها في هذه اللحظات ، وهذا قيس بن الحداية يذكر قصة خلعه وبغض أهله له، وهو يقاتل في الأوان الأخير من حياته ، وهو يرجز ويقاتل ، ويقول:

---

(1) – فليس كمن يغزو : أي هذا الحي كمن يغزو . النوك : الحمق . المزاود: جمع مزود وهو وعاء الزاد.

(2) – يخاطب في البيت في وما يليه قومه . العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. عديد: معدود. تُبلي: تختبر. مشاهد: جمع مشهد أي شهودي القتال وخوضي غماره.

(3) – لاوذ: استتر . تعاوروه: تداولوه . سجعت الحمامة: طرّبت في صوتها.

(4) - تجني عليه: ادعي ذنباً لم يفعله .

(5) - حدب عليه: عطف. الاروع: من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته.

(6) مصاليت : جمع مصلات، وهو الماضي في الأمور . الهام: الرؤوس جمع هامة ، ومقيل الهامة: مستقر الرأس أي العنق، يقول: إنهم غلاظ الأعناق وهو كناية عن قوة البأس. شعر جمع أشعر وهو كثير الشعر طويلة.

(7) – الأصفهاني : (**الأغاني**) دار الثقافة ، ج14، ص 144- 145.
الثروة كثير العدد بين الناس. المال غير المحاور: غير المنقطع ، واصله من حاردت الأبل حراداً : انقطعت البانها أو قلت.

(8) – يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**) ص 231.

أنا الذي تخلعه مواليهْ * وكلُّهم بعد الصفاء قاليهْ

وكلهم يُقسم لا يباليه * أنا إذا الموت ينوب غاليه

مختلطٌ أسفله بعاليه * قد يعلم الفتيان أنّي صاليه[1]

إذا الحديد رفعتْ عواليه

وقد صور هؤلاء الشعراء الصعاليك في شعرهم هذه العقدة النفسية التي يعانونها من انقطاع الصلة بينهم وبين قبائلهم ، تصويراً يشوبه حزنٌ وإذلال ومعاناة الغربة والتشرد في الصحراء القاسية ، وعدم الأمن في جميع الأحوال والأوقات.

فإنّ الصعاليك الأغربة لم يتحدثوا في شعرهم عن ظاهرة اللون التي كانت عقدة العقد في حياتهم ، وسبباً في انعدام التوافق الاجتماعي بينهم وبين قبائلهم ماعدا هذه الإشارة من الشنفرى:

ألا هل أتى فتيان قومي جماعةً * بما لطمت كفُّ الفتاة هجينها[2]

والسبب في عدم الحديث عنها ، إنها ظاهرة خلقية لا يد لهم فيها.

أما عقدة العقد التي اشترك فيها جميع الصعاليك وتحدث عنها جميع شعرائهم فهي الفقر، تحدث الشعراء عن الفقر وأسبابه، وتأثيره في أجسامهم وأثره في حياتهم الاجتماعية[3]، وهذا الأعلم الهذلي وكان أُعطِي بعير فنحره لصبيته ، وكان أعجف ، فعابت عليه جارة له ذلك اللَّحم ، فقال يصور فقره:

زعمتْ خنازِ بأنّ برمتنا * تغلى بلحمِ غير ذي شحم[4]

---

(1) – الأصفهاني : (**الأغاني**) دار الثقافة ، ج14، ص 151- 152.

(2) - الأصفهاني : (**الأغاني**) ، دار الثقافة ، ج21، ص 215.

(3) – يوسف خليف: (**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**) ، ص 232.

(4) - أبو سعيد السّكري : (**شرح أشعار الهذليين**) تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج ، مكتبة دار العروبة، ج1، ص 324 – 325.
خناز: مثنة ، اتخذه اسماً لها.

فلعمرُ جدّك العواقب حتـ * ـى أنت عند جوالب الرُّخم[1].

ولعمرُ عرفِكِ ذي الصماخ كما * عصب السِّفاد بغضبة اللِّهم[2]

ولعمرُ محملِكِ الهجين على * رحب المباءة مُنْتن الجرم[3]

متغضِّفٍ كالجفر باكرهُ * وِرْدُ الجميع بجائرٍ ضخم[4]

أنا لنأكل لحمنا فاستيقني * في غير منقصة ولا إثم

والشاعر الصعلوك قد سجل على نفسه الفقر ، وحاول لمداراة فقره حين سب هذه المرأة سباً عنيفاً لا هوادة فيه ، ومع ذلك هو يرد عليها في آخر هذه المقطوعة بأنه يفخر بأكل هذا اللحم الهزيل مادامت نفسه لم يمسسها عار ولا إثم.

وأيضاً يرسم الأعلم في قصيدته البائية المشهورة أثر الفقر ، وحاجة أولاده الشعث إلى ما يعطف عليهم وهم ينظرون إلى أقاربهم انتظار شيئ يجودون به عليهم:

وذكرت أهلي بالعرا * ء وحاجة الشعث التوالب

المصرمين من التلا * د اللامحين إلى الأقارب[5]

وهذا تأبط شراً يصف نفسه بأنه لا يملك من الزاد إلاّ تعلة تحول بينه وبين الموت، حتى برزت أضلاعه من النحول ، والتصقت أمعاؤه من الجوع ، فيقول:

قليل ادخار الزاد إلاّ تعلة * فقد نشز الشرسوف والتصق المعا[6]

---

(1) - لعمرجدك : بقاء جدك ، الجد: البخت أو الحظ. ذي العواقب: الرَّديئة وله عواقب من الشر. جوالب : ما جلبت الرُّخم، يقول: أسخط جدك حتي صرت مع الرُّخم.

(2) – العرف: الرِّيح. الصّماخ: النّتن. عصب: لزق به ولزمه .غضب: ألبسه الجُدَرِيُّ . اللِّهم: الوعل الهرم. الغضبة: جلدة الرأس. الوعل إذا اهتاج شمل النتن مابين ظِلْفِه إلي فروة رأسه.

(3) المحمل: الرَّحم. هجين: لئيم. رحب: حِرٌ واسع الثقب. المباءة: حيث يتبوَّا الولد في الرحم.

(4) – متغضف: متثنّ مسترخ منطو.

(5) – يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**) ، ص233. الجفر: البئر الواسع أسفلها. الجمائر : العظيم من الدّلاء، شبه فرجها بالجفر.

(6) – التعلة: ما يتعلل به. نشز : برز . الشرسوف: مقاطع الأطلاع. المعا: الأمعاء.

ويقول في محادثة بينه وبين الذئب ، إنني مثلك لا أملك شيئاً ، وأعتمد على الفريسة كلما أحسست الجوع:

وقربة أقوام جعلت عصامها * على كاهل مني ذلول مرحل

وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوي كالخليع المعيل

فقلت له لما يعوي أن شأننا * قليل الغنى أن كنت لما تموَّل[1]

وهذه الأبيات تعبر تعبيراً دقيقاً عن مأساة الفقر ومايعانيه الخليع المعيل من مأساة ، وصراع مع الجتمع والبيئة في سبيل العيش، فالبيئة قاسية والمجتمع ظالم.

ويصف تأبط شراً تمزق نعله ، وإن الجبال التي يتسلق صخورها ليصل إلى مكمنه الذي يزاول منه صعلكته ، يحتاج إلى نعل متينة تحمي قدميه وأصابعها من تمزيق الصخور ، ولكنه لا يملك إلا نعلاً بالية ، فيقول:

لا شيء في ريدها إلاّ نعامتها * منها هزيم ومنها قائم باق[2]

بشرئة خلق يوفي البنان بها * شددت فيها سريحاً بعد إطراق[3]

وهذه قمة المعاناة يمشي الصعلوك حافياً على الصخور، جائعاً تلفحه السموم والبرد لفحاً.

وأبو خراش الهذلي يشبه تمزق نعله بهيكل عظمي لطائر بعد أن يؤكل لحمه، وفي نعله من الخروق والتمزق مثل : مابيّن الأضلاع والعظام والأجنحه ، ويقول : إنه حين يضطر إلى السير بنعله هذه في الندى والمطر والوحل يفضل تركها والسير على قدميه:

ونعل كأشلاء السماني نبذتها * خلاف الندى من آخر الليل أورهم[4]

---

(1) – عبدالحليم حفني : (**شعر الصعاليك** ....) ص 186.

(2) – الريد: أعلى الجبل . النعامة: خشبات يجعلها الصعلوك كميناً كالمظلة. هزيم متكسر..

(3) - الشرئة الخلق: يعني النعل الممزقة. البنان : أطراف الاصابع . السريح : السيور تشد بها النعل . الأطراق: أن يربط تحت النعل نعلاً أخري .

(4) - السماني : طائر . خلاف : عقب . الرهم: المطر الخفيف.

وعن النعل أيضاً يقول الشنفرى أنه يضطر إلى الحفاء ولا يجد نعلاً ، ويصف نفسه وهو حافياً كحية الرمل:

فإما تريني كابنة الرمل ضاحياً * على رقة أحفي ولا أتنعل

ويصف فقره أنه لا يملك شيئاً سوى نعلين تمزقت ولم يستطع حتى قصفها ، وملحفة بالية، وملاءة خلقه قصيرة ، إذا شدها على جسمه من جانب تعرى الجانبُ الآخر :

قليل جهازي غير نعلين أسحقت * صدورهما مخصورة لا تخصف

وملحة درس وجرد ملاءة * إذا انجمت من جانب لا تكفف[1]

وهذا السليك بن السلكة يتحدث عن أثر الفقر، ومايحمله له من جوع وهزال ، وعن فعل الجوع به في أشهر الصيف المحرقة ، وما كان يصيبه من إغماء ودوار، حتى أوشك أن يفقد حياته صريع الفقر والجوع:

ومانلتها حتى تصعلكتُ حقبة * وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني* إذا قمت تغشاني ظلالٌ فأسدف

وعندما يتحدث الشعراء الصعاليك عن صبرهم على الجوع واحتمالهم له ، يريدون الفخر بقوة نفوسهم وصدق عزائمهم.

وهذا عروة بن الورد يصور هوان منزلة الصعاليك الاجتماعية ومقامهم خلف أدبار البيوت ، وسوء منظرهم في هذا المقام الذليل ، وكيف يتوارون من الناس ، ويصور ضيق أقاربهم حتى ليوشكوا أن ينكروا قرابتهم لهم:

رأيت بني لبنى عليهم غضاضة * بيوتهم وسط الحلول التكنُّف

ذريني أطوّف في البلاد لعلني * أخليك أو أغنيك عن سوء محضر

---

[1] ـ عبدالحليم حفني : (**شعر الصعاليك**) ، ص 187.

فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكن * جزوعاً ، وهل عن ذاك من متأخّر

وإن فاز سهمي كفكم عن مقاعد * لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

ويقول:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه * شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلاً وأوشكت * صلات ذوي القربى له أن تنكرا[1]

وما طالب الحاجات ، من كل وجهه* من الناس ، إلاّ من أجد وشمرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا[2]

وقد كانت رؤية هؤلاء الصعاليك أن المال يساعد في حفظ الكرامة ، وحفظ الذات، من أن تسام الخسف ، ويلحق بها الذل والهوان ، وبدون المال يعيش الإنسان على هامش الحياة، ويعاني العزلة والغربة ولا صديق في مجلسه ، وتزدريه زوجه ، وينهره الصغير ، فيقول:

دعيني للغنى أسعى ، فإنّي * رأيتُ الناس شرهم الفقير

وأهونهم وأحقرهم لديهم * وإن أمسى له كرم وخير

ويقصى في النَّدِيّ وتزدريه * حليلته ، وينهره الصغير

وتلغى ذا الغنى وله جلال * يكاد فؤاد حاجبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم * ولكن الغنى رب غفور[3]

وفي هذه الأبيات أيضاً يصور الشاعر مكانة الغنى في المجتمع الجاهلي ، وهي مكانة سامغة ، بينما مكانة الصعلوك وضيعة حتى تتنكر له زوجه ، وينهره الصغير.

---

(1) ـ يوسف خليف: (**الشعراء الصعاليك**) ، ص 234.

(2) ـ عبدالقادر عبد الحميد: (**التمرد والغربة في العصر الجاهلي**) ص 80.

(3) ـ عبدالحليم حفني: (**شعر الصعاليك**) ص 189.

ويرسم السليك صورة إنسانية مؤثرة لما تلاقيه خالاته الإماء السود من الضيم والهوان، وهو عاجز لفقره عن فعل شيئ من أجلهن ، حتى ليشيب رأسه مما يقاسيه نفساً[1] فيقول:

أشابَ الرأسَ أني كلّ يوم * أرى لي خالةً وسط الرجال

يَشُقُّ عليّ أن يلقين ضيماً * ويعجز عن تخلصهن مالي[2]

وهذه صورة صادقة لهوان الجنس الأسود الذي تنتمي إليه خالاته ، في ذلك المجتمع الجاهلي.

ومن الطبيعي أن يتحدث الشعراء الصعاليك عن مشكلة الفقر وأثرها وأسبابها ، والسبيل الوحيد عندهم لحلها هو الثورة على المجتمع ولاسيما على الطبقة الغنية وهذا عروة بن الورد ، يقول:

ومن يك مثلي ذا عيال ومُقْتِراً * من المال يطرح نفسه كلّ مطرح

ويقول عروة بن الورد في الفقر أيضاً:

قالت تماضر إذا رأت مالي * خوى وجفا الأرقاب فالفؤاد قريح

مالي رأيتك في الندى منكساً * وصبا كأنك في الندي نطيح

المال فيه مهابة وتجلة * والفقر فيه مذلة وفضوح[3]

وهذا أبو خراش الهذلي يشتد به الفقر ، فيجد من زوجه تنكراً واحتقاراً ، ويذكر لها تلك الحياة التي تدفع به إلى المهالك ، فهو يسبق الفرسان عدْواً، وما أكثر هذه ، الليلات التي يسري تحتها ، وسماؤها تسيل عليه ، وهو يسعى وراء غنيمة، وهو يظل يسعى والأقدام يبللها الندى، ويلتف تحتها غثاء الشجر الكثيف ، فيقول:

رأت رجلاً قد لوحته مخامص * وطافت برنان المعدين ذي شحم[4]

تقول فلولا أنت أنكحت سيدا * أزف إليه أو حملت على قرم[5]

---

(1) ـ يوسف خليف: (**الشعراء الصعاليك**) ص 236.

(2) ـ أبو العباس المبرد: (الكامل في اللغة والأدب) ط1 ، 2003م ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج2 ، ص

(3) ـ عبدالحليم حفني : (**شعر الصعاليك...**) ص 189.

(4) ـ المخامص: جمع مخمصة من الجوع. المعدان : الجنبان يعني انها رأته ناحلاً من الجوع فتطلعت إلي شاب مكتنز اللحم حتي لو ضرب جنباه لكان لها رنين من اكتناز اللحم والشحم.

(5) ـ القرم : الجمل القوي لم يستعمل ، يعني لولاك لتزوجت سيداً موسراً.

أفاطم إني أسبق الحتف مقبلاً * وأترك قرني في المزاحف يستدمي[1]

وليلة دَجْنٍ من جُمادي سريتها * إذا ما استهلَّت وهي ساجيةٌ تهمي[2]

وشوطٍ فِضاح قد شِهدت مشايحاً * لأدركَ ذحلاً أو أشيف على غنم

إذا ابتلَّت الأقدام والتفَّ تحتها * غثاءٌ كأجواز المقرَّنة الدُّهم

ونعل كأشلاء السماني نبذتها * خلاف ندًى من آخر الليل أورِهم

إذا لم ينازع جاهلُ القوم ذا النُّهى * وبلَّدت الأعلام بالليل كالأكم[3]

تراها صغاراً يحسر الطرف دونها * ولو كان طَوْداً فِرَقَ العصم[4]

وهذا الشنفرى يصف حياة رفاقه الصعاليك وهم في الصحراء ، وقد وكلوا أمر زادهم إلى تأبط شراً ، وأنّ تأبط شراً وجد الزاد قليلاً ، وأخذ يعطيهم منه مايحفظ حياتهم، فيقول:

وأمّ عيال قد شهدت تقوتهم * إذا أطعمتهم أوتحت وأقلت

تخاف علينا العيل إن هي أكثرت * ونحن جياع أي آل تألت

وما أن بها ضن بما في وعائها * لكنها من خيفة الجوع أبقت

وأبو خراش يتحدث عن ابنه خراش الذي خرج في غزوة ، هو وعمه عروة ، فيُقتل عروة وينجو خراش حين أشفق عليه أحد الأعداد فألقى عليه رداءه ليخفيه ، وشغل القوم عنه، فأخذ خراش يعدو عدوا يشبه الطائر كما يصفه أبوه حتى نجا ، فيقول أبو خراش مدافعاً عن فرار خراش ، مبيناً أن سبب غارته الرغبة في دفع غوائل من الجوع أضرت به، فلما لم تتح له الغنيمة آثر النجاء:

---

(1) ــ أسبق الحتف: يعني ينجو من الموت بسرعة عدوه=

= (2) ــ الدجن: إلباس الغيم الأرض. تهمي: تسيل. شوط فضاح: يقول إن سبق فيه رجل افتضح. مشايحاً : المشايح الجاد الحامل.(هذيلة) .أشيف: أشرف. كأجواز : كأوساط الدهم من الإبل. رهم : مطر خفيف. الإعلام : الجبال . يحسر الطرف: يكل الطرف.

(3) ــ عبدالحليم حفني: (**شعر الصعاليك**) ، ص 190.

(4) ــ أحمد كمال زكي : (**شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامين**) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة 1969م، ص 376.

ولم يك مثلوج الفوائد مهيجاً * أضاع الشباب في الربيلة والخفض[1]

ولكنه قد نازعته مخامص * على أنه ذو مرةٍ صادق النهض[2]

كأنهم يشبثون بطائر * خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض[3]

ومن آثار الفقر التي شكاها الصعاليك بصورة واضحة نحول الجسم ، وهذا الشنفرى يصف جسمه حين ينام بأنه لا يبلغ الأرض ؛ لأن عظامه وفقار ظهره البارزة تحول بينه وبين الأرض ؛ وأنه حين يتوسد ذراعه إنما يتوسد عظاماً جافة كأنها قطع حديد لا أثر فيها للحم فيقول:

وألف وجه الأرض عند افتراشها * بأهدأ تنبيه سناسن قحل[4]

وأعدل منحوضاً كأن فصوصه * كعاب دحاها لاعب فهي مثل[5]

وأبو خراش يصف نحول صاحبه من الصعاليك، بأنه كل مايرى منه جاف يابس، فجسمه عظم لا لحم فيه ، كفه يابسه تبرز في ظهرها أعصابها، وساقاه يابستان لايرى فيهما إلا العظم، فيقول:

سمح من القوم عريان أشاجعه * خف النواشر منه والظنابيب[6]

وأيضاً أبو خراش يتحدث عن السبب الحقيقي لهذا النحول؛ وهو الجوع الشديد المضني الذي كان يتعرض له دائماً:

---

(1) ـ متلوج: ضعيف بارد. مهيج : رخو مثقل. الربيلة : كثرة اللحم. الخفض: الدعة والتنعم.

(2) ـ مخامص: الجوع. صادق النهض: قوي العزيمة. المشاش:العظم ، والنحض: يعني الذين يعدون خلف خراش وجدوه كطائر خفيف العظم واللحم في سرعة عدوه.

(3)- عبدالحليم حفني: (**شعر الصعاليك**) ، ص 191- 192.

(4) ـ الأهداء: شديد الثبات يعني جسمه. السناسن: رؤس فقار الظهر . القحل : الجافة .

(5) ـ أعدل : أتوسد . المنحوض : زراعه اليابس . المفصوص : المفاصل . دحاها : بسطها .

(6) ـ عريان أشاجعه : معرى عن اللحم. النواشر: عصب ظهر الكف . الظنابيب : عروق الساق يعني يابسه.

وما بعد أن قد هدني الدهر هدة * تضال لها جسمي ورق لها عظمي[1]

وما قد أصاب العظم مني مُخامر * من الداء داء مستكن على كلم [2]

وقد سعى هؤلاء الصعاليك للتخلص من الفقر وآثاره والخطة العملية للتخلص منه، هي الغزو والإغارة، وهي السبيل الوحيد للغنى لمن هو في مثل حالتهم:

متى تطلب المال الممنَّع بالقنا * تعش ماجداً أو تخترمك المخارم

ويتحدث الشعراء الصعاليك عن الأهداف التي يقصدونها بغزواتهم، وهم أصحاب المال، وهذا تأبط شراً يقول عن أصحاب المال الذين يوجه إليهم غزواته: أصحاب المواشي وأصحاب المزارع الخصبة، وأصحاب النوق:

فيوماً على أهل المواشي وتارةً * لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل

ولكنّ أرباب المخاض يشُفُّهم * إذا اقتَفَروه واحداً أو مُشيَّعا [3]

وهذا الأعلم الهذلي يجعل أولئك السمان المترفين ضعاف القلوب هدفاً لغزواته، ويصور رجل غني سمين مترف، يعيش بين الستائر، وجهَّت امرأته إليه برها وعنايتها حتى سمنته، ولكنه مع ذلك ضعيف القلب لو اخترق الصحراء لأفزعته، ولحسب كل شخص فيها فارساً أو صعلوكاً، وإذا قابله تضطرب نفسه، وينهار كيانه، ويفر هارباً، ويذهب صنع امرأته فيه سدى، فيقول:

أيسخط غزونا رجلٌ سمينٌ * تكنّنُهُ الستارة والكنيفُ

ولو رفَّعت ثوبك في خُرُوقٍ * تروعك في مهالكها الشُّدوفُ

تخاف لزام عادية تعول * كما يتفجر الحوض اللقيف

---

[1] ـ تضال : مخفف تضاءل.

[2] ـ عبد الحليم حفني : (**شعر الصعاليك خصائصه.....**) ص 193-194.

[3] ـ يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك...**) ص 238.

إذاً لذكرت حالك غير عصرٍ * وأفسد صُنعها فيك الوجيف [1]

ويمكن أن يكون الهدف من الغزو الانتقام من غير هؤلاء الاغنياء، كما هو معروف عند الشنفرى مع بني سلامان:

سنجزي سَلامانَ بن مُفرج قرضهم * بما قدَّمت أيديهمُ وأزلّتِ

شفينا بعبدالله بعض غليلنا * وعوفٍ لدى المعدي أوان استهلَّت

قتلنا حراماً مُهديا بمُلبِّد * محلَّهما بين الحجيج المصوّت

فإن تُقلبوا نقبل بمن نِيل منهم * وإن تُدبروا فأمُّ من نيل فُنَّت

ألا لاتزُرني إن تشكَّيت خُلَّتي * كفاني بأعلى ذي الحُميرة عِذوتي

وإني لحلوٌ إن أريدت حلاوتي * ومُرٌّ إذا النفس الصدوف استمرَّت

آبيٌّ لما ابى وشيك مفيئتي * إلى كُلِّ نفس تنتحي بمودّتي[2]

وكان السبب في ذلك أراد أن ينكح امرأة من بني سلامان وكان راعياً عندهم، فقال له أبوها:(لولا إني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي) فقال له:(عليّ أن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم) فانكحه ابنته فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان بعده على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت ولم يظهر جزعاً عليه، وطفق يصنع النبل، ويجعل افواقها من القرون والعظام، ثم إن امرأته بنت السلاماني قالت له ذات يوم: لقد خِست بميثاق أبي عليك فقال:

كأن قد فلايغرُركِ مني تمكثّي * سلكتُ طريقاً بين يربعَ فالسَّرد

---

[1] ـ السكري : (**شرح شعر الهذليين**) ص 329. تكنه: من الكِنّ . الستارة : سترٌ من أدم . الكنيف: الحظيرة . الخُرْق : فلاة تنخرق إلى فلاة . تروعك : تفزعك. المَهْمَة : المستوي من الأرض . الشدوف : الشخوص، يقول : تخال الشخص فارساً . الخَرْق : الفضاء من الأرض . لزام : عذاب. عادية: قوم يحملون في أول من يحمل . تعول: لها زيادات. اللقيف : ألمصلح الذي قد طُيِّن وسُوِّي من نواحيه، إذا صُبَّ فيه الماء ، ينفجر من نواحيه فشبه به سرعة الصعاليك. حالك: امراتك، وهي عند هذيل. العصر: الحين ، يقول : لو رفعت ثوبك فعذوت الوجيف- سير الأبل- في هذه الخروق لأفسد صنعها فيك ، وذكرتها في غير حين الذكر.

[2] ـ الأصفهاني : (**الأغاني**) دار الثقافة ، ج21، ص 212-213.

وإنّي زعيم أن تثور عجاجتي * على ذي كساء من سلامان أو بُرد

هم اعدموني ناشئاً ذا مخيلة * أُمشّي خلال الدار كالفرس الوَرْد

كأني إذا لم يمُسي في الحي مالك* بتيهاء لا أُهدى السبيل ولا أهدي[1]

ويتحدث الشعراء الصعاليك عن الغاية التي يريدون أن يصلوا إليها من هذه الغزوات الدامية، هو الغنى وهذا الأعلم الهذلي يسجل الأسباب التي يحرص على الغنى من أجلها، وهي ثلاثة: الأموال تغنيه عن الناس، ويعين بها الداعين إذا حلت بهم عظيمة، ويعدّها للأضياف والمعوزين في أيام الجدب والشدة التي لايجد الناس فيها مايطعمون به مَنْ بكرتْ بغلام، ولاتجد الأم شيئاً تُسكت به فطيمها عن البكاء والصراخ جوعاً[2]:

تروَّحتُ حُبشياً فأترح إلدتي * كما زُحزحت عند المبارك هيمها[3]

أحبشيٌّ إنّا قد يُمْتّعنا الغنى * بأموالنا نُريحها ونسميها

ونحبسها على العظائم نتَّقِى * بها دعوة الدَّاعين إنَّا نقيمها

إذا النُّفساء لم تُخرَّس ببكرها * غلاماً ولم يُسكت بحترٍ فطيمها

أحبشيٌّ لم تشمت أوان شماتةٍ * وللدَّهر أيَّامٌ رغابٌ كُلُومها

جزى الله حُبْشيّاً بما قال أبؤساً * بما رام أشياءً بنا لا نرومها [4]

ويذكر صخر الغي أنه قتل رجلاً من مزينة وسلبه ماله، ليقوي به مال رجل فقير كريم لايكاد يثبت له مال:

---

(1) – الأصفهاني: (**الأغاني**) ص 216.

(2) – يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**) ص 240.

(3) – تروَّحت : رُحت إليه ، أي: أتيته رواحاً . أترحهم : أشقاهم وحرمهم ، واستقبلهم بترحة وحزن. زُحزِحت : نُحّيت . يقول هؤلاء الإلدة القِرى ، كما نُحّيت الأبل التي بها الهُيام عن مبارك الصّحاح لئلاّ تُعديها. الهُيام : داءٌ يأخذها من نبتٍ تأكله ، فلا تروى من الماء حتى تموت.

(4) – السكري : (**شرح ديوان الهذليين**) ص 327. نُريحها : بالعِشيّ إلى مباتها. نُسميها : بالغداة إلى مراعيها . يقول: تغنينا أموالنا . نحبسها: على الأضياف وما ينُو بنا . دعوة الدّاعين : إذا دعوا من يعين ؟ ومن يحمل الديات؟ وما اشبه هذا. نُقيمها : نُعِدها . الحتر: الشيء القليل. وايضاً الحُكر ، والخُمْرة ، والخُبرة. الخُرسة : طعام الولادة . رغابٌ : واسعة كثيرة. كلومها : جراحاتها وآفاتها. أبؤسا: شرّاً . رام : طلب وأراد. يقول : تناول منا أشياء لا نتناولها منه.

في المزني الذي حَشَشت به * مال ضريك تلاده نَكِدُ[1]

فالغزو والغارة والسلب، والنهب ليست عندهم وسائل للغنى وجمع المال فحسب، ولكنها أيضاً وسائل للبذل والعطاء، واكتساب المحامد وهذا تأبط شراً يتحدث بدفاع قوي عن كرمه وإسرافه اللذين جرا عليهما كثير من اللوم والعذل والتأنيب:

بل من لعذَّالة خذَّالة أَشِبٍ * حرَّق باللوم جلدي أيّ تحراق

يقول أَهلكت مالاً لو قنعت به* من ثوب صدْق ومن بَزٍّ وأعلاق

عاذلتي إن بعض اللوم معنفةٌ * وهل متاعٌ وإن أبقيته باق[2]

وطلب الغنى عند عروة بن الورد ليس هدفاً في ذاته ولكنه وسيلة للكرم وقضاء حقوق الآخرين ، فيقول :

أحاديث تبقى والفتى غير خالد * إذا هو أمسى هامة فوق صَيِّر

وإلى جانب هذه القوة النفسية التي كان هؤلاء الصعاليك يمتازون بها كانوا يتمتعون أيضاً بحظ وافر من الشجاعة والجرأة وقوة الجسد ، ويقول تأبط شراً مفتخراً بقوته:

وما ولدتْ أمي من القوم عاجزاً * ولا كان ريشي من ذُنابي ولا لَغْبِ

ويصرح الشنفرى – في اعتداد بنفسه – بأنه يقدم في شجاعة وجرأة حيث يقف الجبان هلعاً جزوعاً:

إذا خشعت نفس الجبان وخيَّمت * فلي حيث يخشى أن يجاوز مِخْشَف

ويقول عمرو بن معد يكرب في السليك:

---

[1] – يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك**.....) ص 240.

[2] – يوسف خليف : (نفسه) ص 39. عذالة وخذالة : للمبالغة . الأشب : المخلط عليه المعترض. الأعلاف : الأشياء النفيسة.

له هامة ما تأكل البيض أُمَّها * وأشباح عاديٍّ طويل الرواجب[1]

وفي شعر الصعاليك صور كثيرة متعددة الألوان والأوضاع للغارات ، وأحاديث عنها لا تكاد تنتهي حتى تبدأ ، وكانوا يرددون أقاصيص الغارات في فخر وإعجاب ، واعتداد بأنفسهم وبطولتهم ، وهذا الشنفرى يرسم صورة رائعة قوية لغارة قام بها هو وأصحابه الصعاليك ، يصف فيها كيف أعدّ أصحابه للغزو ، ويصف الطريق الذي سلكوه، ويتحدث عن الدوافع التي دفعتهم إلى هذه الغارة ، ويتحدث عن الأهداف التي حققوها والغايات التي وصلوا إليها ، فيقول:

وباضعةٍ حمر القسيّ بعثتها * ومن يغزُ يغنم مرة ويُشَمّت

خرجنا من الوادي الذي بين مشعل * وبين الجبا هيهات أنشأتُ سُرْبتي

أمشي على الأرض التي لن تضرني * لانكي قوماً أو ألاقي حُمَّتي

أمشي على أين الغزاة وبُعْدها * يقرِّبني منها رواحي وغُدْوَتي

ثم يقول:

قتلنا قتيلاً مُهْدياً بمُلَبد * جمارَ منى وسط الحجيج المصوِّت

جزينا سلامانَ بن مُفْرِجَ قرضها * بما قدمتْ أيديهم وأزلّت

وهُنئ بي قوم وما إن هنأتهم * وأصبحت في قوم وليسوا بمنبتي

شفينا بعبد الله بعض غليلنا * وعوف لدي المَعْدَي أوان استهلت[2]

---

[1] – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك ....) ص 40.
[2] – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك ...) ص 50- 51.

وهذا الشنفرى في لامية العرب يتحدث عن غارة قام بها في ليلة باردة ذات ظلام ومطر، وقد استبد به الجوع والبرد والخوف ، ثم عاد إلى مكانه سالماً بعد أن حقق أهدافه ، تاركاً القوم خلفه يتساءلون : ماهذا الذي طرق حيهم ليلاً ؟ وقد ذهبت آراؤهم فيه مذاهب شتى:

فأنّي لمولى الصّبر أجتاب بزّه * على مثل قلب السِّمع والحزمَ أفعل

وأُعدم أحياناً وأغْنى وإنما * ينال الغنى ذو البُعدة المُتَبَذّل

فلا جزعٌ لخلّةٍ متكشِّف * ولا مرحٌ تحت الغنى أتخيَّل

ولا تزدهي الأجهال حلمي ولا أُرى* سئولاً بأعقاب الأحاديث أُنمل

وليلة نحس يصطلي القوسَ ربُّها * وأقطعه اللّائي بها يتنبَّل

دعستُ على بغش وغطشٍ وصُحبتي* سُعارٌ وإرزيزٌ ووجرٌ وأفكل

فأيَّمت نسواناً وأيتمتُ إلدةً * وعُدتُ كما أبدأتُ والليلُ ألْيل

فأصبح عني بالغُميصاء جالساً * فريقان مسئولٌ وآخرُ يسأل

فقالوا لقد هَرَّتْ بليلٍ كلابنا * فقلت أذئبٌ عسَّ أم عَسَّ فُرْعُل

فلم يكُ إلاّ نبأةٌ ثم هوّمت * فقلنا قطاةٌ ريعَ أم رِيعَ أجْدَل

فإن يك من جنٍّ لأبرح طارقا * وإن يك إنساً ماكها الإنس يفعل[1]

وفي أخبار تأبط شراً أنه خرج في عِدّة من فهم يريدون الغارة على أحد أحياء بجيلة، وتمت الغارة بقتل نفر من بجيلة ، ونهب إبل لهم، وساق الصعاليك الإبل حتى إذا كانوا على يوم وليلة من بلادهم تصدت لهم خثعم طامعة فيما معهم ، ودار القتال بين الفريقين ، وانتهى الصراع بانهزام خثعم وتفرقها وانطلق الصعاليك بغنيمتهم، فقال تأبط شراً يصور هذا المشهد:

---

[1] – ابو بكر الغالي : (**ذيل الأمالي والنوادر**) دار الكتب العلمية بيروت ، ج2 ، ص 206.

جزى اللهُ فتيانا على العوص أمطرت * سماؤهم تحت العَجَاجة بالدُّم

وقد لاح ضوء الفجر عَرْضًا كأنه * بلمحته أَقْرابُ أبلق أدهم

فإنّ شفاء الدّاء إدراك نُحلةٍ * صياحاً على آثار حوم عرمرم

وضاربتهم بالسّفح إذ عارضتهم * قبائل من أبناء نسر وخثعم

ضِراباً غدا منه ابن حاجز هارباً * ذُرا الصّخر في جُدرِ الرَّجيل المُرَيِّم[1]

وفي هذه الأبيات صورةٌ واضحة ، لهذا الصراع الدامي الذي كان الصعاليك يخوضون غماره في سبيل الحياة لأن المسألة عندهم ، صراع بين الحياة والموت .

وقد وفر الصعاليك لهذه الغاراتْ كل مايحقق لها النجاح وبلوغ الغاية، وإدراك الهدف، فإلى جانب ما وفروه لها من قوة الجسد، وشجاعة القلب، وصدقة العزيمة وسرعة العدْو، وفروا لها سعة الحيلة، وعمق الدهاء والقدرة على الخلاص من المآزق الضيقة، والمواقف الحرجة.[2]

وهذا تأبط شراً يتحدث عن مغامرة، تجسد سعة الحيلة، وعمق الدهاء، والقدرة على الخلاص، إذ هو خرج إلى غار في بلاد هذيل، أعدائه الألداء؛ ليشتار عسلاً وعلمت هذيل بخبره، فوجدوا الفرصة سانحة ليتخلصوا منه، فحاصروه في الغار، وطلبوا إليه التسليم، ولكنه راح يراوغهم، وأخذ يُسيل العسل على فم الغار، ثم عمد إلى الزلق، ولصق بالعسل على صدره، ولم يزل يزلق حتى جاءٍ سليماً إلى أسفل الجبل، فنهض وفاتهم، فقال في ذلك:

إذا المرء لم يحتل وقد جدَّ جِدُّه * أضاع وقاسى أَمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً * به الخطب إلا وهو للقصد مُبْصر

فذاك قريع الدهر ماعاش حوَّلٌ * إذا سُدَّ منه مَنْخرٌ جاش مَنْخِر

---

(1) – الأصفهاني : (**الأغاني**) ج21 ، دار الثقافة ، ص 160- 161.
(2) – يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك.....**) ص 53.

أقول للحيان وقد صَفِرت لهم * وطابى، ويومى ضيّق الجُحر مُعْوِر

هما خطّتا إما إسارٌ ومنةٌ * وإما دَمٌ والقتل بالحر أجدر

وأخرى أُصادي النّفس عنها وإنّها * لمورد حزم إن فعلتُ ومصدر

فرشت لها صدري فزلّ عن الصَّفا* به جؤجؤٌ عبلٌ ومتنٌ مخصَّر

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصّفا* به كدْحةً والموت خزيانُ ينظر

فأبت إلى فهم ولم أك آيباً * وكم مثلها فارقتها وهي تصْفِرُ [1]

وقد كان الصراع بين الصعاليك والمجتمع الجاهلي صراعاً عنيفاً لارحمة فيه، الويل فيه للمغلوب، مما جعل الصعاليك يحسون بالخطر من كل جانب، وكانوا يتربصون بأعدائهم، وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم، فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولايرونهم، وهذا الشنفرى يجسد هذه الحياة الشاقة، وفقد الصعاليك للأمن، والخطر يحفّهم من كل جانب: -

ومرقبةٍ عنقاء يقصر دونها * أخو الضّروة الرِّجل الخفيُّ المخفف

نميت إلى أعلى ذُراها وقد دنا* من الليل ملتفُّ الحَديقة أسدف

فبتّ على حد الذراعين مُحدباً * كما يتطوَّى الأرقم المتعطِّف

قليل جهازي غير نعلين أسحقت * صدُورهما مخصورةً لاتُخصف

وضبيةٍ جُرْدٍ وأخلاق رَيْطة * إذا أنهجت من جانب لاتكفف

وأبيض من ماء الحديد مهند * مجدّ لأطراف السواعد مقطف

وصفراء من نبع أبيٌّ ظهيرةٌ * ترن كإرنان الشجي وتهتف

---

[1] -- يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك ....) ص 186- 187.

إذا طال فيها النزاع تأبى بعجسها * وترمي بذرويها بهنَّ فتقذف

كأن حفيف النبل من فوق عجسها * عوازبُ نحل أخطأ الغار مُطْنِف

نأت أم قيس المربعين كليهما * وتحذر أن ينأى بها المتصيَّف

وأنك لوتدرين أن رُبّ مشربٍ * مخوفٍ كداء البطن أو هو أخوف

وردتُ بمأثور ونبل وضالة * تخيرتها مما أريش وأرصف

أركبّها في كل أحمر عاتِر * وأقذف منهن الذي هو مقرف

وتابعت فيه البري حتى تركته * يزفّ إذا انقذته ويذرِّف

بكفي منها للبغيض عراضة * إذا بعت خِلاً ماله متخوُّف

ووادٍ بعيد العمق ضنك جماعةً * بواطنه للجن والأسد مألف

تعسفتُ منه بعد ما سقط الندى * غماليل يخشى غيلها المتعسف

وإني إذا خام الجبان عن الردى * فلي حيث يخشى أن يجاوز مخسف[1]

وهذا تأبط شراً يرثي الشنفرى، ويذكر تلك المراقب الشماء التي كان يقيم فيها إنتظاراً لفرائسه، فرائس الغزو وفرائس الثأر:

ومرقبة شماء أقعيت فوقها * ليغنمَ غاز أو ليدرك ثائرُ[2]

ومن الطبيعي أن تكون كلّ القبائل العربية تبحث عن الصعاليك، طالما اعتمدوا في حياتهم على السلب والنهب والغزو، أن يكُون هناك ثأراً بينهم وبين القبائل، مما جعل الصعاليك في حالة من عدم الأمن، والفزع من الموت على أيدي الأعداء، واتخذوا الفرار وسيلة للنجاء، وهذا تأبط شراً يدافع عن فراره وتركه رفيقاً له ماكان ليستطيع أن ينتظر حتى

---

(1) – الأصفهاني : (**الأغاني**) ج21 ، دار الثقافة ، ص 213.

(2) – يوسف خليف : (**الشعراء الصعاليك ...**) ص 189.

يدهمه مطاردوه الذين كانوا خلفه كالنحل، ولا أن يبطئ في عدوه حتى تصيبه السهام التى كانوا يرسلونها خلفه فترديه صريعاً، فقال:

ولمّا سمعتُ العوص تدعو تنفَّرتْ * عصافير رأسي من غواةٍ فراتنا

ولم انتظر أن يدهّموني كأنهم * ورائي نحلاً في الخليَّة واكنا

ولا أن تُصيب النافذات مقاتلي * ولم أك بالشدّ الذَّليق مُدانا

فأرسلتُ مثنياً من الشر والها * وقلت تزحزح لا تكونن حائنا

وحثحثت مشعوف النَّجاء كأنني * هجفٌ رأى قَصْراً سَمَالاً وداجنا

من الحُصّ هزروفٌ كأن عِفاءَه * إذا استدرج الفيفاء ومدّ المغابنا

أزجَّ زلوج هزرفيٌّ زفازفٌ * هزفٌ يبُذُّ الناجيات الصوافنا

فزحزتُ عنهم أو تجيني منيتي * بغبراء أو عرفاءَ تغدو الدفائنا

كأني أراها الموتِ لادرّ درها * إذا أمكنت أنيابها والبراثنا[1]

وهذا الأعلم الهذلي يذكر فرَّته من بني عَبْدِ بن عَدِيّ حين تكاثروا عليه، فرَّ منهم مسرعاً، ولم يحاول قتالهم فقال:

كرهتُ جذيمة العبديَّ لمَّا * رأيتُ المرءَ يجهد غيرَ آلي[2]

---

[1] ـ الصفهاني : (**الأغاني**) ج21، دار الثقافة ، ص 154.
الفرائن : جمع فرتني ، وهي الأمة الزانية . واكن : وكن الطائر دخل عشه ، ووكن أيضاً حصن بيضه. عدو : جري. زليق: شديد . السمال: جمع سملة، وهي بقيت الماء في الحوض. الهجف : الظليم المسن. المشعوف: المذعور . الحصى: جمع احصى وطائر احصى الجناح : قليل الشعر. الهزروف : السريع. العفاء : الشعر والوبر . المغابن: الأرفاع وبواطن الأفخاذ . الأزج : البعيد الخطو . الزبوج : السريع . الهزرفي : الكثير الحركة . زفازف : شديد له زفزفة أي صوت عند جريانه ، والهزف . الجاني : من الظلمان أو الطويل الريش. الصوافن : جمع صافن وهو ما قام على ثلاث قوائم وأقام الرابعة على طرف الخحافر. العرفاء : الضبع . تغدو : تتبع . تقي العظم : مخ العظام.

[2] ـ جذيمة : الرجل الذي غدا في أثره. آل : تارك جهده ، قال : كرهه لأنه كان فارساً ، من بني الدُيل.

وأحسب عُرْفُط الزَّوراء يؤدي* عليّ بوشك رجعٍ واستلال[1]

فلا وأبيكِ لاينجو نجائي * غداة لقيتهم بعض الرِّجال

هواءٌ مثل بعلكِ مستميتٌ * على مافي وعائِكِ كالخيال[2]

يُلَطِّم وجه حنَّتِهِ إذا ما * تقول تَلَفَّتَنَّ إلى العِيالِ [3]

ويحسب أنَّه ملكٌ إذا ما * توسَّد ظبية الأقط الجُلال[4]

كأنَّ مُلاءَتيَّ على هزفٍّ * يَعُنُّ مع العشيَّة للرِّئال

على حَتِّ البُراية زمخريٍّ الـ * سّواعد ظلَّ في شَرْى طوال

هِزَفٍّ أصنف السَّاقين هِقلٍ * يبادر بيضه برد الشَّمال

أحسَّ ضبابةً-وعماء ليلٍ * يبادرُ غول وادٍ أو رمال

كأنّ جناحه خفقان ريح * يمانيةٍ بريطٍ غير بالي

بذلتُ لهم بذي وسُطَان شدِّى * غداتئذ ولم أبْذُلْ قتالي[5]

ويذكر تأبط شراً ومعه عمرو بن براق حين أرصدت لهم قبيلة بجيلة كميناً على ماء فأوثقوه ، غير أنه وصاحبه دبروا حيلة بارعة ، ونجوا بها عدواً على الأقدام فقال يصور عدوه السريع :

---

(1) – العرفط : شجرٌ . يُؤدي : يُعين ، يقول : كلّما طلعت عرفطة أحسبها إنساناً يعين علي ، من الفرق. الوَشْل : السرعة . رَجْعٌ : يريد رجع يده يتناول سهماً . استلال : السيف. وفي رواية انسلال: والانسلال : السرعة في العدْو.

(2) – هواءٌ : لا قلب له. مستميت : رابضٌ عليه . الخيال : شيءٌ يمنع الذئب أن يقرب الغنم ، وايضاً تفسير آخر : هواءٌ : منخوب الفؤاد لا عقل له . مستميت على ما في وعائك : يموت على الزّاد من البخل وهو كالخيال : لا غناء عنده .

(3) – حنّته : امراته . إذا عاتبته وقالت : انظر لعيالك لطمها ، ويقول : هو سيء المعاشرة .

(4) – ظبية : جراب صغير ، يقول : إذا وجد الأقطَ والسّمن حسب نفسه ملكاً ، و الظبية : جراب من جلد الظبي .

(5) – السكري : (**شرح ديوان الهذليين**) ج1 ، دار العروبة ، ص 319-321. الهِدفُّ : الظليم السريع ، يقول : كأنه من شدّة عدوه . يعنُّ : في لغة هذيل يعرض. الرّئل : فراخ النّعام . الحتُّ : السريع. البُراية : عند بقيّته. وحت البراية : إذا براه السّير . بُرايته : التي تبقى له من جسمه وعدوه. زمخري: غليظ طويلٌ . السّواعد : العروق التي في الضرع ، فجعلها العروق كلها . الشَّرى: الحنظل . أصنف: مُتقشّر . هقل : من أسماء النّعام . هزفٌّ : سريع، وايضاً هقل: طويل .العماء: أشدُّ الغيم ارتفاعاً . غَوْلٌ: بُعْدٌ. اليمانية :الجنوب . الشامية : الشمال . الرَّيط: ملاحف غير ملفقّة . ويروى: (شوطان)و (وسطان): وهو موضع، يقول : خرجت أعدو ولم أقاتل.

ياعيد مالك من شوقٍ وإبراق * ومرَّ طيف على الأهوال طرّاق[1]

يسري على الأين والحيّات محتفياً * نفسي فداؤك من سارٍ على ساق

ثم يقول:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم * بالعيكتين لدى معدى ابن برّاق

كأنما حثْحثوا حُصّاً قوادمه * أو أُمَّ خشفٍ بذى شثٍّ وطُبَّاق

لاشيءَ أسرع مني ليس ذا عُذرٍ * وذا جناحٍ بجنب الرَّيد خفَّاق

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبي * بوالهٍ من قبيض الشَّدِّ غيداق[2]

وفي هذه الابيات يذكر كيف فات عَدّائي بجيلة ليلة صاحوا به وأسرعوا من خلفه هو وصاحبه ابن براق، ويقول أنهم أثاروه حتى غدا أسرع من الظليم والظبية وحتى أصبحت الخيل الجياد لا تلحقه ، بل حتى الطير أصبحت تقصر عن عَدْوه[3].

وكان هؤلاء الصعاليك يعانون من عدم الأمن في حياتهم قاطبة ، يتربص بهم الأعداء، وتتربص بهم البيئة المحيطة ، بحيوانها المفترس ، وفقرها القاتل ، وكانت القبائل تبحث عنهم، وهذا تأبط شراً يريد الغارة على الأزد فنذرت به ، وأهملوا له إبلاً ، وامروا ثلاثة من ذوي بأسهم: حاجز بن أبي ، وسواد بن عمرو بن مالك ، وعوف ابن عبدالله ، يتبعونه حتى ينام فيأخذونه أخذاً، ثم سار بها يومين ثم عقلها ، وصنع طعاماً فأكله ، والقوم ينظرون إليه ، ثم هيأ مضطجعاً على النار ، ثم أخمدها ، وزحف على بطنه ومعه قوسه ، حتى دخل بين الإبل ، وخشي أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم ، فمكث ساعة وقد هيأ سهماً على كبد قوسه ،

---

(1) ـ الأصفهاني : (**الأغاني**) دار الثقافة ، ج21، ص

(2) ـ العيكتان : موضع . معدي : عدو. حثحثوا : حركوا واثاروا . القوادم: ما يلي الرأس من ريش الجناحين . الحص : جمع احص وهو ما تناثر ريشه وتكسر لسرعته ، يريد بذلك الظليم . الخشف : ولد الظبية . الشث والطباق: من نبات الصحراء . ذا العذر: الفرس . والعذر: ما أقبل من شعر الناصية على الوجه. وذا الجناح الطير : الريد: حرف الجبل. السلب : ما يسلب في الحرب. الواله: ذاهب العقل. القبيض: السريع. الشد : العدْو . غيداق : واسع .

(3) ـ شوقي ضيف : (**العصر الجاهلي**) ص 378.

فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم إلى المهاد فرمى فقتل رجلين منهم ، وأفلت حاجز هارباً ، وأخذ سلب الرجلين ، وسار بالإبل حتى جاء بها قومه، ، فقال مصوراً هذا المشهد:

تُرَجّى نساء الأزد طلعة ثابت * أسيراً ولم يدرِين كيف حويلي[1]

فإن الألى أوصيتم بين هاربٍ * طريدٍ ومسفوح الدِّماء قتيل

وَخدتُ بهم حتى إذا طال خدّهم * وراب عليهم مُضجعي ومقيلي

مهدتُ لهم حتى إذا طال روعهم * إلى المهد خاتلت الضبا بختيل

فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم * سباعٌ اضافت هجمة بسليل

فقلّدت سوّار بن عمرو بن مالك * بأسمر جسر القُذَّتين طميل[2]

وهذا تأبط شراً يصور ما كان يخيله الوهم لذلك الصعلوك المغامر المتشرد البعيد الآفاق في الليالي المظلمة بين أرجاء الصحراء الموحشة ، حيث تتجسم الرؤى أشباحاً مخيفة ، وتختلط الأصوات في لحن غامض رهيب[3] بات تأبط شراً ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد في قاع يقال له مرحى بطان فلقيته الغول ، فما زال يقاتلها ليلته إلى أن أصبح وهي تطلبه ، والغول سبع من سباع الجن ، فقال في ذلك:

ألا من مبلغ فتيان فهم * بما لا قيتُ عند رحى بطان

بأني قد لقيتُ الغول تهوى * بشهب كالصحيفة صحصحان

فقلتُ لها كلانا نضو أين * أخو سفر فخلّي لي مكاني

فشدت شدةً نحوي فأهوى * لها كفي بمصقول يماني

---

(1) – الحويل : الحول والقوة والقدرة على التصرف.

(2) – أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة بيروت ، ج21 ، ص 173- 174.

السيل : مجرى الماء من الوادي . الهجمة : ما زاد على الأربعين من الإبل. السهم الطميل : الملطخ بالدم . والقذة : ريش السهم . والجسر : الطويل الضخم .

(3) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 247.

فأضربها بلا دهش فخرّت * صريعاً لليدين وللجران

فقالت عُد فقلت رويداً * مكانك إنني ثبت الجنان[1]

وخلاصة القول مادام هؤلاء الصعاليك لا يعرفون العيش إلا في ظلال سيوفهم، ومادامو لا ينتظرون في حياتهم أي سلام أو أمن ، ويعيشون في أرجاء الصحراء المحرقة الافحة ، وبين الجبال الشاهقة ، والمسالك الوعرة ، ومع الوحوش الضارية ، والعلاقات الدامية بينهم وبين القبائل وإذا كان شعر الصعاليك يتسم بسمة الواقعية ، والجنوح عن الخيال ، وإذا كان شعرهم سجل حياتهم ، من الطبيعي جداً أن يتحدثوا عن ما يعانونه في حياتهم ، من فقر وجوع ، وهوان مكانتهم الاجتماعية ، وأحاديث مغامراتهم في الغزو للنهب والسلب ، ووصف المراقب التي تساعدهم على التخفي ، والتهديد والتوعد للقبائل ، ووصف الأسلحة التي يقاتلون بها ، والحديث عن الرفاق في الغزو ، والحديث عن عدم الأمن والفرار ، والتشبيه بحيوان الصحراء ، ولا سيما في سرعة العدو، مثل : الأرنب ، والظليم ، والنعامة ، والوعل وغيرها ، والحديث عن موقف الصعاليك من المجتمع الجاهلي ، ووصف أنفسهم بالقوة والشجاعة ، وذكر الدوافع التي دفعتهم إلى الوقوف في وجه المجتمع ، وكل ذلك قد سجلته عدسات الصعاليك بنظرها المتقلب تقلب الأمواج ، مما جعل شعرهم صورة حقيقية لحياة المجتمع الجاهلي ، وبيئته، وكان التصوير شاملاً للمجتمع والمكان والزمان.

---

[1] – الأصفهاني : (**الأغاني**) ج21 ، دار الثقافة بيروت ، ص 152.

المبحث الثالث

مصادر شعر الصعاليك

ومما لاشك فيه أن هؤلاء الصعاليك يمثلون طائفة خارجة على المجتمع ، متمردة على أوضاعه وتقاليده ، لا تحرص على قبائلها كما لا تحرص عليها ، ونتيجة لذلك أن القبائل لم تحرص على شعرهم ؛ لأنه يمثل الخروج عليها ، والتمرد على أوضاعها وتقاليدها ؛ ولأنه حديث فردي يعنى بتصوير شخصيات أصحابة بقدر مايهمل شخصيات قبائلهم وماحجة القبائل إلى هذا اللون من الشعر الذي لايهتم بها في شيء ، بل على العكس يهتم بتسجيل تمرده عليها والإساءة إليها[1] .

وقد عاش الصعاليك حياةً متشردة بين أرجاء الصحراء الواسعة الرهيبة ، حيث يعيش الحيوان النافع ، والوحش الضاري وكانت سبل الاتصال بينهم وبين قبائلهم عداوة مستحكمة، ومعنى هذا أن كثيراً من شعر الصعاليك ضاع بين أفاق الصحراء المجهولة، وذهبت أنغامه ما بين حيوانها ووحشها ، حيث لاناطق ولاسميع ولارواية إلا هؤلاء الصعاليك أنفسهم، ولاريب أن هؤلاء الصعاليك قد مرت بهم في حياتهم فترات عاشوا فيها مع قبائلهم حياةً قبلية متوافقة اجتماعياً ، وهي تلك الفترات التى سبقت حياتهم المتصعلكة. ومن الطبيعي أن يكون بعض هؤلاء الشعراء الصعاليك قد اكتملت ملكاتهم الفنية قبل أن يتصعلكوا ، وأن يكونوا شاركوا سائر شعراء قبائلهم في حياتهم الفنية، مثل: قيس بن الحدادية الذي شارك قبيلته اجتماعياً وفنياً مشاركة قوية خاض معها غمار أيامها ، بل قادها أحياناً إلى مواطن النصر ، وتغنى بهذا كله في شعره . ومن الطبيعي أن تحرص القبيلة على هذا الشعر وترويه وتتغنى به ، وتتناقله جيلاً بعد جيل، حتى يتلقفه من أفواه أبنائها رواة الشعر العربي الذين كانوا يشدون الرحال إلى البادية ليجمعوا شعر قبائلها .

---

[1] - يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ط3 ، 1966م ، القاهرة دار المعارف ، ص 154- 155.

وأيضاً مجموعة الشعر الذي خلا من مهاجمة القبيلة أو التعرض لها بما تكره ، كوصف الغارات ، أو وصف وحش الصحراء ، أو قصص تلك الأشباح التى كانت تتراءى للصعاليك في تشردهم في ليالى الصحراء المظلمة ، فما على القبيلة ضيرٌ من رواية هذا الشعر ، أو هذه الأقاصيص العجيبة التى ترضي الذوق الشعبي ، في أوقات فراغها أو في ليالي أسمارها[1] .

وأيضاً مجموعة شعر الشعراء الصعاليك الذين فقدوا توافقهم الاجتماعي مع قبائلهم لأسباب اقتصادية أو اجتماعية، ولكنهم لم يفارقوها ، مثل: صعاليك هذيل .

وهذه المجموعات الثلاث لم تجد قبائلهم ضيراً من أن تَرْوِيَ ما وصل إليها من شعرهم، وبخاصة لأنه يصلح مادة للسمر الممتع الشهي[2] ، ومعني هذا أن المصدر الأول من مصادر شعر الصعاليك هو قبائلهم نفسها.

وكان بعض الصعاليك خلعاء تبرأت منهم قبائلهم ، وطردتهم من حماها ، وقد استجاروا ببعض القبائل ، ومن الطبيعي أن يتحدث شعراء هذه الطائفة من الصعاليك عن هذا الجوار في شعرهم ، فيمدحون من أجاروهم ، ويثنون عليهم بما يرونه رداً لذلك الدَّيْن الذي طُوقت به أعناقهم. ومن الطبيعي أيضاً أن يتعرضوا لقبائلهم التي خلعتهم فيهجوهم وبالذات أولئك الذين كانوا سبباً في خلعهم ، مما نتج عن ذلك حرصٌ شديدٌ من القبائل التى أجارتهم على شعرهم ، وأن يعملوا على إذاعته بين العرب ؛ لأنه تسجيل لبعض مفاخرهم ، وإشادة ببعض أمجادهم ، وأيضاً نشر ما قاله هؤلاء الصعاليك في قبائلهم التي خلعتهم ؛ لانه فرصة للنيل منها ، وبناءً على ذلك أن المصدر الثاني من مصادر شعر الصعاليك ، تلك القبائل التى استجار بها الخلعاء منهم.

وكان الصعاليك يرددون شعر شعرائهم ، ويتغنون به في كل مناسبة ؛ لأنه صورة من حياتهم ، وصدى لما يدور في نفوسهم ، ومن الطبيعي أن يعمل هؤلاء الصعاليك على أن

---

(1) - يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 157.
(2) - التبريزي : (ديوان الحماسة) ، ج I، د.ط، 1927 ، طبعة مصر ، ص 38.
(3)- يوسف خليف: (مرجع سابق) ص158.

يذيعوا هذا الشعر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا؛ لأنه تعبير عن مذهبهم في الحياة ، وساعدهم على هذا ماكان يجده هذا الشعر من إعجاب في الأوساط الشعبية التي كانت تُفْتَن بهذا اللون من الشعر ، بما فيه من غرابة ، وما فيه من بطولة ، لأنه تعبير بما يحسونه ومايشعرون به.

ومعنى هذا أن المصدر الثالث من مصادر شعر الصعاليك ، هم الصعاليك أنفسهم.

وعن طريق هذه المصادر وصل شعر الصعاليك إلى الرواة، وقد تنبهوا إلي أن هذا الشعر يكوّن مجموعة متشابهة المقومات الفنية ، فعملوا على جمعه في دواوين خاصة ، ولكن مع الأسف الشديد لم يصل إلى العصر الحديث،من هذه الدواوين إلا أسماؤها وأسماء مؤلفيها ، أما هي فقد ضاعت مع ماضاع من التراث العربي القديم.[1]

أما المصادر العلمية لم يعن بدراسة مستقلة عن الصعاليك إلا أبو سعيد السكري في كتابه:(أشعار اللصوص) ولكن هذا الكتاب لم يصل إلى العصر الحديث منه شيئ سوى نقل بعض العلماء مقتطفات مبتورة منه، وقد أشار إليه البغدادي في كتابة:(خزانة الأدب) في المقدمة أنه من الكتب التي اعتمد عليها في تأليف هذا الكتاب[2] ، وقد ذكره ابن النديم في كتابه :(الفهرست) من بين مؤلفات السكري التي ألفها ، وأيضاً صاحب معجم البلدان في كثير من المواضيع ، وأيضاً صاحب الأغاني ، وأيضاً في كتاب شرح الحماسة للتبريزي مقتطفات منه، وبهذا يدل على أن لهذا الكتاب قيمة كبيرة ، والقطع التي نقلها هؤلاء العلماء تدل على ذلك دلالة قوية ، ويكفي أن يكون هذا الكتاب للسكري الذي قال عنه ابن النديم في كتاب الفهرست:(الذي عمل من علماء أشعار الشعراء فجوَّد فأحسن أبو سعيد السكري) [3] وللسكري أيضاً كتابان آخران يذكرهما ابن النديم هما :(أشعار فهم) و(أشعار الأزد) وكان يضمان شعر صعاليك فهم ، وشعر صعاليك الأزد.

---

(1) -عبدالحليم حفني: (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) ص143.

(2) – عبدالقادر بن عمر البغدادي ، (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) ط4 ، 1997م ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة) ج1 ، ص 21

(3) – ابن النديم : (الفهرست) د.ط ، 2010م ، دار الكتب العلمية،بيروت، ص 78.

وتشير مصادر الأدب العربي إلى دواوين لبعض الشعراء الصعاليك ، فيشير الآمدي في كتابه : (المؤتلف والمختلف) في ترجمته لأبي الطّمحان القيني إلى (ديوانه) وينقل ذلك عنه البغدادي في الخزانة ويذكره أيضاً ابن النديم ، ومما يؤسف أن يُفقد هذا الديون أيضاً ، ويشير البغدادي أيضاً إلى ديوان تأبط شراً في نص ينقله عنه ابن جني ، فيقول:(وكذلك وجدتها في شعر هذا الرجل بالخط القديم ، وهو عتيد عندي إلى الآن) ويُذْكر عن تأبط شراً أن بعض مختارات من ديونه جمعها ابن جني في مخطوطة.

وقد وصل إلى العصر الحديث من دواوين الشعراء الصعاليك ديوانان: ديوان عروة بن الورد ، وديوان الشنفرى ، ويذكر ابن النديم أن شعر عروة قد جمعه اثنان من الرواة : الأصمعي وابن السكيت فالأول ضاع ، والثاني طُبع عدة مرات ، فقد وجد عناية فايقة ، أما ديوان الشنفرى له نسختان: نسخة مطبوعة صنعها الأستاذ عبدالعزيز الميمني ونشرها في مجموعة (الطرائف الأدبية) بلجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1937م ويذكر في مقدمتها أنها من نسخة خطية من الديوان عثر عليها في اسطنبول بكتبخانة خسرو باشا، وعن مجموعة بدار الكتب المصرية ، وقد أضاف إلى ماورد في هاتين المخطوطتين بعض أبيات وجدها في مصادر الأدب العربي الأخرى.

والنسخة الثانية لهذا الديوان مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة خطية بخط محاسن بن إسماعيل بن علي من شعراء حلب ، وهذه النسخة المصورة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت اسم (شعر الشنفرى).[1]

وأيضاً من مصادر شعر الصعاليك ، مجموعة أشعار هذيل للسكري ، منها الجزء الأول الذي نشره الأستاذ كوسجارتن تحت اسم (كتاب شرح أشعار الهذليين) في لدن سنة 1854م والجزء الثاني نشره الأستاذ يوسف هلال سنة 1933م تحت (اسم مجموعة أشعار الهذليين الجزء الثاني) والقسم الذي نشرته دار الكتب المصرية تحت اسم (ديوان الهذليين القسم الثاني) في سنة 1948م، ففي هذه المجموعات من أشعار هذيل وهم طائفة من دواوين صعاليك

---

[1] – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 160- 162.

هذيل وهم : أبو خراش ، والأعلم ، وصخر الغي، وعمرو ذو الكلب ، وأيضاً فيها طائفة متناثرة من شعر تأبط شراً، الذي كانت بينه وبين هذيل عداوة مستحكمة[1].

وإذا تساءَل الباحث : أين يجد شعر سائر الصعاليك ؟

والواقع أن شعر الصعاليك مفرق تفريقاً شديداً بين كل مصادر الأدب العربي أو كافة المصادر العربية مادام شعر الصعاليك يمثل البادية العربية في كثير من جوانبها اللغوية ، والجغرافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية تمثيلاً صادقاً.

ومن المجموعة اللغوية أهم مصادر شعر الصعاليك لا للحصر : لسان العرب وتاج العروس ، وجمهرة اللغة لابن دُرَيد. وأهمية هذه المصادر ترجع إلى ما انفردت به من أبيات لم تُرْو في مصادر الشعر الأخرى.

ومن المجموعة الجغرافية : معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكري ، وهي من المصادر الأساسية لشعر الصعاليك ، ويتميز هذا الشعر بكثرة ذكر الأماكن في الجزيرة العربية ؛ مما جعله صالحاً للدراسة الجغرافية ، وقيمة هذه المصادر ساعدت في ضبط ونصوص هذا الشعر ، وتصحيح روايته ، بما تقدمة من ضبط الألفاظ للأماكن التي تريد فيه، ويكون في المصادر الأخرى محرفة.

ومن المصادر التي تُعْنى بهذا الشعر من حيث هو غاية فنية تقصد لذاتها ، مجوعة المختارات من شعر الشعراء وهي : المفضليات للضبي ، والأصمعيات لأصمعي[2]وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، ومنتهي الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك، وحماسة أبي تمام للتبريزي ، وحماسة البحتري ، وحماسة ابن الشجري ،

---

(1) – يوسف خليف : (مرجع سابق) ، ص 163.

(2) – عبد الحليم حفني: (مرجع سابق) ص145.

والأغاني لأبي الفرج ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والمؤتلف والمختلف للآمدي ، ومعجم الشعراء للمرزباني[1] .

ومن مجموعة كتب التراجم التي تُعنى بشعر الصعاليك من حيث هو مادة للدراسة الأدبية أو اللغوية ، وهي كتب الأمالي والمحاضرات والأحاديث، وأهمها : الكامل للمبرد، والأمالي للقالي ، والنوادر له ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، ونقد الشعر لقدامة ، وعيون الأخبار لابن قتيبة.

ومن مجموعة كتب الشواهد ، وأهمها : خزانة الأدب للبغدادي ، وشرح الصعاليك حافلاً بوصف حيوان الصحراء فإن الكتب التي تعنى بدراسة الحيوان تضم مجموعة منه، وفي مقدمتها الحيوان للجاحظ.

وإذا كانت حياة الصعاليك متشردة ، فإن شعر الصعاليك متشرداً أو متفرقاً بين هذه المصادر، كل مصدر منهم ينظر إلى شعر الصعاليك من حيث غرضه، والمصادر العربية مهما اختلفت موضوعاتها ، وليس مبالغة في القول أن جميع المصادر وبدون استثناء لاتخلو من حديث أو شعر عن الصعاليك ، لا قصد إلى موضوعها لذاته وإنما في سياق موضوع الحديث أي: ضمن الموضوع الذي يتعرض له المؤلف تذكر كل القصيدة من جانب الاستطراد مع البيوت التي تضم غرض المؤلف.

ومن المآخذ التي تؤخذ على هذه المصادر أن رواياتها تختلف من مصدر إلى آخر من حيث الاختلاف في الألفاظ ، والاختلاف في نسبة الشعر[2] .

فشعر الصعاليك قد تعرض لاختلاف في كثير من ألفاظه ، فمثلاً ميمية عمرو بن براق، فقد تعرض بعض أبياتها للخلاف في ألفاظها، فصاحب الأمالي يروي:

وكيف ينام الليل من جل ماله * حسام كلون الملح أبيض صارم

---

[1] – يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 167.

[2] – عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ص 148.

غموض إذا عض الكريهة لم يدع * له طعماً طوع اليمين ملازم[1]

البيت الثاني عند صاحب الأغاني:

صموت إذا عض الكريهة لم يدع * لها طمعاً طوع اليمين مكارم

ويروى القالي والبكري وابن عبد ربه منها:

إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه * وصاح من الافراط يوم جواثم[2]

بينما يرويه صاحب الأغاني:

إذا الليل أدجي واسجهرت نجومه * وصاح من الافراط هام جواثم

ويروى القالي والأصفهاني منها :

وكنت إذا قوم غزوني غوزتهم * فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم

ويروى ابن عبد ربه في العقد الفريد :

وكنت إذا قوم غزوني غوزتهم * فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

ويروى القالي منها:

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا * وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم

ويروى الأصفهاني:

فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا * وتضرب بالبيض الدقاق الجماجم

ويروى القالي:

متى تطلب المال الممنع بالقنا * تعش ماجداً أو تخترمك المخارم

---

[1] – عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ص 148.

[2] - ابن عبد ربه : (العقد الفريد) ط1 ، 1983 م ، تحقيق: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، ج 1 ، ص 34.

ويروي الأصفهاني:

ومن يطلب المال الممنع بالقنا * يعش ذا غنى أو تخترمه المخارم

وهذا الاختلاف بين الرواة اختلاف في اللفظ فقط بحيث لايتغير بها المعنى تغيراً كبيراً، مما ينتج عنه إرباك الدارسين الشذاة.

أما النوع الثاني من الخلاف في شعر الصعاليك ، هو اختلاف الروايات حول نسبة بعض الشعر لأحدهم أو لغيره ، فمثلاً يروي القالي عن عروة بن الورد ، قالوه :

لا تشتمني يابن الورد فإنه * تعود على مالي الحقوق العوائد

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به * خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وإني امرؤ عافي إنائي شركة * وأنت امرؤ عافي إنائك واحد[1].

(1)– أوبكر القالي : (الأمالي والنوادر) د.ط، 2002م، دار الكتب المصرية، ج 2 ، ص200.

المبحث الرابع

موضوعات شعر الصعاليك

مدخل:

شعر الصعاليك صورة من حياتهم يتحدث عما يدور فيها من غارات ، وذل ، وهوان ، وشكل مجتمعهم ونظمه والتزامه بالقيم والعادات والتقاليد ، يسجلون كل تفاصيل الحياة ومكوناتها ، ويبرّرون فيه عن الدوافع والأسباب التي دعتهم إلى التصعلك ، وبما أن هذا الشعر مرآة لحياة هؤلاء الحفنة من المجتمع ، لابد أن تكون هناك موضوعات يدور فيها شعرهم ، الذي يصور هذه الحياة التي يعاشونها بجلد وثبات، فأحسّت هذه الحقبة بالغربة في المجتمع والبيئة المحيطة إحساساً عميقاً من غيرهم ، فهاموا في الفلوات[1] ، وقد تركز شعر الصعاليك في الموضوعات التالية:

1- أحاديث المغامرات.

2- شعر المراقب (التربص بالأعداء)

3- التوعد والتهديد.

4- وصف الأسلحة.

5- الحديث عن الرفاق.

6- أحاديث الفرار.

7- وصف سرعة العدو.

8- الغزوات على الخيل.

---

[1] – يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 182.

9- أحاديث التشرد.

وبهذا أصبح لشعر الصعاليك موضوعات خاصة تحمل ملامحه ، وتظهر فيه بصمات الصعاليك واضحة جلية ، وقد آثر الباحث تناول هذه الموضوعات بالتفصيل وهي :

1- أحاديث المغامرات:

مادامت حياة الصعاليك قد أخذت شعار (الغزو والسلب والنهب) من الطبيعي جداً أن يتحدث الصعلوك[1] عن مغامراته ؛ لأن هذه المغامرات هي (الحرفة) التي قامت عليها حياة الصعاليك ، وهي الأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غايتهم ، وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بها في حياته ، المعجب بها ، الفخور ببطولته فيها ، وهم بمقدورهم النجاة من أخطارها ، وقد ضاقت في وجهه سبل النجاة.

والصعاليك في شعرهم يصفون كل مايحدث في هذه المغامرات ، منذ أن تأخذ جماعة الصعاليك في وضع خطتها ، إلى أن تنتهي الغارة ، ويعود الصعاليك بأسلابهم بعد أن نفذوا ختطهم ، وحققوا أهدافهم ، ويصفون في أثناء ذلك ، الطريق الذي سلكوه، ويتحدثون عن رفاق الغارة ، ودور كل واحد منهم فيها ، كيف نفذوا خطتهم؟ وكيف كانت آثارها في أعدائهم ؟ وكيف انتهت الغارة[2]؟

ومن أحاديث المغامرات الواردة في شعرهم ، خروج الشنفرى في عدّة من قبيلة فهم فيهم عامر بن الأخنس ، وتأبط شراً ، والمسيب ، وعمرو بن براقة ، ومرة بن خليف يقصدون حي من قبيلة بجيلة ، وهو حي العوص ، فلما انتهوا من الغارة ، وأخذوا طريق العودة ، عارضتهم قبيلة خثعم ، ودارت بينهم معركة انتهت بإنتصار الصعاليك ، فعندها فرغ الشنفرى إلى فنه يحدثنا عن أحداث هذه المغارة بالتفصيل ، فيقول:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني * سيغدى بنعشي مرة فأغيّب

---

(1) – يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 182.
(2) – يوسف خليف:(مرجع سابق) ص 182.

خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا * ثمانية مابعدهاً متعتّب[1]

سراحين فتيان كأن وجوههم * مصابيح أو لون من الماء مذهب[2]

نمر برهو الماء صفحا وقد طوت * ثمائلنا ، والزاد ظن مغيّب

ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا * على العوص شعشاع من القوم محرب[3]

فثاروا إلينا في السّواد فهجهجوا * وصوّت فينا بالصباح المثوّب[4]

فشنّ عليهم هزّة السيف ثابت * وصمم فيهم بالحسام المسيَّب

وظلت بفتيان معي أتقيهم * بهن قليلاً ساعةً ثم خيّبوا

وقد خر منهم راجلان وفارسٌ * كميٌّ صرعناه وخوم مسلَّب

يشن إليه كل ريع وقلعة * ثمانيةً ، والقوم رَجْلٌ ومقنب

فلما رآنا قومنا قيل أفلحوا * فقلنا اسألوا عن قائل لا يكذّب

ويبدأ الشنفرى في البيت الأول بإعلان امراته أنه خارج إلى الغارة على هذا الحي ، غير مبال بحياته أو حريص عليها ، وهو يعلم أن أجله لابد يقضي في يوم من الأيام.

وفي البيت الثاني والثالث يخرج هو وأصحابه في لفهة شديدة إلى حديثه عن خروجهم في مغامراتهم، ويذكر لنا أنهم ثمانية ، وأنهم خرجوا جمعياً مسرعين ، ولم يوصوا أحداً بأهلهم ، وهم جمعياً فتيان كأنهم الذئاب ، وجوههم مشرقة كالمصابيح أو لون من ألوان الذهب في الإشراق والوضاءة ، لا تبدو عليهم مظاهر الجزع أو الخوف.

---

(1) – متعتب: مكان، وفي الديوان مستعتب .السراحين: الذئاب.

(2) – أبو الفرج الاصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، ج 21، ص 161.

(3) – الرهو: مستنقع الماء- الثمائل جمع ثميلة وهي سقاء الماء . الشعشاع: الطويل الخفيف. المحرب : الشديد الحرب الشجاع. هجهجوا : صاحوا . المثوب : الداعي المكرر الدعاء . الوخوم : الثقيل : الربع : المرتفع من الأرض . الرَجْل : الجماعة على أرجلهم .

(4) – يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 183.

وفي البيت الرابع والخامس يصف مرورهم إلى هدفهم مسرعين ، لا يرجعون على شئ حتى على الماء على شدة حاجتهم ، وعلى علمهم أن الزاد ظن مغيب، وبعد ثلاثة أيام على أقدامهم يصلون إلى حي العوص ، وتقدم منهم وهو دليلهم إلى الحي فارس طويل خفيف أو سريع شجاع.

ثم يصور المعركة التي دارت قبيل الفجر ، في ظلام حالك من آخر الليل ، وقد تنبه الحي الذي يهاجمونه ، فهجهج أهل الحي ، ودارة المعركة ، وقام كل من الصعاليك بدوره في بطولة وشجاعة ، فتأبط شراً قد بدا هجومه السريع بسيفه الذي يهتزّ في يده لسرعة ضرباته ، والمسّيب أيضاً أعمل فيهم سيفه ، والشنفرى قد وقف للدفاع هو وجماعة من الصعاليك ، وثبتوا في موقفهم حتى انجلت المعركة عن انتصار الصعاليك، وسائر الناس قد انتابهم فزع شديد ، حتى خيل إليهم أن كل مرتفع من الأرض يقف عليه هؤلاء الصعاليك الثمانية.

وقد انتهي الشنفرى من تصوير هذه الغارة ، ليحدث قومهم الصعاليك في قواعدهم في الصحراء بفخر واعتزاز بما قاموا به من بطولة[1].

وأيضاً يصور لنا السليك في فنه مغارة في هذه المقطوعة الرائعة ، فيقول:

وعايشة راحت بطاناً ذعرتها * بسوط قتيل وسطها يتسيف[2]

كأن عليه لون برد محبّر * إذا ما أتاه صارم يتلهف[3]

فبات له أهلٌ خلاءٌ فناؤهم * ومرت بهم طير فلم يتعيفوا

وباتوا يظنون الظنون وصحبتي * إذا ماعلوا نشزاً أهلوا وأوجفوا[4]

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة * وكدت لأسباب المنية أعرف

---

(1) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 184- 185.

(2) ـ العاشية: الإبل ترعي ليلاً ، ويتسيف : يضرب بالسيف ، وفي رواية أخرى في مجمع الأمثال (وعاشية روح بطانن) وبصوت قتيل.

(3)في مجمع الامثال رواية: (صارخ) مكان (صارم) و(متلهف) ، ويريد بقوله: (لون برد محبر) طرائق الدم على القتيل.

(4) ـ النشز: المكان المرتفع ، أهلّ : صاح ورفع صوته . أوجفوا : حملوا الإبل على الوجيف وهو ضرب من السير.

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني * إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف[1]

فالسليك يريد الغارة في عيشة فيها ضباب ومطر مع رفقين له حتى يأتوا بيتاً قد انفرد من البيوت وتربص السليك بمفرده بالقرب من البيت ، حتى إذا خرج رب البيت بإبله ليعشيها تبعه السليك ، حتى إذا ما أخذت الشيخ سنة من النوم ، وقد غطى وجهه بثوبه من البرد حانت الفرصة للسليك ، فضربه فطارت عنقه ، وأخذ بالإبل إلى حيث ينتظره صاحباه.

ويصف السليك هذه المغارة ، بذكر طرده للإبل بعد أن قتل صاحبها ، وبذلك هو فرحٌ بتلك الغنيمة التي انقذته من الجوع والهلاك ، ويصف أهل الشيخ الذي قُتل بأنهم مطمئنون؛ لأن خبر الغارة لم يبلغهم بعد . أما أصحابه قد نجوا بغنيمتهم فوق طريق جبلي وعر، وهم يصيحون صيحة الفوز والفرح ، ويحثون الإبل المنهوبة على الإسراع، ومع ذلك لم ينس السليك أن يبرِّر غارته هذه ، فهو لم يقدم عليها حتى أصبحت المسألة مسألة حياة أو موت، فقد أشرف على الهلاك لشدة فقره وجوعه ، حتى يصيبه الدُّوار ، وتظلم عيناه لشدة ضعفه[2].

2- شعر المراقب ، (التربص بالأعداء):

تحدث الصعاليك عن تربصهم بأعدائهم ، وترصدهم لضحاياهم ، وانتظارهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم ، فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولايرونهم وتسمى (المراقب) ، وبهذه سُمي شعرها (شعر المراقب).

والمرقبة التي يتربص فوقها الشاعر الصعلوك دائماً منيعة أبية على غيره ، وفي الليل الحالك الذي يغش الكون بدياجيه الكثيفة ، ليكون تربصهم فوق المراقب ليلاً يدل على الجرأة والشجاعة وقوة القلب ، و (الليل اخفي للويل) والصعاليك نومهم قليل[3]، وفي ذلك يقول الشنفرى:

ومرقبة عيطاء يقصر دونها * أخو الضروة الرّجل الخفيف المشفَّف

---

(1) ــ أسدف: أظلم بصره من شدة الجوع.
(2) ــ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 186.
(3) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 188.

نميت إلى أعلى ذراها وقد دنا * من الليل ملتف الحديقة اسدف

فبت على حد الذراعين مُحْدباً * كما يتطوى الأرقش المتقصف

قليل جهازي غير نعلين أسحقت* صدورهما مخصورة لا تخصّف

وملحفة دِرس وجردٍ ملاءة * إذا أنجمت من جانب لاتكفّف[1]

وفي هذه المقطوعة الرائعة ، يرسم الشنفرى لوحة جميلة لمرقبة منيعة عالية يعجز دونها الصياد الماهر الخفيف الذي يخرج بكلابه للصيد ، ويصف كيف صعد إليها،وقد أقبل الليل بظلامه الحالك، وكيف قضى الليل فوقها متربصاً محدباً على ذراعيه ، لا شي معه سوى نعلين باليتين ، وثياب قديمة ، وسيفه وقوسه وسهامه.

المراقب عند تأبط شراً ذات صورة طريفة ، ويقول :

ومرقبة يا أم عمرو طِمِرّة * مذبذبة فوق المراقب عيطل

نهضت إليها من جثوم كأنها * عجوزٌ عليها هدملٌ ذات خيعل[2]

فيصفها بأنها مرقبة تعلو سائر المراقب ، وإضافة إلى ذلك معقدة ذات تجاعيد كأنها عجوز شمطاء عليها ثياب بالية ، ومع ذلك في منتصف الليل يقوم إلى تنفيذ خططه.[3]

ويقول ذو الكلب في وصف مرقبة:

ومرقبة يحاور الطرف فيها * تزلُّ الطير مشرفة القذال

أقمت بريدها يوماً طويلاً * ولم أُشرف بها مثلَ الخيال

---

(1) ابو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ، بولاق ، ج 21 ، ص 140- 141 .
العيطاء : العالية المرتفعة أو الأبية الممتنعة. أخوالضروة : الصياد معه كلبه ضراها للصيد. المشفف: النحيل. الأسدف: المظلم. محدبا: أنحني. أسحقت: بليت. الملحفة: ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد .
الدرس: الثوب الخلق ، ومثله الجَرد . أنجمت: ظهرت وطلعت . كف الثوب: خاط حاشيته.
(2) – ابن منظور الافريقي: (لسان العرب) مادة (هدمل). الطمرة: المرتفعة . العيطل : الطويلة . الهدمل : الثوب الخلق .الخيعل : قميص لا كم له .
(3) – يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 189.

ولم يشخص بها شرفي ولكنْ * دنوت تحدُّرَ الماء الزلال[1]

فقد وصف ذو الكلب وهو يتربص فوقها بأنها بعيدة واسعة عالية ملساء ، وهو متربص فوق حرفها طول يومه ، حتى إذا حانت له الفرصة بالوصول إلى الهدف تحدر فوقها كتحدر الماء الصافي من أعلى القمم مع الخفية التامة.

وهذا أبو خراش يرسم لوحة منمقة لمرقبة أشمل وأكبر تفصيلاً فهي مرقبة في نتوء مشرف من الجبل كأنه حد الفأس ، يشرف على طريق ضيق كأنه النفق ، يتسرب فيه الناس بعضهم في إثر بعض، وقد أقيم فوقه عرش قديم متهدم لم يبق منه إلا عودان ، يستظل المتربص تحته ويختفي فيه ، فيقول فيها:

لست لمرّة إنْ لم أُوف مرقبة * يبدو لي الحرف منها والمقاضيب

في ذات ريَدْ كذَلْق الفأس مشرفة* طريقها سربٌ بالناس دُعبوب

لم يبق من عرشها إلا دعامتها * جِذْلان : منهدم منها ومنصوب[2]

فهو لم يكن وحيداً فوق مرقبته ، وإنما كان معه صاحب له ، فهو صاحب حذر قوي النفس لم يرضَ لها أن يكون عبداً راعياً ، وإنما آثر أن يكون صعلوكاً عاملاً ، يتربص فوق المراقب في سواد الليل ، رافضاً تلك الراحة التي ينعم بها الضعفاء من الفقراء الذين ارتضوا الذل والهوان:

بصاحب لاتنال الدهر غِرّته * إذا افتلى الهدف القِنَّ المعازيب

بعثته بسواد الليل يرقبني * إذ آثر النوم الدفءَ المناجيب[3]

---

(1) – السكري : (شرح أشعار الهذليين) ج 1 ، ص 237. القذال : الرأس . الريد : الحرف ينذر من الجبل . وفي البيت الثاني معناه أنه أقام بها منكباً ولم يقم مشرفاً .

(2) – السكري: (ديوان الهذليين) ، ج2 ، ص 159. أوفى : أشرف . الحرف من الجبل : أعلاه المحدد ، وهو تحريف من كلمة الحرث بدليل المقاضيب: وهي الأرض تنبت النبات الرطب. ذلق الفاس : حدها . السرب : الشائع الذي يتسارب فيه الناس . الدعبوب : الموطوء . الجذل : العود.

(3) .افتلى الهدف : أي فلاه من أهله ، أي عزله وفصله. الهدف : الثقيل الوخم . القن : الذي ابلوه عبد وأمه أمة . المعازيب : الإبل والشاة التي تعزب عن أهلها في المرعى ، يريد بصاحبه ليس براع تبعده إبله. المناجيب: الضعفاء الذين لا خير فيهم .

ويصف أبو خراش صاحبه فهو قائم فوق هذه المرقبة كأنه سهم ، ثم هو سمح النفس على نحافته ، فيقول:

يظل في رأسها كأنه زُلَمٌ * من القداح به ضرس وتعقيب

سمحٌ من القوم عريانٌ أشجاعه * خَفَّ النواشر منه والظنابيب[1]

ويقول عزوة بن الورد:

إذا ما هبطنا منهلاً في مخوفة * بعثنا ربيئاً في المرابئ كالجذل.

يقلّب في الأرضّ الفضاء بطرفه * وهن مناخاتٌ ومرجلنا يغلى

وهذا عروة زعيم الصعاليك ، يبعث أحدهم ليرقب لهم الطريق فوق المرتفعات ، وقد وصف صاحبه وقف مرقبة ثابتاً لايتحرك كأنه غُرس فوقها ، وعيناه تستديران ، فهو يقلبهما في الذي يحيط بهم ، حيث أناخوا إبلهم ، وأوقدوا مواقدهم يهيئون لأنفسهم طعاماً[2].

3- **التهديد والتوعد:**

احتلّ التهديد والتوعد مكانة كبيرة في شعر الصعاليك ، وبه يكتمل ركني الجريمة القانونية (التربص والإصرار) وهم بذلك يريدون أن يبثوا الرعب في قلوب أعدائهم كلون من ألوان الحرب النفسية ، وهي مهمة لإضعاف الأغنياء وزعزعت نفوسهم ، وإضافة لذلك تدل على قوة البأس والشجاعة لدى الصعاليك يفخرون بها ، ويفخرون بمعاناة الصعاب ، وكان التوعد عند الصعاليك شيء محبب لهم ، وهذا يدل على الثقة.

وأكثر توعداً الشنفرى ، وقد توعد بنو سلامان ، أولئك الذين كانوا السبّب المباشر في تصعلكه ، والذين عاهد نفسه ليقتلنَّ منهم مائة ؛ لأنهم أخذوه من قبيلته يافعاً ، وقتلوا إخوانه، وهو يتوعدهم في شعره توعداً عنيفاً فيقول:

---

(1) - السكري: (ديوان الهذليين) ، ج2 ، ص 160- 161. الزلم أو الزُلم : القدح لا ريش عليه. الضرْس : تأثير العض . عريان أشاجعه : ليس بكثير اللحم . النواشر : عصب ظهر الكف . الظنابيب : عظام الساق .

(2) - أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ، ج21، ص 135 .

فإلا تزُرني حتفتي أو تلاقني * أمشَّ بدهوٍ أو عِدَاف بنوُّرا

أمشِّي بأطراف الحَمَاط ، وتارةً * ينفِّض رجلي بُسبطاً فعصنصرا

أبغِّي بني صَعب بن مُرٍّ بدارهم * وسوف ألا قيهم إن الله أخَّرا

ويوماً بذات الرَّسِّ أو بطن مِنْجَل * هنالك نبغى القاصيَ المتغوِّرا[1]

والشنفرى يعلن أنه مالم تحل به المنية بينه وبينهم ، لن يترك غزوهم ، وكل مايرجوه أن يمد الله في أجله حتى ينتقم ، ويهزمهم في دارهم[2] .

وإذا تأخر الشنفرى عن غزوهم أحياناً فلايكون هذا دليلاً على أنه كف عن إغارتهم، وإنما يمهلهم إلى حين ، وهو واثق من قدرته على غزوهم ، وأكثر شيئ محبب إلى نفسه، أن يقطع الطريق على سادتهم ، وهو خبير بطرق الصحراء ومسالكها ، قدير على الاهتداء في مجاهلها، فيقول:

كأن قد ، فلا يغرُرك مني تمكّثي * سلكت طريقاً بين يربعُ فالسَّرد

وإني زعيمٌ أن ألفَّ عجاجتي * على ذي كساء من سلامان أو بُرْد

وأمشي لدى العَصْدَاء أبغى سراتهم * وأسلك خَلاً بين أرفاغ والسَّرْد

هم عرفوني ناشئاً ذا مخيلة * أمشِّي خلال الدار كالأسد الورد

كأني إذا لم أُمس في دار خالد * بتيماءَ لا أهدَى سبيلاً ولا أهْدِي[3]

ويتوعد عمرو ذو الكلب أعداءه ، فيقول :

فإن أثقفتموني فاقتلوني *وإن أثقف فسوف ترَوْنَ بالي

---

(1) - أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ، ج21، ص 135 . دهو أو رهو ، وعداف ، وبنور ، وبسيط ، وعصنصر : أسماء جبال . الحماط : شجر يشبه شجر التين . بنو صعب بن مرّ إخوه سلامان . ذات الرأس ، وبطن منجل : موضعان .

(2) - يوسف خليف : (الشعر الصعاليك....) ، ص 191.

(3) - الأصفهاني : (الأغاني) ، ، ج 21 ، ص 135. بولاق. يربع : موضع بين عمان والبحرين . السرد وارفاغ : جبلان لبنى سلامان وبهما منازلهم . العصداء : أرض لهم . الخل : الطريق ينفذ في الرمل ، أو النافذ في الرمل المتراكم .

فأبرح غازياً أهدِي رعيلاً * أؤُم سواد طود ذي نِجَال

ويبرح واحد واثنان صحبي* ويوماً في أضاميم الرجال

بفتيان عمارط من هذيل * هم ينفون آناس الحِلال

وأبرح في طوال الدهر حتى* أقيم نساءَ بجلة بالنعال [1]

وبهذا يعلن الشاعر أن الصراع بينه وبين أعدائه مرير لارحمة فيه، الويل للمغلوب، وينذرهم بأنه لم يرحمهم إذا ظفر بهم ، كما أنه لايريد منهم الرحمة إذا ظفروا به ، ويتوعدهم أنه لن يكف عن غزوهم حتى يقتلهم ويرمل نساءهم.

ولعل الشاعر يريد بهذه الأبيات تأثيراً نفسياً في نفوس الأعداد للإحباط من معنويات العدو والشاعر من خلالها:

1- يؤكّد أنه ماضٍ إلى قتالهم ولايبالي من الموت فالهجوم واقع لا محالة، وهو هجوم صعب.

2- يذكر هجومه قد يكون من فرد أو من جمع من الصعاليك (عمارط).

3- هجومه غير محدد الزمان والمكان ، فهجوم الفرد لا يكون في وسط القبيلة ، وهجوم الجماعة (الرعيل) خارج الحي ، وهجوم العمارط ربّما يكون على القبيلة (بجلة) في مكانها.

ويقول تأبط شراً في تهديده وتوعده قبيلة خثعم ، وبجيلة ، وثمالة ، وهذيل:

أرى قدميّ وقعهما خفيف * كتحليل الظَّليم حذا رِئاله

أرى بهما عذاباً كل يوم * لخثعم أو بجيلة أو ثماله

وشرّاً كان صُبَّ على هذيل * إذا علقت حبالُهم حباله[1]

---

[1] – الأصفهاني : (الأغاني) ، ج 18 ، ص 218. التحليل : العدو . الرئال : جمع رأل و هو ولد النعام . حذا : حاذي.

ويقول : أن سرّ عذاب خثعم وبجيلة وثمالة وهذيل يرجع إلى قدميه اللتين أودع الله فيهما القوة في الارتكاز في القتال، والخفة في تفادي الضرب ، والسرعة في الهجوم والسرعة في الفرار.

4-وصف الأسلحة:

ومن الطبيعي جداً أن يتحدث الشعراء الصعاليك عن أسلحتهم ، وهي من مقومات الصعلكة الثالثة التي يعتمدون عليها من مغاراتهم ، وهي قوة القلب ، الجسم وبالذات الأرجل لدواعي الكر والفر ، أما القوة الثالثة التي تقوم عليها حياة الصعاليك هي قوة الأسلحة ، ويقصد الصعاليك بوصف الأسلحة في شعرهم إظهار قوتهم وشجاعتهم ومقدرتهم على فنون القتال المختلفة[1].

وقد جمع تأبط شراً في رثائه للشنفرى تلك القوة الثالثة ، فيقول:

فلا يبعدنّ الشنفرى وسلاحه ال * الحديد وشدٌّ خطوه مواتر

إذا راع الموت راعَ وإن حمى * حمي معه حرٌّ كريمٌ مصابر[2]

والأسلحة التي يصفها الصعاليك هي نفس الأسلحة التي يعرفها العرب في العصر الجاهلي : السيف ، والرمح ، والقوس، والسهام وهذه تُعدّ، أسلحة الهجوم . أما أسلحة الدفاع: الدرع ، والترس ، والمغفر، وهي كل ما يملكون في حياتهم الفقيرة الحياة الحمراء المتمردة .

والصعلوك عند موته لم يترك لورثته سوى درع ، ومغفر ، وسيف ، ورمح ، وجواد، فهذا كل ما يحرص عليه في حياته ، وكل ما سيظل محافظاً عليه إلى آخر رمق من حياته[3].

وكأنه يقول لسان حاله هذا نصيبي من الحياة ، وهذا مسلكي الذي سلكته راضياً ، فأرجو أن يسلكه بعده أبناؤه.

---

(1) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 195.
(2) – الأصفهاني : (الأغاني) ج 21 ، ص 191 . الشد : الجري.
(3) - يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 195.

وكان الصعلوك حريصاً علىٰ سلاحه لايفرط فيه ويكون ممسكاً به في كل الأوقات ؛ لأنه حياته في خطر دائم ، فكل مايحيط به عدو الحيوانات المفترسة ، وحتى المجتمع نفسه ، فهذا صغر الغيّ يقول في سلاحه:

ذلك بزّي فلن أفرّطه * أخاف أن ينجزوا الذي وعدوا

يقصد بالبز السلاح ، وهو يرى أن أصحابه الذين يتوعدونه، ويتربصون به، إذا فرّط في سلاحه يخاف أن يتمكنوا من قتله ، فهو رفيقه وصديقه ودفاعه.

وهذا الأعلم الهذلي يرسم صورة رائعة ، حيث يجعل نفسه البشرية مساوية تماماً للموت في وقعه على الآخرين ، فالذي يلاقيه ومعه سلاحه كأنما لاقى الموت ، والذي يلاقي الموت فقد لاقى الأعلم، فيقول:

متى ما تلقني ومعي سلاحي * تلاق الموت ليس له عديل

ويصف الشعراء الصعاليك أسلحتهم المختلفة وصف المفتون بها الذي يهتم بكل أجزائها، ويكون حريصاً أن يسجل كل شيئ فيها: لونها ، وشكلها ، وصوتها، وطريقة صنعها ، وطريقة استخدامها ، وقيمتها في الحياة ، وقوتها على الأعداء[1]، ويرى عمرو بن براقة أن السيف (جلّ ماله):

وكيف ينام الليل منْ جل ماله * حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض إذا عض الكريهة لم يدع* له طعماً ، طوع اليمين ملازم[2]

فالسيف عنده جلّ ماله ، يجب ألا يفارغه ، ولكن لحمله تقاليد ، فصاحبه يجب أن لا ينام الليل لأنه من أبناء الليل الذين يرعون حق الأبوه.

---

(1) - يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 195 - 196.

(2) – الأصفهاني : (الأغاني) ، ج 21 ، ص 175.

صموت ، وغموض ، ومكارم ، وملازم : أمكنة . السيف الغموض: الذي يغيب في اللحم.

وإذا كان المجتمع الجاهلي برمته يعتمد على القوة ، وهي منهاج الحياة فيه ، فإن السلاح ركن اساس من أركان القوة ، إذ يقول الأعلم الهذلي:

متى تجمع القلب الذكيَّ وصارماً * وأنفاً حمِيّاً تجتنبك المظالم[1]

وهو يرى متى امتلك الإنسان الشجاعة والسيف والنفس الأبية تجتنبه المظالم في هذا المجتمع الدامي.

وهم يصفون الأسلحة من حيث صلابتها ، وقوتها على البتر . وهذا صخر الغي يرسم لسيفه صورة رائعة ، فيقول:

وصارم أحلِصَتْ خشيبتُهُ * أبيض مهو في متنه رُبَد

فلوت عنه سيوف أريح إذ * باء بكفي ولم أكد أجد[2]

فهو حسام تُتِرُّ ضربته * ساق المذكيِّ فعظمها قِصَدُ.

وهو يصف سيفه وصفاً دقيقاً ، هو سيف ماضٍ من حديد جيد صلب ، رقيق الشفرتين، يلمع، وهو سيف منتقى عديم النظير ، لاتقوى أشد العظام على ضربته.

وقد وصف الشنفرى رفاقه الصعاليك ، ونفسه في غاراتهم ، وهم يستخدمون سيوفهم في الهجوم والدفاع ، فيقول:

فشنَّ عليهم هِزَّة السيف ثابت * وصمم فيهم بالحسام المسيّب .

وظلتُ بفتيان معي أتقيهم * بهن قليلاً ساعة ثم خيبوا[3]

وقد وصف الشعراء الصعاليك القوس والسهام ، وأكثر من اهتم بوصفها منهم الشنفرى والهذليون، وقد حرص الشنفرى على أن يكون سهمه مُعلماً يعرفه الناس، فكان يميزه بعلامة

---

(1) – يوسف خليف ، مرجع سابق، ص 196.

(2) – السكري: (شرح أشعار الهذليين) ، ج1 ، ص 13. خشيبته: طبيعته . مهو: رقيق الشفرتين . ربد : أي لمع تخالف لونه، يريد الفرند. فلا: بحث . أريح : قرية بالشام. باء بكفي : صار بكفي . تتر: تبرى. المذكي : المسن أو البدين . القصد :الكسر ، أو القطع فيها مخ.

(3) – يوسف خليف ، مرجع سابق ، ص 197. ، وفي الأغاني : جنّبوا : أي مالوا .

خاصة وكان يصنع النبل ويجعل أفواقها من القرون والعظام ، فكان أعداؤه إذا رماهم يعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم.

فوصف الصعاليك السهام في جميع أطرافها، منذ بريها ، وتركيب الريش فيها ، حتى استخدامها في الرمي ، كما يصفون نصالها وأفواقها ، فيقول الشنفرى:

وردت بمأثور يمان وضالة * تخيرتها مما أريش وأرصف

أركبها في كل أحمر غاثر * وأنسج للولدان ماُهو مقرف

وتابعت فيه البرى حتى تركته * يرنّ إذا أنزفته ويزفزف

بكفي منها للبغيض عراضة * إذا بعت خلاً ماله متعرّف[1]

وهو يتحدث عنها وكيف يتخيرها ، وكيف يركب ريشها ، وكيف يتابع البري؟ ، ثم يتحدث عن قيمة هذه السهام التي أعدها للأعداء.

ويتحدث في مقطوعة أخرى عن رميه أحد أعدائه بسهم قوي لاعوج فيه ، ثم يصف أجزاء هذا السهم ، فهو عود من نبع عليه ريش العقاب ، وله فوقٌ كأنه عرقوب القطاة:

ومستبسلٍ ضافي القميص ضممته * بأزرق لانِكسٍ ولا متعوِّجِ

عليه نُساريٌّ على خُوط نبعة * وفوقٍ كعرقوب القطاة مُدحْرج[2]

ويقول الشنفرى عن سهام تأبط شراً متحدثاً عن عددها ، وعن تأهب هذه السهام للانطلاق على العدو ، وكأنما هي تحسُّ وتشعر وتتجاوب مع مقتنيها وتتهيأ للقتال ، وتتحفّز له ، ويقول في (أم العيال):

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ، ج 21 ، ص 141. المأثور: السيف . الضالة : يريد بها السهام . الغثرة غبرة إلي خضرة المفرق: الداني. أنزفته: وفي بعض الروايات (انفنته) . الزفزفة: صوت القدح حين يدار على الظفر . العراضة: الهدية . الخل : الطريق في الرمل.

(2) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ، ج21 ، ص 196.

الأزرق: يريد به السهم . الكنس : السهم ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله . النساري: ريش النسارية وهي العقاب ، وقد ظُن من ريش النسر. المدحرج: المدور.

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفا * إذا آنست أولى العديَّ اقشعرّت

وفي رواية الأغاني للأصفهاني:

لها وفضة فيها ثلاثون سلجما * إذا مارأت أولى العديَّ اقشعرّت[1]

فوصف عمرو ذو الكلب نصال سهامه ، وهي الموت في سنانها ، وهي رماح طائرة يكسوها ريش منسول:

وَتُجْراً كالرماح مسيَّرات * كسين دواخل الريش النُّسال

ويصفها كأنها شوك العضاة:

وفي قعر الكنانة مرهفات * كأن ظباتها شوك السَّيال[2]

ومن أسلحة الهجوم التي يذكرونها في شعرهم القوس، وأشد مايصفونه فيه الصوت فيهتمون بهذا الصوت عندما ينبضون القوس ، وليس بغريب حب الصعاليك لسماع صوت القوس وهو من مقومات الصعلكة الرئيسة ، التي وهبوا حياتهم لها ، وهذا صخر الغي يصف صوت قوس فيقول:

وسمحة من قِسِيِّ زارة صف * اء هتوف عِدَادُها غَرِدُ

كأن إرنانها إذ ردمت * هزمُ بغاة في إثر ما فقدوا[3]

وهو يصف صوت القوس في إرنانه عند خروج السهم منه كأنه أصوات قوم يبغون شيئاً يتحدثون بصوت مرتفع في إيجاده.

وهذا عمرو ذو الكلب يشبه صوت القوس بالعجيج ، وكأنها ناقة مُسِنَّة تود أن تلحق بالإبل الحديثة السن ، وتعجز عن ذلك في مسايرتها وهي لهذا دائمة الحنين:

---

(1) – الأصفهاني : نفسه ، ص 193 . الوفضة : الجعبة . السلجم . العدي: القوم من الرجال. اقشعرت : تهيأت للقتال.

(2) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 199.

الثجر: جمع أثجر وهو النصل العريض الوسط . النسل ماتساقط من الريش . السيال: نبات له شوك أبيض طويل أو ما طال من السمر.

(3) – السمحة : القوس المواتية. زارة : حي من أزد السراة. عدادها : صوتها . غرد:شديد الصوت .ردمت: أنبض فيها . الهزم : الصوت.

وفي الشمال سمحة من النشمْ * صفراء من أقواس شيبانَ القدم

تَعِجُّ في الكف إذا الرامي اعتزمْ * ترنم الشارف في أُخرى النّعم[1]

وصوت القوس في سمع الشنفرى رنين وهتاف ولكنه رنين حزين كصوت الشجي أثقلته شجونه وأحزانه:

وصفراء من نبع أبّي ظهِيرة * ترن كإرنان الشجيِّ وتهتف[2]

وهذا الصوت الحزين الخافت ينقلب عندما تأخذ السهام في الانطلاق إلى صوت نشط مدوٍّ كأنه ، يبحث نحل عائد إلى غاره ، وهو ملتف حول الغار، يبحث عن منفذ إلى داخله في نشاط ودوي:

إذا طال فيها النزع تأبى بعجسها * وترمى بذرويها بهن فتقذف

كأن خفيف النبل من فوق عجسها * عوازب نحل أخطأ الغار مُطْنِف[3]

ويصور الشنفرى تصويراً رائعاً دقيقاً ، فهو يلاحظ أن للقوس عند الرمي صوتين : صوتاً عند بدء الرمي ، وصوتاً بعد الانتهاء منه ، فانطلاق السهم يبدأ بصوت عال صارخ ، وبعد أن ينطلق السهم بهذا رنين القوس ، ويتحول إلى صوت ضعيف خافت، وشبه الصوت الأول بالصياح ، وشبه الآخر بالأنين كأنين الجريح:

وقاربت من كفيّ ثم فرجتها * بنزع إذا ما استكره النزع مخلج

فصاحت بكفي صيحةً راجعتْ بها * أنين الأميم ذي الجراح المشّجَّج[4]

---

(1) النشم: شجر . الشارف : الناقة المسنة. الظهيرة القوية الظهر.

(2) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك) ، ص 199-2000.

(3) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 200-201.
العجس: مثلثة العين، مقبض القوس. والذروان : طرفاها. المطنف : الذي يعلو الطنف وهو رأس الجبل.

(4) النزع: مد القوس. مخلج: من خلج بمعني جذب وغمز وانتزع، الاميم: المشجوعج على أم رأسه.

بالإضافة إلى صوت القوس ، قد اهتم الشعراء الصعاليك بلونها ، وهي عند الهذليين صفراء دائماً ، أما الشنفرى فأحياناً صفراء وأحياناً حمراء، فهذا يرجع إلى دقة ملاحظة الشنفرى ، وصدق تعبيره عن تجاربه ، فالقوس تكون صفراء في أول أمرها ، وعند كثرة استعمالها تصير حمراء ، فيقول:

وباضعة حمراء القسيِّ بعثتها * ومن يغُز يغنمْ مرةً ويشمَّت[1]

وقد وصف الشعراء الهذليون باللون الأصفر دائماً فيقول شاعر منهم:

وسمحة من قسى زارة صفـ * راء هتوف عدادها غرِدُ

وأيضاً يقول آخر:

وصفراء البُراية عود نبعْ * كوقف العاج في وِرْك حُدال[2]

ويقول آخر:

وفي الشمال سمحة من النشمْ * صفراء من أقواس شيبان القدُم

أما وصف الصعاليك لسلاح الدفاع الثالث ، وهو الرمح ، فهو قليل في شعرهم ؛ لقلة اعتمادهم عليه في مغامراتهم ، وذلك لأنه من الأسلحة التي يستخدمها الفرسان أكثر من غيرهم ، وأكثر مَنْ تحدث عن الرماح من الشعراء الصعاليك عروة بن الورد وهو من الصعاليك الفرسان فيقول فيها:

سيفزع بعد اليأس مَنْ لايخافنا * كواسع في أخرى السَّوام المنفَّر

نطاعن عنها أول القوم بالقنا * وبيضٍ خِفافٍ ذات لون مشهَّر

---

(1) – الباضعة: القاطعة ، ويريد بها قوماً غزاة . حمر القسى: يقول ابن الانباري في شرحه على المفضليات 203: غزوا مرة بعد مرة فاحمرت قسيهم للشمس والمطر والقسي تحمر على القدم) يشمت: يخيب ولايغنم

(2) – الوقف: السوار. الورك : جانب القوس، ومجرّي الوتر منها، والقوس المصنوعة من ورك الشجرة أي عجزها. القوس الحدال: التي مالت عنقها ، وتطامنت إحدى سيستها.

وهي صورة تستمد روعتها من صدقها وحيويتها ، فهذه الخيل القوية السريعة التي يمتطها الفرسان الصعاليك مشغولة بمطاردة أخريات الإبل المنهوبة ، أما فرسانها مشغولون بمقاتلة طلائع القوات المهاجمة من أصحاب الإبل[1].

أما في وصف الرمح ، قال عروة:

وأسمرُ خطيُّ القناة مثقّف * وأجردُ عريانُ السراة طويل

ويقول تأبط شراً:

لأطرُدَ نهباً أو نرُودَ بفتية * بأيمانهم سمر القنا والفتائق[2]

ففتية تأبط شراً يحملون في أيمانهم رماحاً سمراً ونصالاً ذات شعبتين.

ويتحدث الشنفرى عن طعنة قتلةَ أبيه طعنةً سامة تمج من حولها سم ثعبان خطر:

فإن تطعنوا الشيخ الذي لم تُفَوِّقوا * منيته ، وغبتُ إذا لم أشهَّد

فطعنة خلس منكم قد تركتها * تمج على أقطارها سُمَّ أسود[3]

ويتحدث أبو الطمحان عن ضرب يزيل الرؤوس عن الأعناق ، وطعن شديد يحدث صوتاً كأنه تشهاق ولد الحمار حين يهم بالنهق:

بضرب يزيل الهام عن سكناته * وطعن كتشهاق العفا همَّ بالنَّهق[4]

وقد تحدث الشعراء الصعاليك عن أسلحة الدفاع ، الدرع، والترس، والمغفر، ولكنه حديث خافت الأنغام ، وهذا طبيعي لأن الصعاليك لهم سلاح دفاع طالما أنجاهم، هو سلاح سرعة العدو الخارقة ، وهم مشهورون بالعدو ولاسيما الهذليون ، وقد تحدث هولاء الصعاليك عن الترس فقط؛ لأنهم ليسوا في حاجة إلى هذه الأسلحة الدفاعية لأن سلاحهم معهم دائماً.

---

(1) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 201- 202.
(2) - النهب : الغنيمة . الفتيق: النصل له شعبتان.
(3) – المفوق: ما يأخذ قليلاً من الأكل والشرب، والمراد: (أنكم طعنتموه طعنة قاتلة لم تدع له فرصة للنجاة) والطعن خاص بالرماح.
(4) – ابن منظور : (لسان العرب) مادة (شهق). السكنة : مقر الرأس من العنق . التشهاق : الشهيق . العفا : ولد الحمار.

ويقول صخر الغي:

إني سينهى عني وعيدهم * بيضٌ رهابٌ ومُجْنَأٌ أُجُدُ[1]

ويصف ترسه بأنه مقبب موثق.

وقد وصف عمرو ذو الكلب الترس بخمس صفات: فهو أسمر ، مقبب، مصنوع من جلد ثور ، أصم لا خلل فيه ، تصيبه النصال فترتد عنه وقد تكسرت ظباتها:

وأسمر مُجْناً من جلد ثور * أصمَّ مفلّلاً ظُبة النصال

فوصف أبو خراش ترسه بأنه موثق ، مصنوع من جلد ثور، وبدأ يصف هذا الثور نشأ في واد خصيب مطير ، حتى شب قوياً يطعن الثيران المتصدية له ، فترتد دامية من طعناته، ضخماً كأنه خيمة كبيرة[2]:

أواقد ، لا آلُوك إلا مهنَّدا * وجلد أبي عجل وثيقَ القبائل

غذاه من السِّرِّين أو بطن حَلْية * فروعُ الأَباء في عميم السوائل

مِشَبٌّ إذا الثيران صدت طريقه * تصدَّعن عنه داميات الشواكل

يظل على البَرْز اليفاع كأنه * طِرَاقٌ رَستْ أوتادُه عند نازل[2]

5- الحديث عن الرفاق:

قد تحدث الشعراء الصعاليك عن رفاقهم الذين يرافقونهم في مغاراتهم ، ودور كلّ واحد منهم ، وما أكثر مايجده الباحث في شعرهم الفاظ الرّجل ، والمنْسر ، والسُّربة ، والمقنب،

---

(1) – يوسف خليف (الشعراء الصعاليك) ، ص 204- 205. رهاب : أي رقاق . مجناً : مقبب. أجد: موثق

(2) – السكري: (ديوان الهذليين) ، ج2 ، ص 139. لا آلوك : أي لا أدع جهداً في أمرك . أو عجل :هو الثور . السرين: بلدة على الساحل . الأباء : القصب . العميم : ماانعتم من النبت في سوائل المطر. والسوائل : الاماكن التي تسيل بالماء . المشب: الشاب من الثيران أو المسن . الشواكل : كل لحم مضطرب بين الجنب والورك . الطراف: الخيمة.

والفتيان ، والأصحاب ، والصحب ، والقوم ، وكل هذه الألفاظ تدل على الجماعة ، لذا أكثروا في شعرهم استخدام ضمير الجماعة ، يعبرون به عن رفاقهم لا عن قبائلهم.

فتحدث الشنفرى في بائيته عن رفاقه الذين خرج معهم ليغزوًا العوْصَ ، أولئك الرفاق الثمانية الذين يعتز بهم ، ويملأ الإعجاب بهم نفسه ، حتى ليصفهم بأنهم:

سراحين فتيانٌ كأن وجوههم * مصابيحُ أو لونٌ من الماء مذهب

وفي تائية الشنفرى يحدثنا عن غزوة له لبني سلامان ألد أعدائه ، وهو على رأس جماعة من رفاقه الصعاليك ، بحديث مرح يداعب فيه تأبط شراً مداعبة طريفة ، فهو (أمهم) التي تقوم على قوتهم ، وتقتر عليهم مخافة أن تطول الغزاة بهم فيموتوا جوعاً ، يعلن أنه غير راضٍ عن هذه السياسة التي تنتجها (أمهم) لأن عيالها جياع:

وأمَّ عيال قد شهدتُ تقوتهم * إذا أطعمتهم أو تحت وأقلت

تخاف علينا العيل إن هي أكثرت * ونحن جياع ، أيَّ آلٍ تألَّت

مصعلكة لايقصر الستر دونها * ولا تُرتجى للبيت إن لم تُبيَّت[1]

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفا * إذا آنستْ أولى العديِّ اقشعرت

وتاتي العديَّ بارزاً نصف ساقها * تجول دَعير العانة المتفلت[2]

ويتحدث عروة بن الورد عن رفاقه ، ولكنّه حديث القائد لا حديث الرفيق ، فهو يدعوهم إلى الخروج إلى الغارة:

أقيموا بني لبنى صدور مطيكم * فإن منايا القوم خير من الهزل

فإنكم لن تبلغوا كل همتي * ولا أربتي حتى تروا منبت الأثل

---

(1) – الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة، ص 211. وقد ورد فيها : عفاهية لايقصر الستر دونها .... الخ.

(2) - يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 207- 208. – اوتحت: أقلت ، العيل: الفقر. آل تألت: سياسة ساست. مصعلكة: صاحب صعاليك ، وبفتحها : نحيفة . الوفضة: الجعبة . السيحف: السهم العريض النصل. العدي: القوم من الرجالة. اقشعرت: تهيأت للقتال. المتفلت: الذي يتفلت إلي الحمر يطردها عن الأتن الوحشية . الجفر: الكنانة . الجزار: السيف القاطع . الحسيل : أولاد البقر.

وهو قائد بارع ، يجمع جنوده ، ويخرج بهم فرساناً ورجالة ليغيروا ، حتى إذا ما انتهت الغارة، وأخذوا طريق العودة ، ونزلوا في مكان منخفض به المياه لينحروا مما نهبوه ، حتى ينالوا حفظهم من الطعام والراحة ، أصبح القائد حذراً ، يبعث ربيئاً منهم فوق مرقبة عالية ، ليراقب لهم الطريق حذراً من العدو:

لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي * وشدى حيازيم المطية بالرَّحل

سيدفعني يوماً إلى رَبِّ هجمة * يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

قليل تواليها وطالب وِترها * إذا صحتُ فيها بالفوارس والرجل

إذا ماهبطنا منهلاً في مخوفة * بعثنا ربيئاً في المرابئ كالجذل[1]

ويتحدث تأبط شراً عن رفاقه حديث المعجب بهم ، ويعتز بصحبتهم ، وقيمتهم في الحياة لأنه وحيد بدونهم:

مساعرةٌ شُعثٌ كأن عيونهم * حريق غضاً تُلْقى عليه الشقائق[2]

وهم دائماً أبطال شجعان شعثٌ ، لكثرة اشتغالهم بالغزو والكفاح ، والضرب في أعماق الصحراء ، وجوب آفاقها ، عيونهم نفاذة تتوقد بنار الحماسة والجرأة والإقدام كأنها نار الغضا المتأججة.

وهو لهذا لاينسى أبداً فضلهم وقيمتهم في مغامراته ، وهو يسأل الله أن يتولى عنه جزاءهم، لأنه عاجز جزائهم:

جزى الله فتياناً على العوْص أمطرتْ * سماؤهم دَحت العجاجة بالدَّم[3]

فإذا سقط أحدهم صريعاً اشتد جزعه عليه وآماله في الحياة تنهار:

---

(1) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص207-208 .
(2) – الأصفهاني : (الأغاني) بولاق ، ج18 ، 214.
(3) – الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة ، بيروت ، ج 21 ، ص 183.

وأبعد قتيل العوْص آسي على فتى * وصاحبه أو يأمل الزادَ طارق

ويقول تأبط شراً في رفاقه أيضاً:

لكنما عوَلى إن كنتُ ذا عوَل * على بصير بكسب الحمد سباق

سباق غايات مجد في عشيرته * مرجِّع الصوت هدّاً بين أرفاق

عاري الظنابيب ممتد نواشره * مدلاج أدهم واهى الماء غسّاق

حمال ألوية ، شهاد أندية * قوال محْكمة ، جوّاب آفاق

فذاك همي وغزْوي أستغيث به * إذا استغثت بضافي الرأس نغّاق[1]

وهو يرى أن فقد أحدهم خسارة لاتعوض ، وإضعاف للجماعة المتصعلكة ، يستحق الأسى والحزن والبكاء ، وهذا الحزن والبكاء يستحقه كل صعلوك عامل ، يمتاز بكسب المحامد والسبق إلى غايات المجد ، وقوة وزعامة بين الرفاق ، وخفة في الجسم ، وجرأت على اقتحام الأهوال ، والسير في الليل البهيم المظلم ، وشجاعة فائقة ، ورأي صائب ، وكرم واسع ، وفصل في الأمور، وحب الغزو .

ومن هنا كثر رثاء تابط شراً لأصحابه ، فهو وفي لهم ولذكراهم ، لاتنسيه إياهم شواغل حياته، وهو يرثى صديقه الأعز الشنفرى ، رثاءً حاراً تتجلى فيه تلك اللوعة التي أصابته ، والحسرة والفجيعة ، وهو ياسف حين قُتل لم يكن معه في ساعة الشدة:

فلو نبّأتني الطير أو كنت شاهداً * لآساك في البلوَى أخٌ لك ناصر

وهو لم ينس في غمرة هذا الأسى ، أن يسجل تعاونهما معاً في ساعات الشد وأوقات الكفاح:

إذا راعَ رَوْعَ الموت راع ، وإن حمى * حمى معه اخٌ كريم مصابر[1]

---

[1] – يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك) ، ص 210.

6- أحاديث الفرار:

كما يتحدث الشعراء الصعاليك عن مغامراتهم وانتصارتهم ، وفوزهم على أعدائهم، يتحدثون عن الفرار ، دون خجل ، لأن الفرار أمر طبيعي من قوم عدّائين، وهو من أسلحتهم يضمن لهم النجاة ليعيدوا الكرة من جديد ليحققوا أهدافهم ، فإن الفرار يتيح للصعاليك فرصة يفتخرون بالميزة التي تميزهم وهي سرعة العدو ، وإنما أريد بالحديث عن الفرار في أشعارهم الفخر.

وقد اشتهر بعض الصعاليك بفرارهم ، وبخاصة صعاليك الحجاز ومنطقة جبل السراة، وبالذات صعاليك هذيل التي كانت تنزل في هذه المنطقة ويذكر الأصمعي عن كثرة العدَّائين في الحجاز والسراة(أن بهذيل وحدها منهم أربعين) والواقع أن أحاديث الفرار ظاهرة واضحة في أخبار الهذليين وأشعارهم حتى لتعد سمة من سمات الشعر الهذلي ، ويتحدث الأعلم الهذلي عن فراره مع صاحب له من مغامرة لهما في بعض بلاد كنانة:

لما رأيتُ القوم بالـ * علياء دون قِدَى المناصب

وفريتُ من فزع فلا * أرمْى ولا ودَّعتُ صاحب

يغرُون صاحبهم بنا * جهداً وأغري غير كاذب

أغري أبا وهب ليعـ * جزهم ومدوا بالحلائب[2]

فقد وصف ذلك المأزق الحرج الذي وجد نفسه فيه حين رأى القوم يطاردونهما ، حتى اقتربوا منهما ، ثم يصور الفزع الذي انتابه فشل مقدرته على الرمي ، وحث صاحبه ، وقد انتقل الأعلم الهذلي إلى الاعتذار عن فراره بأنه يقتل فيصير طعاماً للوحوش والطيور الجارحة:

---

(1) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك) ص 210.العول : الإعوال . مرجع الصوت : يريد أنه يصبح بأصحاب أمراً وناهياً. الهد: الصوت الغليظ. الظنابيب : حرف عظم الساق ، ويريد به (عاريها) أنه خفيف اللحم . النواشر: عروق ظاهر الذراع ، ويريد به طويل الزراعين . الأدهم : هنا الليل. الغساق: الشديد الظلمة. المحكمة: الكلمة الفاصلة القاطعة للإمور. ضافي الرأس: كثير الشعر لشغل الغزو . النغاق: الذي يصبح في إثر الطرائد.

(2) – يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 211- 212.

القدى: القدر. المناصب : الرامي الذي يناصبك الرمي ، يرميك وترميه . فريت: تحيرت ودهشت. الحلائب: الجماعات يجي بعضها في إثر بعض.

وخشيت وقع ضريبة * قد جرِّبتْ كلَّ التجارب

فأكون صيدهم بها * وأصير للضُّبع السواغب

جزراً وللطير المربَّـ * ـة والذئاب وللثعالب

وتَجرُّ مُجْرِية لها * لحمي إلى أجْرٍ جواشب[1]

ويذكر أهله وفقرهم ، وأولاده الصغار وحاجتهم ، كأنه يرى في ذلك تبريراً للفرار:

حتى إذا انتصف النها * ر وقلت يومٌ حَقٌّ ذائب

رفَّعت عينيَّ الحجا * ز إلى أناس بالمناقب

وذكرت أهليَ بالعرا * ء وحاجة الشُّعث التَّوالب

المصرمين من التلا * د اللامحين إلى الأقارب[2]

ولايجد حرجاً أن يحدث صاحبته المتأنقة أن نجا من أعدائه بعد أن كادوا يقتلونه:

ألا هل أتى ذات الخواتم فَرَّتي * عشيةَ بين الجُرْف والبحر من بعر

عشية كادت عامرٌ يقتلونني * لدى طرَف السَّلْماء راغية البكر[3]

ويدافع تأبط شراً في قصيدة له عن فراه ، وتركه صاحباً له:

ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم * ورائي نحلّ في الخلية واكنا

ولا أن تُصيب النافذات مقاتلي * ولم أك بالشدِّ الذليق مداينا

فأرسلتُ مثنّياً عن الشر عاطفاً * وقلت تزحزح لا تكوننَّ حائنا

---

(1) - يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص213. الضريبة السيف. جزراً : اي قطعاً . الطير المربة. : المقيمة على اللحم . مجرية: ضبع ذات جزاء . الحواشب : المنتفخات البطون.

(2) – يوم حق ذائب : شديد الحر. المناقب : أماكن . التوالب: الجحاش الصغار. يريد به هنا أولاده.

(3) – الاصفهاني:(الأغاني) ج12، ص52. راغية البكر : مثل في الشدة والشوم ضرب في بكر ناقة صالح .

وحثحثت مشعوف النَّجاء كأنني * هجف رأى قصراً سِمالاً وداجنا

فيصف مطاردوه الذين كانوا كالنحل ، فهو لايبطي حتى يصيبه سهم ، لذلك يسرع بعيداً عن الشر.

ويدافع أبو خراش عن فراره ، فهو يفر ولم يكن جباناً ، وإنما هو مقاتل شجاع ، وإنما يرى في بعض الأوقات القتال مهلك:

فإن تزْعُمي أني جبنتُ فإنني * أفر وأرمي مرةً كلّ ذلك

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً * وأنجو إذا ما خفتُ بعض المهالك[1]

ويعلن الأعلم الهذلي بأنه حين تكاثر عليه أعداؤه فر منهم مسرعاً:

بذلت لهم بذي وَسِطانَ شَدِّي * غداتئذٍ ولم أبذل قتالي[2]

وخلاصة القول إن الفرار عند الشعراءِ الصعاليك لم يكن نوعاً من الخوف ، وإنما هو تخطيط حربي ، والحرب كرٌّ وفرٌّ ، وهم مع فرارهم فرسان شجعان ، وأيضاً أُريد بوصف الفرار إظهار سرعة العدو وهي ميزة من مميزات الصعاليك يفتخرون بها.

7- سرعة العدْو:

قد تحدث الشعراء الصعاليك في شعرهم بإلحاح عن سرعة عدْوهم ، وكانوا يفتخرون به ، ويرجع ذلك إلى أمرين : أولهما شعورهم بأن سرعة العدْو ميزة تميزوا بها على البشرية، وثانيهما إيمانهم بأنها من الأسباب الأساسية في نجاتهم من كثير من المآزق الحرجة[3].

---

(1) - السكري : (ديوان الهذليين) ، ج2 ، ص 169.
(2) - السكري: (أشعار الهذليين)، ج2 ، ص 63.
(3) - يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 215.

وأشهر الصعاليك الذين اشتهروا بسرعة العدْو صعاليك هذيل وفهم والأزد ، وقد تحدث الصعاليك عن هذه الميزة حديث المعجبين بأنفسهم، ويرون أن هذه الصفة يعجز عنها كثير من الناس أو بعضهم ، ويقول في ذلك الأعلم:

فلا وأبيك لاينجو نجائي * غداة لقيتهم بعض الرجال[1]

وهو يري ألا ينجو ويفلت من العدو عدْواً بعض الرجال؛ لأن الأمر يحتاج إلى سرعة فائقة.

ويقول أبو خراش في سرعة العدو:

أقبلت لا يشتد شديَ واحدٌ * عِلْجٌ أقبُّ مسيَّر الأقراب[2]

وهو يرى أن هذا الحمار الوحش السمين القوي الضامر البطن مع شهرته بسرعة العدو لا يستطيع أن يضاهي أبا خراش في السرعة.

ويصرح حاجزُ بأن الفضل الأكبر في نجاته من بعض المآزق الضيقة لا يرجع إلى قتاله، وإنما يرجع إلى سرعة عدْوه ، ولشدة إعجابه برجليه يفديهما بأمه وخالته فيقول:

فغير قتالي في المضيق أغاثني * ولكنّ بذلي الشدَّ غير الأكاذب

فداً لكما رِجْليَّ أمي وخالتي * بشدكما بين الصفا والأثائب[3]

ويصرح أبو خراش بأنه لولا سرعة عدوه فراراً من أعدائه لآمت امرأته ويتم ابنه:

ولولا دِراك الشد قاظت حليلتي * تخيَّرُ من خطّابها وهي أيم

فتقعد أو ترْضي مكاني خليفةً * وكاد خراشٌ يومَ ذلك ييتم

ويحكي تأبط شراً ، كيف أنجاه عدْوه من عدوه ، برغم ما ارسلوه خلفه من خيل سريعة:

---

(1) - السكري: (شرح أشعار الهذليين) ، ج1، ص 60.

(2) - السكري : (ديوان الهذليين) ، ج2 ، ص 169. العلج : حمار الوحش السمين القوي. والأقب: الضامر البطن . ومسير الأقراب: مخطط الخاصرتين.

(3) - البحتري : (الحماسة) ط1 ، 1929م ، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة الرحمانية مصر ،ص 64.

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم * بالعيكتين لدي مَعْدَي ابن بَرَّاق

كانما حثحثوا حُصّاً قوادمه * أو أم خِشف بذي شثٍّ وطبَّاق

لاشئَ أسرعُ مني ، ليس ذا عذَر * وذا جناح بجنب الرَّيد خفاق

حتى نجوتُ ولما ينزعوا سلبي * بواله من قبيضٌ الشد غَيدْاق[1]

وأيضاً تحدث الصعاليك عن شدة عدْو رفاقهم ، ويصف تأبط شراً أحد أصحابه بأنه سريع العدْو يسبق الريح:

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * بمنخرق من شده المتدراك

وأيضاً يتحدثون عن شدة عدو أعدائهم ، ليثبتوا لأنفسهم تلك الميزة ، وهذا الأعلم الهذلي يتحدث عن فراره هو وصاحبه من بعض أعدائهما ، ويصف خروجهم خلفهما ، وكيف يغرون أسرعهم ليدركهما ، بينما يغري هو صاحبه ليفوتهم ثم يصف سرعة أحد مطارديه كأنه حمار وحش ضامر:

يغرون صاحبهم بنا * جهداً وأُغرِي غيرَ كاذب

أُغري أبا وهب ليع * حزهم ومدُّوا بالحلائب

مدَّ المجلجل ذي العما * ء إذا يراح من الجنائب

يُغْرَى جذيمة والردا * ء كأنه بأَقبَّ قارب[2]

ويصف صخر الغي صاحباً له بشدة العدو فيشبهه بحمار وحش ضامر تعضه الحمر فيفر منها هارباً:

---

(1) - يوسف : (الشعراء الصعاليك)، ص 271.
حصاد قوادمه: يريد به الظليم . الأحص: الذي تتأثر ريشه وتكسر ، والقوادم من الريش الجناح: ماولي الراس. أم خشف: الظبية . والشث والطباق: نبات ذا عذر :يعني به فرساً . والعذر: ماأقبل من شعر الناصية على الوجه . الريد: أعلى الجبل ، وإنما خص جارح الجبل ؛ لأنه أسرع طيراناً الواله: الذاهب العقل. القبيض : السريع . الفيداق: الكثير الواسع

(2) - السكري: (شرح أشعار الهذليين) ، ج1 ، ص 55- 56 .
العماء: أفرع السحاب في السماء. يراح : تصيبه الريح. القارب: طالب الماء ليلاً. أبو وهب: صاحبه. جذيمة : عدوه.

معي صاحبٌ داجنٌ بالغزا * ة لم يك في القوم وَغْلاً ضعيفا

ترى عدْوَه صُبحَ إقوائه * إذا رَفعَ المأبضان الحشيفا

كعدْو أقبَّ رَبَاع ترى * بفائله ونَسَاهُ نُسوفا[1]

بما إن الصعاليك تميزّوا بسرعة العدْو على غيرهم ، شبهوا أنفسهم بكل حيوان سريع مثل: حُمر الوحش ، والظبي ، والظليم ، والنعامة ، والأرنب ، والوعل ، وأكثروا من ذلك في شعرهم.

8- الغزوات على الخيل:

لم يتميز كلّ الصعاليك بقدراتهم علِى العدْو ، وكان بعضهم يستخدم الخيل في غزواتهم إذا وجدت ، وعُرفت خيل بعض الصعاليك بأسماء ، مثل : قرْمل فرس عروة ابن الورد، والنَّحَّام فرس السليك ، واليحموم فرس الشنفرى .

فينظر هؤلاء الصعاليك إلى هذه الخيول أن لها فضلٌ لا ينسى مادام هي منقذة لهم من كثير من المهالك ، وهذا عروة بن الورد – وهو أكثر الشعراء حديثاً عن الخيل – يرى أن جواده (قرمل) أخرجه من مأزق حرج لاينسى فضله:

كليلة شيباء التي لستُ ناسياً * وليلتنا إذ مَنّ ما مَن قَرْمل

وأيضاً يصرَّح السليك بحاجته إلى فرس رغم سرعة عدوه ، إذا أغاروا أصحابه الفرسانَ على أهدافهم:

وما يدريك ما فَقري إليه * إذا ما الركب في نهب أغاروا

---

[1] - السكري: (مرجع سابق) ص 48.
داجن: معاود مرة بعد مرة ، أو متعود للغزو. الإقواء: النزول في القفر . المأبضان: باطن الركبة وباطن المرفق. الحشيف: الثوب الخلق .
الرباع: الذي ألقي رباعيته وهي السن. الفائل والنساء : عرقان .النسوف: آثار العض.

وكذلك الشنفرى الرجل الذي يضرب به المثل في سرعة العدْو ، يتحدث عن فرسه ويصفه بصفات التصعلك ، فهو جواد هذيل جنى عليه الفقر ، ولكنّه جريئ مقدام ، وهو جواد عامل كالصعلوك العامل:

ولا عيبَ في اليحْموم غير هِزاله * على أنه يوم الهيَاج سمين

وكم من عظيم الخَلق عبلٍ موثَّق * حواه ، وفيه بعد ذاك جُنونُ[1]

فإذا ما قُتل الشنفرى ، وفزع صديقه الحميم تأبط شراً لأحزانه فرثاءه ، لم ينس ذلك الجواد الصعلوك فأخصه قائلاً:

وأشقرُ غيداقُ الجِراء كأنه * عُقابٌ تدلَّى بين نيقين كاسر

يجمُّ جُموم البحر طال عُبابه * إذا فاض منه أوّلٌ جاش آخر[2]

وفي شعر الصعاليك الحديث عن الخيل قليلاً جداً ؛ لأنهم يعيشون في حياة قاسية قاهرة.

9- أحاديث التشرد:

إنّ الحياة المتمردة التي تميّز بها هؤلاء الصعاليك ، وكان من اثرها أن فقد المجتمع الجاهلي اطمئنانه إليهم ؛ مما أدى إلى التشرد.

وتحدث الشعراء الصعاليك عن تشردهم في أرجاء الصحراء الموحشة ، ووديانها المخيفة، وافتخروا باهتدائهم فيها دون دليل ، أو قيامهم بمهمة الدليل لجماعة من رفاقهم، فافتخروا بأنفسهم ورفاقهم ، وهذا تأبط شراً يفتخر بأنه لطول تشرده ألفته وحش الصحراء ، حتى لتوشك أن تصافحه لو أن وحشاً تصافح إنساً[3]:

يبيتُ بمغنى الوحش حتى ألفنه * ويُصبح لا يحمِي لها الدهر مرتعا

---

(1) - يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 228.
(2) - يوسف خليف : (نفسه) ص 229.
الغيداق : الطويل . والجراء: الجري ، النيق: أرفع موضع في الجبل .جم الماء : كثر واجتمع.
(3) - يوسف خليف : مرجع سابق، ص 240.

رأين فتي لا صيَد وحش يهمه * فلو صافحتُ إنساً لصافحته معا[1]

ويفتخر في قافيته بكرمه وتشرده ، ويتوعد عاذليه إنْ لم يكفوا عن عذله بترك ديارهم والتشرد في الآفاق البعيدة:

إني زعيمٌ لئن لم تتركوا عَذلي * أن يسأل الحيُّ عني أهل آفاق

أن يسأل القومُ عني أهل معرفة * فلا يخبِّرهم عن ثابت لاق

ويمدح صديقاً له بالتشرد:

قليل التشكي للمهمِّ يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

يظل بمَوْماة ويمسي بغيره * جحيشاً ويعرَوْرى ظهور المهالك[2]

وهو حريص على أن يؤكد هذه الميزة لصاحبه الذي بلغ به تشرده أن أصبحت الوحشة أنسه الأنيس ، والصحراء الغامضة المجهولة كتاباً مفتوحاً يهتدي فيه:

يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

ويفتخر عروة بن الورد بمقدرته على الاهتداء في الفلاة الغامضة المخوفة التي يعُرض سالكها نفسه للمهاليك:

وغبراءَ مخشيٍّ رَداها مَخْوفةٍ * أخوها بأَسباب المنايا مُغرَّرُ

قطعتُ بها شكَ الخِلاج ولم أقل * لخيابة هَيَّابة كيف تأمر[3]

وهذا أبو خراش يفتخر بأنه يهدي رفاقه الصعاليك في مجاهل الصحراء والليالي المظلمة:

وإني لأهدِي القوم في ليلة الدجى * وأرمي إذا ماقيل هل مِنْ فتى يرمي

---

(1) ـ الإصفهاني: (الأغاني) دار الثقافة بيروت،ج 21، ص 164.

(2) ـ جحيشاً : منفرداً. يعروري: يركب.

(3) ـ يوسف خليف:(الشعراء الصعاليك) ، ص141. غبراء: مظلمة ليست بمسفرة الطرق. وشك الخلاج: ما يخالجه ويشككه.

ويتحدث الشعراء الصعاليك عن أماكن تشردهم في قلب الصحراء ، وبعدها عن المناطق المأنوسة ، وهذا تأبط شراً يتحدث عن شِعب من شعاب الصحراء حولها الجبال والصخور ، وبها مياه قديمة ، وطريقها وعرٌ ، ويفتخر بأنه اهتدى إليها دون دليل:

وشعب كشَلِّ الثوب شَكْسٍ طريقه * مَجَامعُ صَوْحيه نطاق محاصر

به من سيول الصيف بيضٌ أقرَّها * جُبارٌ، لصُمٍّ الصخر فيه قراقر

تَبَطَّنْتُهُ بالقوم ، لم يهدني له * دليل ، ولم يثبت لي النعتَ خابرُ

به سَمَلاتٌ من مياه قديمة * مواردها ما إنْ لهن مصادر[1]

ويتحدث الشنفري عن واد بعيد في أعماق الصحراء ملتف الشجر ، وألفته الجن والأسود، حتى بات يخشاه المغامرون الشجعان، ومع ذلك هو مقدِمٌ في جراة وشجاعة على السير فيه في وقت مبكر:

وواد بعيد العَمْق ضَنك جماعه * بواطنُه للجن والأَسْد مَألَفٌ

تعسَّفتُ منه بعد ماسقط الندى * غَماليلَ يخشى غِيلها المتعسف[2]

وخلاصة القول فإنّ الشعراء الصعاليك أكثروا في شعرهم أحاديث التشرد ، ولا سيما الصحراء ووحشها وطيرها وحشراتها ، وما يخيل للساري فيها من أشباح ؛ لأنها هي البيئة المحيطة بالصعاليك ومجتمعهم الأنيس.

---

(1) ـ يوسف خليف:(الشعراء الصعاليك) ، ص 242. الشل : أن يصيب الثوب سواد ولايذهب بغسله . الصوح: حائط الوادي وأسفل الجبل أو وجهه القائم كأنه حائط. الجبار : السيل. السملة: الماء القليل .

(2) ـ الأصفهاني : (الأغاني)، ج 21، ص 190.

المبحث الخامس

الظواهر الفنية لشعر الصعاليك

فإنّ معاني الشاعر الجاهلي بصفة عامة معانٍ واضحة بسيطة ، ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ماحوله في الطبيعة ، فهو لايعرف الغلو ولا المغالاة ولا المبالغة ، ولم يكن يفرض إرداته الفنية على الأحاسيس والأشياء بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلاً أميناً ، ومن أجل ذلك كان شعره وثيقة دقيقة لمن يريد يعرف حياته وبيئته[1].

وبذلك برز الشعر الجاهلي إلى الوجود ، بانفجار شديد الانسجام مع طبيعة العربي، وهو خزانة العرب وديوانهم ، ولا تُعرف أنسابهم وتواريخهم ، وأيامهم ووقائعهم ، إلا من جملة أشعارهم . والشعر الجاهلي له أغراض معينة ، ومصادر معينة ، وخصائص معينة، ووضع معين للشاعر ، وبناء القصيدة ، لاخلاف في ذلك.

ولكن شعر الصعاليك له خصائص فنيّة معيّنة، تميزّه عن الشعر الجاهلي بصفة عامة، ويريد الباحث بيانها في هذا المبحث:

الظواهر الفنية لشعر الصعاليك:

1- شعر الصعاليك شعر مقطوعات:

حين ينظر الباحث في شعر الصعاليك على بنائه الخارجي ، فأول مايلفت نظره فيه أنه شعر مقطوعات، ولا يعني بهذا إنعدام القصيدة الطويلة فيه، وإنما يعني ذيوع المقطوعة أكثر من ذيوع القصيدة الطويلة.

أما القصائد الطويلة عند الصعاليك هي تسع قصائد : تائية الشنفرى ، ولاميه عمرو ذي الكلب الهذلي ، وقافية تأبط شراً المفضلة التي جمعها ناشر ديوانه الشنفرى في رثاء الشنفرى ،

---

[1] ـ شوقي ضيف: (العصر الجاهلي) ص 219.

وكانت أبيات متفرقة[1]، وبائية الأعلم ، وميمية أبي خراش ، ودالية صخر الغي، إذا استثنى الباحث هذه القصائد التسع والمجموعة القليلة من القصائد الطويلة التي قِيلت في أغراض عامة ، والتي أخرجت من دائرة شعر التصعلك ، فيكون الباحث أمام مجموعة كبيرة من المقطوعات التي يتراوح عدد أبيات الواحدة منها بين البيتين والسبعة أبيات.

ويدور بخلد الباحث سؤال: ما سبب انتشار المقطوعات في شعر الصعاليك:

وللإجابة على هذا السؤال هناك فرضان:

1- الفرض الأول:

مجموعة شعر الصعاليك ناقصة لا من حيث عدد قصائدها ومقطوعاتها فحسب ، ولكن من حيث عدد أبياتها ، ويدل على ذلك مايذكره مؤرخو الأدب من ضياع أكثر الشعر الجاهلي، وهذا افتراض مقبول في حالة الصعاليك ، فإن قبائلهم لم تكن تحرص على شعرهم ، وحتى لو حرصت عليه فليست السبل إليه ميسرة لهم.

2-الفرض الثاني:

مجموعة شعر الصعاليك – في مجموعها – مقطوعات شعرية قصيرة ، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحياة نفسها ، تلك الحياة القلقة المشغولة بالكفاح في سبيل العيش ؛ لأن الشعراء الصعاليك كانوا مطاردين من المجتمع الجاهلي برمته ، فهؤلاء لا يكادون يفرغون للفن من حيث هو فن يفرغ صاحبه لتطويله وتجويده وإعادة النظر فيه ، كما كان يفعل الشعراء القبليون ، تلك الطائفة (الأستقراطية) التي فرغت للفن فراغاً هيأته لها قبائلها لا من أجل الفن ولكن من أجل أنفسها.

---

(1) - يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 259.

وهل يُصور مثلاً أن يفرغ الشاعر الصعلوك لفنه كما كان يفرغ زهير لحولياته، أو امرؤ القيس في حياته اللاهية الفارغة المطمئنة ، أو النابغة في حياته المستقرة في بلاد المناذرة والغساسنة؟[1].

الأمر الذي لا شك فيه هو أن حياة الصعاليك كانت حياة قلقة مضطربة ، وأنهم جميعاً كانوا يشعرون شعوراً عميقاً بأنها حياة قصيرة ، وبأنهم دائماً على موعد مع الموت الذي يترصدهم ، حتى كثر ذكر الموت عندهم ، وتردد الحديث عنه في شعرهم، صدى كما كان يجيش في نفوسهم إحساس عميق بقصر حياتهم .

أن مثل هذه الحياة لايكاد الشاعر يفرغ فيها لنفسه ولا تنتج إلا لوناً من الفن السريع الذي يسجل فيه الشاعر ما يضطرب في نفسه من مقطوعات قصيرة موجزة .

أما تلك القصائد الطوال التي تم ذكرها وهي قليلة جداً فهي أصداء لفترات قليلة كانت تمر بحياة الشعراء الصعاليك يستريحون فيها من الكفاح في سبيل العيش ، فيفرغون لأنفسهم يستخرجون من رواسيها العميقة فناً متأنياً مطمئناً مطوّلاً مجوداً رائعاً ممتازاً[2] .

هناك عدد كبير من الصعاليك ليس له غير المقطوعات ، منهم أبو الطمحان القيني، وأطول قصائده في أربعة أبيات[3] ، والسليك بن السلكة ، وتتراوح قصائده ما بين بيتين إلى سبعة إلا قصيدة واحدة[4] ، وكذلك قيس بن الحدادية ، فكل شعره في دائرة الصعلكة، بين الابيات الثلاثة والتسعة[5]، بل أن الغالبية العظمى من شعر تأبط شراً وهو أوفرهم شعراً عبارة عن مقطوعات ، إلا قصيدتين طويلتين ، وخمس أخرى ، بين تسعة أبيات وستة عشر بيتاً[6]. وكل هذا يدل على أن شعر الصعاليك كان مقطوعات صغيرة موجزة، ويقول أحمد أمين في

---

(1) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 261-262.
(2) ـ يوسف خليف: (مرجع سابق) ص 262.
(3) ـ ابو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ، ج13، ص 11.
(4) ـ ابو الفرج الأصفهاني :(مرجع سابق) ج20، ص 389.
(5) ـ الأصفهاني : (نفسه) ج14، ص 144- 149.
(6) ـ الأصفهاني : (نفسه) ج21 ، ص 108- 181.

ذلك :(وربما كان من الظواهر الغريبة أن أكثر شعرهم مقطوعات لاقصائد ، وهو ظل ينسجم مع طريقة خطفهم ، فهم يخطفون في حروبهم ويخطفون في شعرهم)[1].

2- الوحدة الموضوعية:

ومن الملامح الواضحة في شعر الصعاليك ، والتي تميزه عن الشعر الجاهلي، الطابع الخاص بوحدة القصيدة ، فبينما يُوجد الشعر العربي القديم يلتزم ما يسميه النقاد القدامي عمود الشعر ، ويلتزم الطابع التقليدي المتوارث عن الشعراء القدامى ، سواء من حيث المطلع أو المعاني أو الألفاظ أو النواحي البيانية والبلاغية ، بينما يلتزم الشعر القديم هذا الطابع ، ومن بينه اشتمال القصيدة على عدة عناصر في أغلب الأحيان.[2]

وتلك القصائد التي تبدأ عادة بمقدمة طللية، ثم تظل تنتقل من موضوع إلى موضوع، حتى تصل إلى نهايتها، حتى لتصبح براعة الانتقال من المقاييس الفنية المعترف بها عند نقاد الشعر العربي القدماء.

وفي شعر مجموعة الصعاليك ، الوحدة الموضوعية في كل مقطوعاتها وأكثر قصائدها، سواء ما كان منها في وصف المغامرات أو الحديث عن سرعة العدو أو الفرار أو تقرير فكرة اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك من مضوعات شعر الصعاليك.

فلا تُوجد صعوبة في وضع العناوين المختلفة لها، المعبرة عنها، الدالة على موضوعاتها، فمثلاً: بائية الشنفرى (غارة على العوص) ، ورائية تأبط شراً (احتيال) ، وفائية السليك (العاشية المذعورة) وبائية حاجز (نجاة) ، ورائيته (فرار) ورائية أبي الطمحان (حنين) ، وكافية تأبط شراً (الصديق الصعلوك) ، ورائية الشنفرى التي أنشدها قبيل مقتله (نهاية الصعلوك) أو

---

(1) ـ أحمد امين: (الصعلكة والفتوة في الإسلام) ص 4

(2) ـ عبدالحليم حفني : (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه)، ص 392.

(وصية الصعلوك) ، او (وليمة الضبع)[1] والقصائد الطوال للشعراء ، وكل تلك المقطوعات يُوضع لكل مقطوعة عنواناً خاصاً بها ؛ لأن موضوعها واحد بدون أي تفاوت بين عناوينها.

فمثلاً أبو لطيفة العقيلي اللص يقول:

ياربّ ياربّ العشاء والسحر

أقدِر لنا الليلة من خير القدر

قطراً وريحاً قدر ما يعفو الأثر[2]

وتُسمى (دعاء لتأمين غارة السلب) فهو يدعو الله أن يلطف به في ليلة سرقته ، فينزل المطر ويرسل الريح ، بمقدار قليل يمكّنه من السرقة ، ويكفي لإخفاء أثره ، وهذا السليك بن السلكة يقول أن أطلق رجلاً من بني كنانة كان قد أخذه:

سمعتُ بجمعهم فرضخت فيهم * بنعمان بن عُقفان بن عمرِ

فإن تكفر فإنيّ لا أبالي * وأن تشكُر فإنيّ لست أدري[3]

وتُسمي (إطلاق سراح) وهكذا يمكن أن يُفعل لكل أشعار الصعاليك.

فمثلاً رائية عروة بن الورد وهي إحدى قصائده غير القصيرة ، إذ تبلغ سبعة وعشرين بيتاً لا ترتبط بحادث مباشر ، وإنما يتحدث فيها عن اضطراره إلى حياة الصعلكة فيقول:

أقلي عليّ اللوم يا ابنة المنذر * ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

ثم يتابع متصلاً بصلب الموضوع ، وسبب إصراره على الصعلكة فيقول:

ذريني أطوف في البلاد لعلني * أخليك او أغنيك عن سوء محضر[4].

---

(1) ـ يوسف خليف: (مرجع سابق) ، ص 264-266.

(2) ـ عبدالمعين الملوحي: (أشعار اللصوص وأخبارهم) د- ت ، د ـ ط ، دمشق منشورات دار أسامة ، ص21

(3) ـ أبو الفرج الأصفهاني :(الأغاني) ، ج20، ص 397.

(4) ـ أخيلك: يعني أقتل فيخلى سبيلك ، وسوء المحضر: يريد ذل الفقر والمراد أغنيك أو ترتاحي من فقري.

وهو يتحدث عن اضطراره إلى حياة الصعلكة ، وما فيها من أخطار ، وكل مايتصل بالقصيدة من سبب أن زوجه كانت تكثر من لومه على المخاطرة بنفسه ، متمنية أن يستكين[1]، إلى جوارها تاركاً حياة التصعلك ، فيرد عليها بسخرية تنم عن الإصرار على عذمه.

وبناءً على ذلك فإن الشعراء الصعاليك يتميزون بالوحدة الموضوعية الفنية حتى في القصائد الطوال.

وهذا موضع التميز في شعر الصعاليك عن غيره من الشعر العربي بينما يُوجد الطابع الغالب على الشعر العربي تعدد العناصر في القصيدة ، يوجد شعر الصعاليك يختلف عن ذلك بأن الطابع الغالب عليه، عدم تعدد العناصر وذلك لالتزام القصيدة فيه غرضاً واحداً، وبهذا يكون شعر الصعاليك محققاً لوحدة القصيدة على أكمل وجه فني، سواء يُنظر إلى الوحدة ، على أنها وحدة نفسية أو وحدة فنية ، أو وحدة عضوية ، فمن كل هذه الزوايا يوجد شعر الصعاليك يحقق الوحدة في قصائده ومقطوعاته في أكمل صورها ، وفي طابع يتميز به عن غيره من الشعر العربي.[2]

3- التخلص من المقدمات الطللية:

وهذا طبيعي ما دام الشعراء الصعاليك يحرصون على الوحدة الموضوعية في شعرهم، إذ أن المقدمات الطللية تخل بهذه الوحدة الموضوعية.

فإنّ الشعراء الصعاليك لا تبدأ قصائدهم بمقدمة طللية أو مقدمة غزلية ، وإنما اتخذ الشعراء الصعاليك لهم مذهباً آخر استعاضوا به عن هذه المقدمات ، وهو مذهب جعلوا محوره (حواء الخالدة) ولكنها ليست المرأة المحبوبة التي عرفت عند الشعراء القبليين ، تلك التي يتدله الشاعر في حبها ويبكي أيامه معها ، ويقف على أطلال ديارها، ويدعو أصحابه إلى الوقوف، ولكنها المرأة الحريصة على فارسها ، التي تدعوه دائماً إلى المحافظة على حياته ، إن لم يكن

---

(1) ـ عبدالحليم حفني: (مرجع سابق) ، ص 400.
(2) ـ عبدالحليم حفني:(مرجع سابق) ، ص 400- 401.

من أجل نفسه فمن أجلها هي ، وليس من شك في أنها براعة ممتازة أن يضع الشعراء الصعاليك في مستهل قصائدهم صورة للأنثى الضعيفة التي يظهر صاحبها إلى جوارها بطلاً قوياً مستهيناً بحياته من أجل فكرته يرفض نصيحتها في رفق وأدب ، ويقابل جزعها بابتسامة الواثق بنفسه ، المعتد بشخصيته ، ويحاول أن يقنعها في قوة وإيمان بسداد رأيه ، وسلامة مذهبه في الحياة[1]، وفي ذلك يقول أحمد أمين: (وقد تلاحظ أنهم يتجافون عن الحب ، وقل أن نجده في شعرهم ، إنما نجد في شعرهم مخاطبة زوجاتهم بعدم العتب عليهم في سيرتهم ، وربّما كان سبب ذلك أن الحب يُبنى على أساسين، الأول : حياة مترفة بعض الترف، ليست كحياة الصعلكة من بؤس وفقر.

والثاني: أنّ الحب في أول تكوينه يحتاج إلى استقرار، والصّعاليك أبعد الناس عن الاستقرار[2]، والشنفرى يقول في قصيدته البائية التي جُعل عنوانها (غارة على العوص) يستهلها بحديث إلى صاحبته بأن تتركه وشأنه الذي هو ماضٍ إليه ، ولا تثبط عزيمته ، ولتقل بعد مضيه ما تشاء ، فكل مايعرفه هو أنه لن يموت إلا مرة واحده[3]، فيقول:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني * سيُغدى بنعشي مرّةً فأغيب[4]

ويستهل عمرو بن براقة قصيدته الميمية بحديث بينه وبين صاحبته ، وهي تنصحه ألا يعرض نفسه للمخاطر، وأن يجعل ليله سباتاً يستريح فيه ، ولكنه يعجب من هذه النصيحة فكيف ينام الليل من وهب حياته للبطولة والمغامرة فيقول:

تقول سليمى لا تعرض لتلفة * وليلك عن ليل الصعاليك نائم

وكيف ينام الليل من جُلّ ماله * حسام كلون الملح أبيض صارم

غموض إذا عض الكريهة لم يدع * له طعماً طوع اليمين ملازم

---

(1) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 268.
(2) ـ احمد أمين: (الصعلكة والفتوة في الإسلام)، ص 43-44.
(3) ـ يوسف خليف: (مرجع سابق)، ص 269.
(4) ـ أبو الفرج الأصفهاني : (الاغاني)، ج21، ص 153.

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم * قليل إذا نام الخليّ المسالم[1]

ويستنكر كيف ينوم أحد من الصعاليك الذين لاينامون إلا قليلاً من الليل ، ويستنكر كيف تريد منه أن يكون كالخلي المسالم الذي ينام ليله كلّه ، وهكذا قال السليك بن السلكة:

تحذّرني كي أحذر العام خثعماً * وقد علمت أني امرؤ غير مسلم

وما خثعمٌ إلا لئام أذلّة * إلى الذلّ والإسحاق تنمي وتنتمي[2]

وأكثر ما تُرى هذه الظاهرة عند عروة بن الورد ، فكثير من قصائده ومقطوعاته ، تبدأ بحوار بينه وبين صاحبته أو لعلها امرأته كما يقول رواة شعره ، وهي تلومه على كرمه وإسرافه ، وتعاتبه على مخاطرته بحياته ، وتغريه على البغاء إلى جانبها ، تارة بمعسول القول:

تقول سُليمى لو أقمت لسرنا * ولم تدر أنني للمقام أطوّف[3]

وتارة أخرى بحار الدمع الذي ينهل من عينيها الجميلتين، فيقول:

تقولُ ألا أقْصِرْ عن الغزو واشتكى * لها القول طرفٌ أحور العين دامع

وتارة غيرهما بتخويفه الأعداء الذين يتربصون به، فيقول:

أرى أمَّ حسان الغداة تلومني * تخوفني الأعداءُ والنفس أخوف

أما هو فيجيبها في رفق قوي ، أو في قوة رفيقة ، بأنه لا يفعل هذا إلا من أجلها ، ومن أجل من يغشاهما من الأهل ، ومن ينزل بهما من الفقراء يقول لها مرة:

ذريني أطوّف في البلاد لعلني * أخليك أو أغنيك عن سوء محضر

---

(1) ـ الأصفهاني: (مرجع سابق)ج21، ص 153.
(2) ـ أبو الفرج الأصفهاني : (الاغاني)، ج20، ص 399. الأسحاق: الأبعاد.
(3) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 270

وكل ما يطلبه أن تتركه ونفسه ليشتري بها المجد الخالد ، والأحاديث الباقية ، قبل أن تفلت منه الفرصة فإذا هو عاجز عن البيع والشراء ، بيع النفس وشراء الأحاديث والذكر بين الناس فيقول:

ذريني ونفسي أمَّ حسّان إنني * بها قبل أن لا أملك البيع مشترى

أحاديث تبقي والفتى غيرُ خالد * إذا هو أمسى هامة فوق صيّر

تُجاوِبُ أحجارَ الكِنَاسِ وتشتكي * إلى كل معروف تراه ومنكر

وهو لا يجزع من الموت ، وهل لا يملك الإنسان تأخير ساعته إذا دنت؟ إن لكل إنسان ساعة إذا حلت فلا متأَخر عنها ، فيقول :

فإن فاز سهم للمنية لم أكن * جزوعاً ، وهل عن ذاك من متأخَّر[1]

وهل يستطيع الإنسان إذا ابتعد عن المغامرة والمخاطرة ألا يدركه الموت ، وهو في عقر داره؟ فيقول:

لعل الذي خوَّفتِنا من أمامنا * يصادفه في أهله المتخلف

إنها مسألة مفروغ عنها، لا ينبغي لأحد أن يقعد عن هدفه وغايته من المغامرة والمخاطرة في التصعلك فيقول:

ألم تعلمي يا أمّ حسانَ أنّنا * خِليطاً زيالٍ ليس عن ذاك مَقصر

وأنّ المنايا ثغرُ كلِ ثنية * فهل ذاك عما يبتغي القومُ مُحصِر

فإن عروة بن الورد يعد المثل الأعلى لهذه الظاهرة من بين الشعراء الصعاليك – ظاهرة الفروسية– وفي كثير من قصائده ومقطوعاته يُرى هذا اللون الفني ، وربما كان السبب في

---

(1) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي) ص270.

ذلك راجعاً لمركز عروة في حركة الصعلكة الجاهلية زعيماً لها ، ومشرعاً لفلسفتها، وواضعاً لتقاليدها الاجتماعية والفنية[1].

وأحياناً قد تنحرف هذه المقدمات، من الحديث بين الشاعر الصعلوك وصاحبته وهي خائفةٌ عليه من خطر المغارات وبغض الصعاليك عند المجتمع ، إلى الحديث من الشاعر إلى صاحبته ، يحدثها عن شيء سوف يفعله ، أو شيئ فعله في اعتداد وثقة بنفسه، أو في إعجاب وفخر بها :

كأن قد فلا يغرُرك مني تمكثي * سلكت طريقاً بين يربعَ فالسّرد

وإني زعيم أن ألفّ عجاجتي * على ذي كساء من سلامان أو برُد

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي * عشيةَ بين الجُرف والبحر من بعر[2]

وقد تنحرف هذه المقدمة انحرافاً آخر ، فلا تكون من الشاعر الصعلوك إلى صاحبته، وإنما تصبح حديثاً من صاحبته عنه حديثاً ساخراً تتهكم فيه ، فيرد عليها مفتخراً بنفسه ، فيقول:

تقول سُليمى لجاراتها * أرى ثابتاً يفِناً حَوْقلا

لها الويل ماوجدت ثابتاً * ألفّ اليدين ولا زُمّلا

ألا عتبتْ عليّ فصارمتني* وأعجبها ذوو اللمم الطوال

فإني يا ابنة الأقوام أربى * على فعل الوضئ من الرجال[3]

إذا قِيل : أن شعر الصعاليك يخالف الشعر الجاهلي في عصره بخلوه من المقدمات الطللية ، وأن المقدمة الطبيعية في شعر الصعاليك ، هي ذلك الحوار بين الشاعر وصاحبته

---

(1) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 270- 271.
(2) ـ أبو الفرج الأصفهاني: (الأغاني) ، ط بولاق ، ج 12 ، ص 52.
(3) ـ يوسف خليف: (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 272.

حول مغامراته ، لا تلك المقدمة الغزلية التقليدية التي رأوا أنها غير مألوفه في شعرهم، فهذا هو شعر قيل داخل دائرة الصعلكة.

وإذا رأيت بعض الأبيات الشعرية يظهر عليها طابع المقدمات الطللية التي تعرف الشعر التقليدي ، ويظهر عليها الترصيع ، واعتمدت على صورة أسلوب المطالع الجاهلية، الأسلوب الذي يعتمد على ذكر المواضع ، واعتمدت على لون من ألوان الخيال الذي يلم بالركب المسافر ، والبكاء على الأطلال عند الرحيل ، فهذا الشعر قيل خارج دائرة الصعلكة، ولا يُنكر أن شعر الصعاليك الخارج عن دائرتها قد قلد الشعر الجاهلي القبلي في كثير من خصائصه ، ولكن هذا نادر والنادر لا يقاس عليه في اللغة، فقال السليك في لسان العرب:

ألم خيالٌ من أميمة بالركب * وهي عجال عن نُيال وعن نَقبِ

وقال تأبط شراً:

عفا من سُليمى ذو عنان فمنشد * فأجرع مأثول خلا فبد بد[1]

وإذا صحت نسبة هذين المطلعين إلى تأبط شراً والسليك فتُضاف إلى تلك المجموعة التقليدية النادرة في شعر الصعاليك ، فهذا لايغيرّ ، في النظرة بأن من خصائص شعر الصعلكة التخلص من المقدمات الطللية.

4/ عدم الحرص على التصريع:

التصريع: هو اتفاق شطر البيت من القصيدة في الكلمة الأخيرة مع عجز البيت في الكلمة الأخيرة التي هي قافية القصيدة.

وهو من السمات الأساسية في القصائد العربية فيغلب عليها الطابع المعروف بالتصريع.

---

(1) ـ يوسف خليف : مرجع سابق ، ص 273.

أما الشعراء الصعاليك في شعرهم غير ملتزمين بالتصريع، فيُوجد هذا الشعر يغلب عليه كله خلوه من التصريع ، حيث نسبة قليلة منه مصرعة ، أما الكثرة الغالبة فلا تصريع فيها ، ومن القليل الذي ورد مصرعاً قصيدة عبدة بن الطبيب التي أولها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول * أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

وقصيدة عروة بن الورد التي أولها:

أقلي عليّ اللوم يابنة منذر * ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

وقصيدة قيس بن الحدادية التي أولها:

أجدك أن نعم نأت أنت جازع * قد اقتربت لو أن ذلك نافع[1]

وقصيدة الشنفرى التي أولها:

ألا أمّ عمرو أجمت فاستقلت * وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقصيدة تأبط شراً التي أولها:

ياعيد مالك من شوق وإيراق * ومر طيف على الأهوال طراق

وقصيدة مالك بن حريم التي أولها:

جزعت ولم تجزع من الشيب مجزعاً * وقد فات ربعي الشباب فودعا[2]

ومن الكثرة التي وردت غير مصرعة من شعرهم ، ومنها لامية الشنفرى وأولها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فإني إلى قوم سواكم لأميل

وقصيدة تأبط شراً ومطلعها:

---

(1) ـ عبدالحليم حفني ،(شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) ، ص 401- 402.
(2) ـ عبدالحليم حفني :(شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) ، ص 401- 402.

وقالوا لها لا تنكحيه فإنه * لأول نصل أن يلاقى مجمعا

وقصيدة صخر الغي ومطلعها:

لعمر أبي لقد ساقه المنا * إلى جدث يوزى لهُ بالأهاضب

وقصيدة حبيب الأعلم الهذلي ومطلعها:

لما رأيتُ القوم بالعلياء * دون قدى المناصب[1]

وبما أن هذه الظاهرة – عدم التصريع – من حيث البناء الخارجي للقصيدة في شعر الصعاليك ، في مطالع نماذج فنية ، فقد كان يخيل إلى الباحث في أول الأمر أن ظاهرة عدم التصريع ، قد تكون خاصة بمجموعة الشعر داخل دائرة الصعلكة دون سائر شعر الصعاليك، ولكنّ الأمر اختلف أن هذه الظاهرة مطردة في كل شعر الصعاليك.

وكل هذا يرجع إلى الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعهم، وإلى الحرية التي كانوا يعيشون فيها ، والتي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعهم ، تلك الثورة وتلك الحرية ظهرت آثارهما عن طريق العقل الباطن في حياتهم الفنية ، فكان شعرهم ثائراً على الأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي ، حرّاً في أوضاعه الفنية[1]، والقصائد التي جاءت مصرعة في شعر الصعاليك قليلة جداً ومعدودة اما سائر القصائد فقد جاءت بدون تصريع ، مع أن معظمها واضح أنه لا بتر فيه، والمطلع يدل على أنه المطلع الأصلي للقصيدة. [3]

ويدور بخلد الباحث سؤال : ما السبب في وجود التصريع في هذه القصائد القليلة في شعر الصعاليك ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال هناك احتمالان :

---

(1) ـ عبدالحليم حفني: (نفسه) ص 402- 403.
(2) ـ يوسف خليف:(شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 274.
(3) ـ عبدالحليم حنفي: (شعر الصعاليك منهجة وخصائصة) ،ص403.

1- الأول قد جاء هذا التصريع عفواً دون أن يقصد اليه الشعراء الصعاليك قصداً في اللون الفني.

2- الثاني أن تكون هذه القصائد ، وبخاصة التي قالها الشعراء الصعاليك وهم خارج دائرة الصعلكة ، أو أجزاء من قصائد طوال لم تصل إلينا كاملة احتفل لها اصحابها احتفالاً فنياً فصرّعوا في مطالعها[1].

وحين يُوازن بين التصريع في شعر الصعاليك ، وبينه في الشعر المعاصر الجاهلي، يجد شعر الصعاليك يغلب عليه عدمّ التصريع ، هذا لا يعنى أن شعر غيرهم يغلب عليه التصريع، وإنما عدم التصريع كان يميز شعر الصاليك كثيراً إلى الغاية، والمصرع قليل جداً ، أما شعر غيرهم جاء الكثير فيه مصرعاً ، والقليل غير المصرع، وهذا عدم التصريع يميز شعر الصعاليك[2].

5- التحلل من الشخصية القبلية:

ظاهرة التحلل من الشخصية القبلية ، هي ظاهرة ليست غريبة على شعر الصعاليك؛ لأن هؤلاء الصعاليك فقدوا التوافق الاجتماعي بينهم وبين قبائلهم ، مما ترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية في نفوسهم ، ومن الطبيعي ألا تظهر شخصية القبيلة عند شاعر فقد إحساسه بها ، ما دامت الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعياً فمن المنطق بمكان أن تنقطع فنياً والمقصود بذلك الانقطاع الفني أو (العقد الفني) الصلة بين الشاعر وقبيلته فلا يكون الشاعر الصعلوك(لسان عشيرته) لأن ما بينه وبين عشيرته قد انقطع ، ولا يكون شعره (صحيفة قبيلته) لأن الصعلوك قد فقد قبيلته ، وقد أصبح شعره صورة صادقة كل الصدق من حياته هو، يسجل كل ما يدور فيها[3] .

---

(1) - يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 274.
(2) - عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ص 404.
(3) - يوسف خليف (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)، ص 276.

والصعلوك في شعره يصور الحياة الشخصية الخاصة به ، وفي شعره أسلوب معيشته، ومذهبه في الحياة وصلاته بغيره ، بل وأفكاره ومشاعره ، ولذلك يُلاحظ بوضوح يكون دائماً أن شعر الصعلوك مصدر أساس في أخباره وتراجمه، وقد اعتمد المؤلفون على هذا الشعر أكثر من اعتمادهم على الروايات ، وذلك لعدة أسباب: تعثر الرواية في العصر الجاهلي وعزلة الصعاليك وصدور معظم أحداث حياتهم في أماكن عزلهم بالصحراء[1] ، ولأن شعر الصعاليك ضمير الفرد (أنا) أداة التعبير فيه بدلاً من ضمير الجماعة (نحن) الذي هو أداة التعبير في الشعر القبلي الذي كان سائداً آنذاك ، وأصبحت المادة الفنية لشعرهم مشتقة من شخصية الشاعر الصعلوك (هو) لا من شخصية قبيلته[2].

ومعنى أن ظاهرة الاتجاه الفني لشخصية الشاعر القبلي في شخصية قبيلته ، وهذا ظاهر عند أصحاب المذهب القبلي في الشعر الجاهلي ، أما الاتجاه الفني في شعر الصعاليك الوضوح الفني لشخصية الشاعر الصعلوك.

وهذا الشاعر الصعلوك شخصيته يشاركه فيها أفراد جماعته ؛ لأنهم جميعاً يؤمنون بمذهب واحد وعصبية واحدة ، ومن هنا كانت شخصية الشاعر شخصية (جماعية) وليس يُقصد بالجماعة مشابهة الشاعر القبلي في قبيلته ، وإنما يُقصد بذلك التشابه في الشخصيات بين أفراد جماعة الصعاليك ، فإن أساس حركة الصعلكة الاعتداد بالشخصية الفردية ، والاعتزاز بمقدرة الفرد على الوقوف في وجه المجتمع[3].

وبذلك كانت لكل شاعر صعلوك – إلى جانب شخصيته الجماعية– شخصية فردية خاصة يتفرد بها بين جماعته ، فقد كان عروة بن الورد – مع اعتداده بشخصيته الفردية– يعبر عن جماعته ويتكلم بلسانها، والحقيقة أنّ جماعة الصعاليك متشابهة الشخصيات، حتى كأنها شخصية واحدة ، ويقول:

إنّي امرؤ عافي إنائي شركة * وأنت امرؤٌ عافي إناءك واحدُ

---

(1) ـ عبدالحليم حفني: (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه)، ص 371.
(2) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 277.
(3) ـ يوسف خليف:(الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ، ص 277.

أتهزأ منِّي إن سمنت وقد ترى * بجسمي مسَّ الحقِّ والحقُّ جاهد

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد[1]

ويقول:

إذا المرءُ لم يطلب معاشاً لنفسه * شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأذنين كلاًّ وأوشكت * صلات ذوي القربي له أن تنكرا

وما طالتِ الحاجات من كلِّ وجهة * من الناس إلاّ من أحدَّ وشمرا

فسر في بلاد الله والتمسِ الغنى * تعيش ذا يسار أو تموتَ فتعذرا[2]

وكذلك جماعة تأبط شراً التي كانت تدعوه (أمهم) لقيامه على شئونهم ، وتنظيمه زادهم، مما يشعر قوة الجماعة بينهم ، فيقول:

وأمِّ عيال: قد شهدت تقوتهم * إذا أطعمتهم أو تحت وأقلَّت

تخاف علينا الجوع إن هي أكثرت * ونحن جياعٌ أي ألٍّ تألت

عُفاهيةٌ لا يقصر الستر دونها * ولا ترجي للبيت إن تبيِّت

لها وفضةٌ فيها ثلاثون سلجماً * إذا مارأت أولى العدى أقشعرَّت[3]

6- القصصية:

فإنّ شعر الصعاليك صورة صادقة من حياتهم يسجلون فيه كل ما يدور فيها ، فشعر الصعاليك شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك حياته الحافله بالحوادث المثيرة التي

---

(1) ـ ابن السكيت : (ديوان عروة بن الورد) ص 140.

(2) ـ عبد وعون الرضوان: (موسوعة شعراء العصر الجاهلي) د.ط ، 2001م ، دار لأسامة للنشر والتوزيع، عمان، ص 202.

(3) ـ ابو الفج الأصفهاني : (الاغاني) ، ص 193.
أوتحت طعامهم : قللته . وتألت: حلفت ويريد أنها إجاعتنا مجاعة عظيمة . عفاهية: ضخمة. ولايقصر الستر دونها : لاتنكشف لأحد. الوفضة: الجعبة. السلجم: النصل- إقشعرت: إضطربت والمراد إنها متيقظة لكل من يريد إيقاع الأذى بها أو السطو عليها.

تصلح مادة طيبة للفن القصصي ، فحوادث مغامراتهم التي كانوا يقيمون بها وما يدور فيها من صراع دامي مرير ، وأخبار فرارهم ، وتشردهم في الصحراء، وتربصهم فوق المراقب ينتظرون ضحاياهم ، وكل ذلك في أسلوب قصصي أنيق جمع في صور بسيطة عناصر الفن القصصي الأساسية من الإثارة ، والتشويق ، وتسلسل الأحداث[1] .

وإذا نظر الباحث إلي شعر الصعاليك من ناحية الوحدة الموضوعية أن أكثر مقطوعاتهم وقصائدهم تقبل العناوين ، ونظر نظرةً أخرى إلى هذه العناوين في ضوء ظاهرة القصصية، لرأى أنها مجموعة عناوين قصصية.[2]

وهل لامية تأبط شراً التي يقول في مطلعها :

تقول سليمى لجارتها * أرى ثابتاً يفناً حوقلا[3]

وهذه اللامية قصة تبدأ بحوار بين صاحبة الشاعر وجارتها ، ثم تتابع أحداث القصة.

وأيضاً بائية السليك التي مطلعها:

بكى صرد لما رأى الحيَّ * أعرضت مَهامِهُ رَملٍ دونهم وسُهوبُ

وماهي إلا قصة بطلها الشاعر ، ومسرحها تلك المهامة الرملية التي تصل بين دياره وديار أعدائه في الفصل الأول من القصة ، ثم ديار الأعداد في الفصل الثاني ، وزمانها تلك الليلة التي خرج فيها وذلك الصباح بدأ فيه الصراع بينهم ، وتنتهي بانتصاره.

وأيضاً بائية الأعلم الهذلي التي مطلعها:

لما رأيت القوم بالعليا * ء دون قدى المناصب

---

(1) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 278.
(2) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 279.
(3) ـ ابن قتيبة : (الشعر والشعراء) ص 176.

هي قصة تبدأ مباشرة بمنظر الشاعر الصعلوك مع صاحبه له وهما يفران من أعدائهما الذين يطاردونهما مطاردة عنيفة تستمر حتى ينتصف النهار حين يصل الصعلوكان إلى منطقة الأمان.

وخلاصة القول إن شعر الصعاليك يتحدث عن قصص من الواقع مرَّ بها الصعاليك في حياتهم ، ويمكن أن يُطلق عليها (أقاصيص صعلكة) أو(مغامرات الصعاليك) أو (غزوات الصعاليك).[1]

7- الواقعية:

قد اتخذ الشعراء الصعاليك الحياة بما فيها من خير وشر مادة لشعرهم ، وتركوا الإمعان في الخيال ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام ، وصور الشعراء الصعاليك في فنهم البيئة البدوية التي يعيشون فيها بكل مظاهرها: الصحراء القاسية بشعابها وجبالها ، وأغوارها ، ومياهها ، وحرها وبردها ، ولياليها المظلمة الرهيبة ، وحيوانها الشارد في الآفاق، وصوروا مظاهر الطبيعية المختلفة كما شاهدوها : طلوع الفجر، وغروب الشمس ، والندى المتساقط ، والرعد ، والسحاب ، والمطر ، وصوروا الحياة الواقعية التي يحيونها بكل ما فيها من واقع خيّر وواقع شرير: الكرم والمروءة، والسلب ، والنهب ، وسفك الدماء، وبكل ما فيها من المحاسن والعيوب : الشجاعة والبطولة، والقوة، والمغامرة، والهرب والفرار، والفقر والجوع والهزال والهوان، وصوروا الشخصيات الإنسانية[2]

وشعر الصعاليك كله تصوير للواقع الذي يعيشون فيه ، وإحساسهم به، وهو كالمذكرات الشخصية، التي دون كل منهم خواطره الواقعية، في نطاق حياته ومعيشته، وصلاته وصراعه مع ما حوله ومَنْ حوله، فالتصوير واقعي والموضوع واقعي ، وهذا أبو خراش يصور صراعه مع أعدائه ، واستفادته بموهبة العدو فيقول:

فإن تزعمي أني جبنت فإنني * أفرر وأرمي مرة كل ذلك

---

(1) - يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 280.
(2) - يوسف خليف:(الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 282.

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً * وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك[1]

وهذا التصوير واقعي لا مبالغة فيه ولا خيال ، فهو أحياناً يفر من أعدائه ، ولكنّه فرار المقاتل لا فرار الجبان المذعور ، ويعتمد على الحكمة ، فحين يجد نفسه قادراً متمكناً ، يقاتل حتى يحطم القوة التي يقاتلها ، وحين يجد أن الموقف ليس لصالحه ، لا يعطل موهبة وهبها له الله وهي سرعة العدْو.

والأحمير السعدي يصور لنا نفسيته تصويراً واقعياً صادقاً ، فمع أنه حيئذ تاب عن الصعلكة ، إلا أنه صور مشاعره بصدق ، بأنه إذا رأى القوافل التجارية تبعث في نفسه حنيناً إلى الصعلكة ورفاقه[2]:

أشكو إلى الله صبري عن زواملهم * وما أُلاقي إذا مروا من الحزن

قل للُّصوص بني اللَّخناء يحتسبوا * بزَّ العراق وينسوا طُرْفة اليمن

فرب ثوب كريم كنت آخذه * من القطار بلا نقد ولا ثمن[3]

وهذا السليك بن السكلة يصف حرمانه وبؤسه في أشد أيام الناس خصباً ، يبلغ به الجوع حد الهزال والضعف ، حتى إذا وقف اعتراه دوار فأظلمت عيناه فيقول :

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني * إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

وهكذا يُجد شعرهم دائماً في محيط الواقع من حيث الأغراض ، يخلق موضوعات خيالية ولا موضوعات عامة لا تعني أشخاصهم ، بل دائماً شعرهم يعبر عن شخصهم وما يرتبط به، وعن حياتهم وإحساسهم بها.[4]

---

(1) ـ عبدالحليم حفني : (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) 379.
(2) ـ عبدالحليم حفني : (مرجع سابق) ص 380.
(3) ـ أبو بكر الغالي : (الأمالي و النوادر) ج1 ، ص 49.
الزوامل : الإبل المحملة بالبضائع ، والقطار : الإبل المقطورة.
(4) ـ عبدالحليم : (مرجع سابق) ص 380.

وتظهر الواقعية عندهم في صدق النقل عن الحياة ، ومطابقة الصورة للأصل ، حيث لا اختلاف في شعرهم بين الصورة الشعرية وأصلها في الحياة، حتى يُخيل للدارس كأنه أمام مجموعة من الصور (الفوتوغرافية) سجلتها (عدسات) الصعاليك [1]، فمثلاً صورة المرقبة عند الشنفرى:

ومرقبةٍ عنقاء يقصر دونها * أخو الضِّروة الرِّجل الخفيُّ المخفف

نميت إلى أعلى ذراها وقد دنا * من الليل ملتفُّ الحديقة أسدف

فبتُّ على حدّ الذراعين محدباً * كما يتطوَّى الأرقم المتعطّف[2]

وهذه صورة فوتوغرافية تجسد المرقبة، وصورة الصعلوك ، وصورة البيئة ، وصورة الزمان والليل ، والناظر إلى هذه الأبيات كأنه ينظر إلى صورة فوتوغرافية سجلتها (عدسات) الصعلوك لهذا الجانب من الطبيعة الصامتة.

وتظهر الواقعية عندهم في استكمال الصورة العامة ، صورة واقعية كاملة استكملت كلّ عناصرها، صورة طبيعية منقولة من الواقع نقلاً دقيقاً كاملاً مثلاً : صور حمار الوحش وأتنه عند أبي خراش فحمار الوحش اقبّ خميص البطن ، عنيف نشط، وأتنه التي استبان حملها، وما يدور بينه وبينها، فهي تتأبى عليه ، والمكان فوق مرتفع من الأرض يشرف منه حمار الوحش على الآفاق خائفاً يترقب ، والزمان يوم شديد الحر من أيام الصيف الطويلة ، وعند غروب الشمس ، ترك مرقبته، وأسرع بأتنه أمامه[3] ، مثيرة خلفها حبلاً طويلاً من الغبار الممتد فيسرع خلفها وسط هذا الغبار ، ولكنّ الأتن تحس صياداً فقيراً يتربص بها، فترهف السمع، حتى تأكدت من هذا الخطر أسرعت في وقوة وشدة ، ويتعرض طريقها ماءٌ آجنٌ يكسوه نبات طويل، فتلقى نفسها ، وتنطلق سابحة ، ولكن حمار الوحش أقرب إلى الصياد ، فيرسل سهمه ، فيخترق فؤاده سهم ضخم، فيقول أبو خراش:

---

(1) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك) ص 283.

(2) ـ الأصفهاني : (الأغاني) ج21 ، دار الثقافة بيروت ، ص 213.

(3) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 284.

أرى الدهر لا يُبقى على حدَثانه * أقبّ تباريه جدائدُ حولُ

أَبنّ عِقَاقاً ثم يرمحن ظَلْمه * إباءً وفيه صَوْلة وذميلُ

يظل على البرْز اليفاع كأنه * من الغار والخوف المحِمِّ وبيل

وظل لها يوم كأن أواره * ذكا النار من فَيْح الفُروع طويلُ

فلما رأين الشمس صارت كأنها * فويق البضيع في الشعاع خميلُ[1]

فهيّجها وانشام نفعاً كأنه * إذا لفها ثم استمر سحيل

وتظهر واقعية الصعاليك في الاهتمام بالتفاصيل والعناية بالجزئيات عناية قوية ، وتظهر التفاصيل في اهتمامهم (بظاهرة اللون) في شعرهم ، فاهتموا بلون القوس ، وكل الأسلحة تقريباً ، فالسيف أبيض (حسام كلون الملح أبيض صارم) والقدح أُحمر (أركبها في كل أحمر غاثر) والسهم والنصل أزرقان(بأزرق لانكس ولا معتوج) والرمح والترس أسمران (سمر القنا) والقوس إما صفراء وإما حمراء.وإضافة إلى ذلك اهتموا بألوان الظباء ، والإبل والحصان ، والدم الحالك عند أبي خراش.

ولابطلا إذا الكماة تزينوا * لدى غمرات الموت بالحالك العدم

والعصابة الحمر الجلود عند حاجز:

ويوم شروم قد تركنا عصابة * لدى جانب الطرفاء حمرا جلودها[2]

---

(1) – السكري: (ديوان الهذلين) ج2، ص 117–119.

أقب: حمار ضامر البطن .جدائد : جمع جدود وهي التي لا لبن لها . وحول: جمع حائل وهي التي لم تحمل من عامها. العقاق: الحمل. الذميل : سير لين مع السرعة . البرز: مايبرز للشمس . اليفاع : المرتفع من الأرض . الخوف المحِمّ: الخوف الذي يأخذه معه هم وحديث النفس. الوبيل: العصا الغليظة الشديدة ، ويريد ضمر الخوف كالعصا . ذكا النار: اشتعالها. من فيح الفروع : أي يفور ويهتاج من مجراه كمثل فرغ الدلو. البضيع: الجزيرة في البحر . الخميل : القطيفة لها أهداب يقول : صارت الشمس حين دنت للغروب فويق جزر البحر كأنها قطيعة لها أهداب يشبه بها أشعتها .

السحيل: خليط لم يبرم يشبه به الغبار ، أي أن الحمار دخل في غبار كأنه هذا النسيج قبل أن ينسج.

(2) – يوسف خليف:(مرجع سابق) ص 285.

والوجوه المشرقة كلون الماء المذهب عند الشنفرى:

سراحين فتيان كأن وجوههم * مصابيح أو لون من الماء مذهب[1]

وتظهر واقعية الصعاليك في الصراحة في التصوير، وتسجيل الواقع دون تغير حقيقته ، كما هي ظاهرة في حديثهم عن فرارهم وهروبهم ، وعن فقرهم وجوعهم وهزالهم ، وهوان وضعهم الاجتماعي ، ويقول أبو خراش عن الجوع واصفاً موقفه منه، وإنما يعبر بصراحة :

وإني لأثوى الجوع حتى يملني * فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي[2]

وتظهر الواقعية في الدقة في التعبير ، تلك الدقة التي تحدد العبارة تحديداً واضحاً لا غموض فيه ، وهذا تأبط شراً يعتذر عن فراره من أعدائه تاركاً صاحبه لهم ، فقد وضع المسألة وضعاً (حسابياً) ونظر إلى الأعداء أكثر من ثلاثة ، ولو أنهم كانوا ثلاثة أو أقل ما فر وترك صاحبه لهم[3]:

تقول تركت صاحبي بمضيعة * وجئت إلينا فارقاً متباطنا

إذا ماتركت صاحبي لثلاثة * أو اثنين فلا بت آمنا

وما كنت أبّاءً على الخِلّ إذ دعا * ولا المرء يدعوني مُمِراً مُداهنا[4]

وحين يتحدث الشنفرى عن غارته على حي العوص مع أصحابه يحدد عددهم حسابياً، فيذكر أنهم ثمانية ، ويحدد الزمن ، ويحدد عدد مَنْ صرعوهم من أعداهم:

خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا * ثمانية مابعده متعتَّب

ثم يقول:

---

(1) – الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة بيروت ، ج21، ص 161.

(2) – عبدالحليم حفني : (شعر الصعاليك منهجه وخصائصة) ص 385.

(3) – يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 287.

(4) – الأصفهاني : (الأغاني) دار الثقافة بيروت ، ج21، ص 153.

ثلاثاً على الأقدام حتى سما بنا * على العوص شعشاع من القوم محرب

ثم يقول:

وقد خر منهم راجلان وفارسٌ * كميٌّ صرعناه وخَوْمٌ مسلَّبُ[1]

وحين يتحدث عن صديقه تأبط شراً (أمّ العيال) كما يسميه يصف جعبة سهامه ، ويحدد عدد هذه السهام بإحصائية دقيقة:

لها وفضة فيها ثلاثون سلجماً * إذا مارأت أولى العدي اقشعرت[2]

وإضافة إلى الدقة في الحساب أيضاً الدقة في ذكر المواضع وتحديدها ، وهذا الأعلم الهذلي يحدد مكان وجوده:

فلست لحاصن إنْ لم تَرَوْني * ببطن صريحة ذات النجال

وأمي قينة إن لم تروني * بعروش وسط عَرْعَرها الطوال

وتظهر الدقة في التعبير عند تأبط شراً حين يصف الحية يذكر خروجها يكون (بعيد غروب الشمس) :

أصم قُطاري يكون خروجه * بُعيد غروب الشمس مختلف الرَّمس

والدقة تظهر في تصغير ظرف الزمان ، وهو تصغير يحدد الوقت تحديداً دقيقاً[3].

وحين يصف غلاماً قابله في بعض مغامراته، ويسقط تأبط شراً صريع سهم من سهامه، وفي وصفه يحدد طوله وسنه تحديداً دقيقاً ، فهو غلام يزيد طوله على خمسة أشبار، ولكنّه لم يبلغ السن التي تشتهيه فيها النساء:

---

(1) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 183—184-287

(2) ـ الاصفهاني : (الأغاني) ج21 ، دار الثقافة بيروت، ص 211.

(3) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ص 288.

غلامٌ نما فوق الخُماسيِّ قدره * ودونَ الذي قد ترتجيه النواكح[1]

وتظهر واقعية الصعاليك في ظهور الخبرة العلمية في فنهم؛ وبذلك يعيشون في الواقع العملي لا يعيشون في الخيال والأوهام ، وحتى اعتمد عليهم الدارسون في دراسة الحيوان، وهم مصدر من مصادر دراسة الصحراء ، وهذا تأبط شراً يصف الحية وقت خروجها يكون (بعيد غروب الشمس) وهو تحديد دقيق لوقت خروج الأفاعي من جحورها. تؤيده الخبرة العلمية، وقد قِيل له يوماً (هذه الرجال غلبتها ، فكيف لا تنهشك الحياتُ في سراك؟ فقال: إني لا أسري البرْدين ، يعني أول الليل لأنها تمور خارجة من جحرتها، وآخر الليل تمور مقبلة إليها) وهذا يدل على التجربة العلمية[2].

ولعل أكثر الأمثلة التي تدل على الخبرة العملية ، ذكرهم الموازنات في شعرهم بينهم وبين مجموعة حيوان الصحراء المشهورة بشدة العدْو ، وعندما يختار هؤلاء الشعراء العداءون هذه المجموعة دليل على خبرتهم العملية بها ، وذكرهم هذه الحيوانات وطباعها وخصالها دليل على الخبرة العملية ، وكل مايذكرونه كان صدى صادقاً لمشاهدتهم في حياتهم الواقعية.

8- السرعة الفنية:

حياة الصعاليك حياة قلقة مضطربة لا تعرف الاستقرار والطمأنينة ، فهم دائماً مشغولون بكفاحهم من أجل العيش ، ذلك الكفاح الدامي المرير الذي فرقوا له فراغاً تاماً، وجعلوه مذهباً يموتون في سبيله، وشعر الصعاليك صورة صادقة لحياتهم ؛ لذا لابد لشعرهم أن يتسم بالسرعة الفنية[3] ، وماهي إلا صدًى لسرعة عدْوهم ، وسرعة حياتهم، وعن هذا يقول أحمد أمين: (كما نلاحظ في شعرهم التُدفق والسرعة ، إذا كانوا مشهورين باسم العدائين ، فكأنهم يعدون بأرجلهم ويعدْون بشعرهم)[4].

---

(1) ـ الأصفهاني : (الأغاني) بولاق ، ج18، ص 216.
(2) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 290
(3) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك) ص 291.
(4) ـ أحمد أمين: (الصعلكة والفتوة في الاسلام) ص 44.

وليس من البعيد أن تكون هذه السرعة الفنية التي وسمتْ شعرهم صدًى نفسيّاً لتلك السرعة التي اعتمدت عليها حياتهم ، منبعثاً من أعماق (اللاشعور)[1] وبهذا السرعة الفنية اعتمد الشعراء الصعاليك في شعورهم على أسرع البحور الشعرية ، وهو بحر الرجز، وهذا (الشنفرى) يرتجز وهو يقاتل حين قطع الأعداء يده، رثاها بالرجز:

ولا تبعدي إمَّا ذهبتِ شامة * فرُبَّ وادٍ نفرتِ حمامهْ

ورُبَّ قِرْنٍ فصلتِ عِظامهْ[2]

ومن مظاهر هذه السرعة الفنية انتشار المقطوعات والقصائد القصيرة في شعرهم ، وتخلصهم من المقدمات الطللية ، وتخلصهم من التصريع وهي مظاهر للشكل العام أو البناء الخارجي للعمل الفني[3].

أمَّا داخل البناء الفني في شعرهم ، لم يكن هنا أثر من التجويد الفني المتمهل الواضح، إنما هو حديث يتدفق من نفس الشاعر دون أن يحرص على أن يتمهل فيه لينسقه أو يوشيه بتلك الألوان الفنية المختلفة التي يحرص عليها الشعراء المحترفون[4].

وحياة الصعاليك لم تكن تتيح لهم نوعاً من الفراغ والإطمئنان مايجعلهم يتمهلون في عملهم الفني ، وهذا السليك بن السلكة قد مضى للغارة مع صعلوكين التقى بهما في طريقه، ثم مضى وحده ليستكشف لهما خبر نار لاحت لهم ، فلم يجد عندها سوى عبيد وإماء يسهل التغلب عليهم ، رفع عقيرته يقول متغنياً ليعلم صاحبيه أن الفرصة سانحة:

ياصاحبيَّ ألا لاحيَّ بالوادي * إلا عبيدٌ وآمٌ بين أذواد

أتنظران قليلاً ريثَ غفلتهم * أم تعْدوان فإن الريح للعادي[5]

---

(1) ـ أحمد أمين: (الصعلكة والفتوة في الاسلام) ص 292.
(2) ـ الأصفهاني:(الأغاني) دار الثقافة بيروت،ج21،ص 204.
(3) ـ يوسف خليف : (مرجع سابق) ص 292.
(4) ـ يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك) ص 292.
(5) ـ ابن قتيبة : (الشعر والشعراء) ليدن 1902م ، ص 215.

وفي هذه الأبيات لم يكن الهدف تجويد الفن وإنما يريد الشاعر أن يبلغ صاحبيه هذه الرسالة.

ومثل السليك كان أكثر الشعراء الصعاليك ، لم تُتحْ لهم حياة الكفاح فراغاً لفنهم يجودونه وينمقونه ويخرجونه إخراجاً متأنياً متمهلاً.

ومن هنا يسأل الباحث: هل الشعر عند الصعاليك حرفة تُقصد لذاتها؟

بما أن الشعراء الصعاليك ممبوذون في المجتمع وهم دائماً في حالة كفاح حتى في حفظ أوراحهم، من الطبيعي أن تكون ليس بينهم وبين المجتمع صلة إلا صلة الصراع ، وهم يدركون أن المجتمع لن يرضى عن فنهم ، كما لم يرضَ عنهم ، ولا يقيم لفنهم وزناً؛ لذلك لم يكن الشعر عندهم حرفة ووسيلة للتكسب ، وإنما كان الشعر عندهم وسيلة يسجلون بها مفاخرهم ، أو ينفسون بها عما تضيق به صدورهم ، أو يدعون بها إلى مذهبهم في الحياة ؛ لذلك لم يهتموا بالبناء الفني المعروف وقتئذ.

والسرعة الفنية ظاهرة متدفقة في شعرهم ، وقد اعتمدوا على التشبيه لأنه يتفق معها، ولكنّ هذا التشبيه قليل الإشراق والتألق، لأنه مستمد من تلك البيئة البدوية القاحلة التي يعيشون فيها، ومتأثر بتلك الحياة الخشنة القاسية التي يحيونها ، ومتسم بتلك الواقعية التي تسيطر على تفكيرهم ومزاجهم[1] ، وهذا تأبط شراً يشبه نفسه في العدْو بالظليم في السرعة:

أرى قدميَّ وقعهما حفيفٌ * كتحليل الظليم حَدَا رئاله[2]

وهذا أبو الطمحان القيني يقول:

حنتني حانيات الدَّهر حتى * كأني خاتلٌ يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من رآني * ولست مقيّداً أنيّ بقيد[3]

---

(1) ـ يوسف: (مرجع سابق)، ص 294.
(2) ـ الأصفهاني: (الأغاني) ، دار الثقافة بيروت ، ج21، ص 162.
(3) ـ الأصفهاني: (الأغاني) ، بولاق ، ج21،ص 9.

فالتشبيه يناسب السرعة الفنية لشعرهم ، والتشبيه عندهم أكثر من أن يُحصى ، وهو فيه كل المظاهر المتعددة من الحياة الواقعية ، فشبهوا بالحيوان ، والبيئة ، والإنسان.

الفصل الخامس: الخاتمة والنتائج والتوصيات.

الخاتمة

يمكن للباحث أن يقول بشكل عام الصعاليك ، هم جماعة من الفقراء اللصوص انتشروا في شبه الجزيرة العربية ، وخرجوا عن طاعة رؤساء قبائلهم ، وقطعوا كل أمل بالعدالة الاجتماعية ، وقطعوا كل صلة مع أهلهم وقبائلهم ، وءآمنوا أنهم ظلوا في بلاد تسودها القسوة والظلم ، فحقدوا على القبيلة وأفرادها ، وعلى أصحاب الثروة والمال ، فملأوا الصحاري رعباً وهولاً ، ورفعوا علم الصعلكة عالياً.

أما شعرهم فقد توزع بين مصادر الثقافة الأدبية المختلفة ، ويلاحظ الباحث أن شعرهم تحيط به ثلاثة أشياء : قلته ، وكثرة الاضطراب في روايته ، ثم الشك يحيط ببعض نصوصه. وكان شعرهم يدور في حياتهم الفردية ، فتحدثوا عن مغامراتهم ، وعن تربصهم فوق المراقب في انتظار ضحاياهم، وعن توعدهم أعداءهم وتهديدهم لهم، وعن أسلحتهم ، وتحدثوا عن رفاقهم الذين رافقوهم في هذه المغامرات ، وتحدثوا عن فرارهم وهروبهم ، وعن سرعة عدْوهم ، وعن غزواتهم على الخيل ، وعللوا لمغامراتهم، وفسروا الدوافع التي دفعتهم إليها ، وذكروا العقد النفسية التي كانت سبباً لها، كما تحدثوا عن أرائهم الاجتماعية والاقتصادية ، وعن تشردهم في أرجاء الصحراء المقفرة ، واتصالهم بحيوان الصحراء ووحشها وأشباحها.

النتائج

من خلال تلك السياحة في شعر الصعاليك خلص البحث للنتائج التالية:

1 -الصعلكة انعكاس طبيعي لسلوك المجتمع تجاه الفقراء.

2 -البيئة الجاهلية شكلت الصعاليك من خلال وهن مكانتهم في المجتمع.

3 -الصعلوك هو المنبوذ من قبيلة ما للونه أو لسوء سلوكه.

4 -معرفة ما يعانيه الصعلوك من الفقر وشظف العيش .

5 -البيئة الجاهلية كانت مرتعاً طبيعياً ليترعرع فيها الصعاليك .

6 -الصعلوك صاحب قيم انسانية وأخلاقية رغم ما يحاصره من فقر.

7 -صور الصعاليك من خلال أشعارهم مثلاً وأخلاقاً وقيماً راقية بالمعايير الاجتماعية في زمانهم .

8 -إن شعر الصعاليك شعر مقطوعات، وهذا يرجع إلى طبيعة حياة الصعاليك نفسها ، تلك الحياة القلقة التي لا تكاد تفرغ للفن من حيث هو فن يفرغ صاحبه لتطويره. وظاهرة أخرى وهي ظاهرة الوحدة الموضوعية ، ثم ظاهرة التخلص من المقدمات الطلية التي عرفها الشعر القبلي ، ثم ظاهرة التخلص من التصريع في مطالع نماذجه الفنية ، ثم ظاهرة القصصية.

9 -استغل الصعاليك في شعرهم كل ما يدور في حياتهم الحافلة بالحوادث المثيرة استغلالاً قصصيّاً رائعاً ، ومن ذلك أُطلق على الشعراء الصعاليك :(رواد القصة الشعرية في الأدب العربي) ثم ظاهرة الواقعية في شعرهم ، ويُلاحظ أن شعر الصعاليك يمتاز بالسرعة الفنية ، وأن ميزته الكبرى خفوت الصنعة الفنية .

10 -ويُلاحظ أن التشبيه أقوى الألوان الفنية التي اعتمد عليها الشعراء الصعاليك.

11 -معنى الصعلكة يدور في دائرتين : الدائرة اللغوية ، والدائرة الاجتماعية ، وتبدأ الدائرتان من نقطة واحدة هي الفقر ، فأما الدائرة اللغوية فتنتهي حيث بدأت عند الفقر، يبدأ الصعلوك فيها فقيراً ، ثم يظل في نطاقها فقيراً ؛ لأنه لا يستطيع أن

يغير الوضع الاجتماعي الذي فُرض عليه لضعف في نفسه ، أو لضعف في جسده ، ثم يموت فقيراً، أما الدائرة الاجتماعية، يبدأ الصعلوك فيها فقيراً ، ثم يحاول أن يتغلب على هذا الفقر ولكن بطريقة (الغزو والإغارة للسلب والنهب) تدفعه إلى ذلك قوة في نفسه ، وقوة في جسده.

التوصيات:

بناء على النتائج يوصي الباحث بالأتي:

1 -دراسة الأدب الجاهلي بصورة معاصرة .

2 -التفريق بين المعنى المعاصر للصعلكة ، والمعنى الحقيقي الذي عُرفت به في الجاهلية.

3 -الصعلكة بإعتبارها ثورة على الواقع وتطلع نحو المستقبل.

4 -الجوانب اللغوية والجمالية في شعر الصعاليك .

الفهارس العامة

فهرست الأشعار

الرقم	البيت	القائل	الصفحة
	حرف الألف		
1	إذا سقط السماء بأرض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا	معاوية ابن مالك	52
2	لما الله أدنانا إلى اللوم زلفة * والأمنا خالا وأعجزنا أبا	عمرو بن كلثوم	56
3	لسنا كمن جعلت أياد دارها * تكريت تنظر حبها أن يحصدا	الأعشى	52
4	فسر في بلاد الله والتمس الغنى* تعش ذا يسار أو تموت فتُعذرا	عروة بن الورد	98
5	إذا المرءُ لم يطلب معاشاً لنفسه*شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا	عروة بن الورد	213،140
6	ونحن بنو ماء السماء فلا نرى* لأنفسنا من دون مملكة قصراً	عمرو بن كلثوم	81
7	قالا تزرني حتفتي أو تلافني * أُمش بدهر أو عذافه فنوّرا	الشنفرى	174،121
8	يبيتُ بمغنى الوحش حتى ألفته*ويُصبح لا يحمِي لها الدهر مرتعا	تأبط شراً	194
9	جزعت ولم تجزع من الشيب مجزعاً*وقد فات ربعي الشباب فودعا	مالك بن حريم	208
10	قليل خِرار النوم أكبر همّه * دم الثأر أو يلقى كميّا مسقّعاً	تأبط شراً	28
11	تقول سُليمى لجاراتها * أرى ثابتاً يفِناً حَرْقلا	تأبط شراً	213،206
12	وكنتُ إذا ما هممت اعتزمتُ * وأخر إذا قلت أن أفعلا	تأبط شراً	130

13	قليل احذار الزاد إلاّ تعلة * فقد نشز الشرسوف والتصق المعا	تأبط شراً	137
14	وقالوا لها لا تنكحيه فإنه * لأول نصل أن يلاقي مجمعا	تأبط شراً	209.129
15	معي صاحبٌ صاحبتُ بالغزا * ة لم يك في القوم وَغْلاً ضعيفا	صخر الغي	193
16	سمعت بفعل الفاعلين فلم أجد * كمثل أبي قابوس حزماً نائلا	وحجر بن خالد	47
17	وبيض على النيران في كل شتوةٍ*سراة العشاء يزجرون المسايلا	لبيد	33
18	وما العجز إلا أن تشاور عاجزًا* وما الحزم إلا أن تهم فتفعلا	لم يعلم قائله	86
19	لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال بُرهانا	قريط	78
20	ولها سمعتُ العوص تدعو تنفّرتْ* عصافير رأسي من ثَنواةٍ فراتنا	تأبط شراً	153
21	تقول تركت صاحبي بمضيعة * وجئت إلينا فارقاً متباطنا	تأبط شراً	218
22	إنا بني نهشل لاندعى لأب * عنه ولا هو بالأبناء يشرينا	عمرو بن كلثوم	81
23	ألا لا يجهلن أحد علينا ** فنجهل فوق جهل الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	21
24	حدينا الناس كلهم جميعاً ** مقارعة بنيهم عن بنينا	عمرو بن كلثوم	80
25	ولم أنتظر أن يدهموني كأنهم * ورائي نحلٌ في الخلية واكنا	تأبط شراً	189
26	الشيء يبدؤه في الأصل أصغره*وليس يصلي بكل الحرب جانبها	لم يعلم قائله	29
27	ويوم شروه قد تركنا عصابة * لدى جانب الطرفاء حمرا جلودها	حاجز بن أبي الأزدي	217
28	ومستنبح يخشى القواء ودونه * من الليل بابا ظلمة وستورها	عوف بن الأحوص	32
29	لا يكشف الغماء إلا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها	جعفر بن علبة الحارثي	82
30	تروَّحتُ حُبشياً فأترح إلدتي *كما زُحزحت عند المبارك هيمها	الأعلم الهذلي	146
31	ألا هل أتى فتيان قومي جماعةً* بما لطمت كفُّ الفتاة هجينها	الشنفرى	136.127

32	ألا ليت شعري والتلهف ضلة * بما ضربت كفي الفتاة هجينها	الشنفرى	120
33	ذلك بزّي فلن أفرّطه * أخاف أن ينجزوا الذي وعدوا	صخر الغيّ	177
34	وما يدريك ما فَقري إليه * إذا ما الركب في نهب أغاروا	السليك	193
35	لعمرك مايدري امرؤ كيف يتقي * إذ هو لم يجعل له الله واقيا	أفنون التغلبي	60
36	سقى الله أطلالاً بنعمٍ ترادفت * بهن النّوى حتى حللن المطاليا	قيس بن الحداية	132
37	ذريني ونفسي أمَّ حسان إنني * بها قبل أن لا أملك البيع مشترى	عروة بن الورد	205
	حرف الباء		
38	أقبلت لا يشتد شدي واحدٌ * يلِجٌ أقبُّ مسيرَّ الأقراب	أبو خراش	191
39	إذا ماغزوا بالجيش حلّق فوقهم *عصائب طير تهتدي بعصائب	النابغة الذبياني	43
40	حتى إذا انتصف النها * ر وقلت بوةٌ حَقٌّ ذائب	الأعلم الهذلي	189
41	خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا * ثمانية مابعده متعتّب	الشنفرى	218
42	فغير قتالي في المضيق أخافني * ولكنّ بذلي الشدّ غير الأكاذب	حاجز بن أبي الأزدي	191
43	يغرون صاحبهم بنا * جهداً وأغرِي غيرَ كاذب	الأعلم الهذلي	192
44	يُكذّبني العمران عمرو بن جُندب*وعمرو بن سعد والمُكذّب أكذبُ	السُّليك بن السُّلكة	119
45	وخشيت وقع ضريبة * قد جرّبتْ كلَّ التجارب	الأعلم الهذلي	189
46	ثلاثاًعلى الأقدام حتى سما بنا*على العوص شعشاع من القوم محرب	الشنفرى	219
47	له هامة ما تأكل البيض أُمّها * وأشباح عاديٌّ طويل الرواجب	السليك	148
48	قومي سلامان إذ ماكنت سائلة * وفي قريش كريم الحلف والنّسب	حاجز الأزدي	134
49	لما رأيتُ القوم بالـ * علياء دون قِدَي المناصب	الأعلم الهذلي	209،188
50	لعمر أبي لقد ساقه المنا * إلى جدث يوزى له بالأهاضب	صخر الغي	209

51	وما ولدت أمي من القوم عاجزاً *ولا كان ريشي من ذُنابي ولا لَغبِ	تأبط شراً	147
52	ألم خيال من أميمة بالركب * وهي عجال عن نيال وعن نقب	السليك	207
53	إني وإن كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهود في كل موكب	عامر بن الطفيل	38
54	وقد خر منهم راجلان وفارسٌ * كميٌّ صرعناه وخَوْةٌ مسلَّبُ	الشنفرى	219
55	وذكرت أهلي بالعرا * ء وحاجة الشعث التوالب	الأعلم الهذلي	137
56	حلفت فلم اترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب	لم يعلم قائله	60
57	سراحين فتيانٌ كأن وجوههم * مصابيحُ أو لونٌ من الماء مذهب	الشنفرى	218،185
58	بكى صرد لما رأى الحي * أعرضت مهامه رمل دونهم وسهوب	السليك	213
59	كأنهم صابئ عليهم سحابة * صواعقها لطيرهن دبيب	علقمة بن عبده	43
60	سمع من القوم عريان أشاجعه * خف النواشر منه والظنابيب	أبو خراش	143
61	بصاحب لاتنال الدهر خِرّته * إذا افتلى الصدف القِنَّ المعازيب	أبو خراش	172
62	لست لمرة إن لم أُوفِ مرقبة** يبدو لي الحرفُ منها والمقاضيب	أبو خراش	172،90
63	فشنّ عليهم هِزّة السيف ثابت * وصمم فيهم بالحسام المسيّب	الشنفرى	178
64	أبني زياد أنتم في قومكم * ذنب ونحن فروع أصل طيّب	عمرو بن معديكرب	57
65	يظل في رأسها كأنه زُلَمٌ * من القداح به ضرس وتعقيب	أبو خراش	173
66	دعيني وقولي بعدُ ما شئتِ، إنني* سيغدي بنعشي مرةً فأغيبُ	الشنفرى	203،167
	حرف التاء		
67	لها وفضة فيها ثلاثون سيحفا * إذا آنست أولى العديّ اقشعرّت	الشنفرى	180
68	لها وفضة فيها ثلاثون سلجماً * إذا مارأت أولى العديّ إقشعرّت	الشنفرى	219،180
69	وباضعة حمراء القسيّ بعثتها * ومن يغز يغنم مرةً ويشمّت	الشنفرى	182،148
70	سنجزي سَلامانَ بن مُفرج قرضهم * بما قدّمت أيديهمُ وأزلّتِ	الشنفرى	145

71	وأمّ عيال: قد شهدتُ تقوتهم * إذا أطعمتهم أو تحت وأقلّت	الشنفرى	212،185،142
72	الا أمّ عمرو أجمت فاستقلت * وما ودعت جيرانها إذ تولت	الشنفرى	،208
73	قتلنا قتيلاً مسدياً بملبد * جمار منى وسط الحجيج المصوت	الشنفرى	148،85
74	أجرت مخداً ودفعت عنه * وعند الله صالح ما أتيت	أبو قيس بن الأسلت	60
75	لك المرباع منّاً والصفايا * وحُكمك والنشيطة والفضيلة	لم يعلم قائله	87
	حرف الجيم		
76	وقاربت من كفيّ ثم فرجتها * بنزع إذا ما استكره النزع مخلج	الشنفرى	181
77	ومستبسلٍ خافي القميص ضممته * بأزرق لانِكسٍ ولا متعوّج	الشنفرى	179
	حرف الحاء		
78	حلفت بالله إنّ الله ذو نعم * لمن يشاء وذو عفو وتصفاح	عبيد بن الأبرص	60
79	ومن يك مثلي ذا عيال ومُقتِراً * من المال يطرح نفسه كلّ مطرح	عروة بن بن الورد	98
80	خلاةٌ نما فوق الحُماسيّ قدرة * ودونَ الذي قد ترتجيه النواكح	تأبط شراً	220
81	قالت تماضر إذا رأت مالي * خوى وجفا الأرقاب فالفؤاد قريح	عروة بن بن الورد	141
	حرف الدال		
82	ومنا الذي منع الوائدا ت وأحياء الوئيد فلم تواد	الفرزدق	35
83	يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي ** سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذواد	السُّليك بن السُّلكة	221
84	ياصاحبيّ ألا لاحيّ بالوادي * إلا عبيدٌ وآمٌ بين أذواد	السليك بن السلكة	118
85	لا تشتمني يابن الورد فإنه * تعود على مالي الحقوق العوائد	عروة بن الورد	165
86	وصارم أحلِصَتْ خشيبتهُ * أبيض مصو في متنه رُبَد	صخر الغي	178

87	إني سينهى عني وعيدهم * بيضٌ رهابةٌ ومُجْنَأٌ أُجُدُ	صخر الغي	184
88	إنّي امرؤ عافي إنائي شركة * وأنت امرؤٌ عافي إنائك واحدُ	عروة بن الورد	211،132
89	وإني لأهوى إن ألفّ عجاجتي*على ذي كساء من سلامان أو برد	الشنفرى	121
90	وسمحة من قِسِيِّ زارة صفـ * ـراء متوفـ حِدَادُها عَرِدُ	صخر الغي	182،180
91	وأمشي لدى العصداء أبغي سُراتهم*وأسلك خلاً بين أرفاغ فالسرد	الشنفرى	100
92	كأن قد فلايغرُرْكِ مني تمكّثي* سلكتُ طريقاً بين يربعَ فالسَّرد	الشنفرى	206،174،145
93	وما أنا إلا من عُزية إن غوت *غويتُ وإن ترشد عُزيّة أرشد	دريد بن الصِّمَّة	78،28
94	عفا من سُليمى ذو عنان فمنشد * فأجرع مأثول خلا فبد بد	تأبط شراً	207
95	في المزني الذي حَشَشت به * مال ضريك تلاده نَكِدُ	صخر الغي	147
96	جزى الله خيراً عن عن خليع مطرَّدٍ*رجالاً حموه آل عمرو بن خالد	قيس بن الحدادية	134
97	وما بي من عارٍ إخالُ علمته * سِوى أن أخوالي إذا نُسِبوا نهد	عروة بن الورد	110
98	فإن تطعنوا الشيخ الذي لم تُفَوِّقوا * منيته ، وخبتُ إذا لم أشهَّد	الشنفرى	183
99	ألا قل لأرباب المخائض أسملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد	يزيد بن الصقيل العقيلي	103
100	حنتني حانيات الدَّهر حتى * كأني خاتلٌ يدنو لصيد	أبو الطمحان القيني	222
101	إنّي امرؤ من عُصبة مشهورة * حُشُدٍ لهم مجد أشوّ تليد	معاوية سيد بني كلاب	27
	حرف الراء		
102	ومرقبة شماء أقعيت فوقها * ليغنمَ غار أو ليدرك ثائرُ	الشنفرى	152
103	وباللات والعزى ومن دان دينها * وبالله إن الله منهن أكبر	أوس بن حجر	60
104	إذا راعَ رَوْعَ الموت راع ، وإن حمي * حمي معه اخٌ كريم مصابر	تابط شراً	187

105	وأمانتنا أكرم بهن عجائزاً * ورثن العلا عن كابر بعد كابر	عمرو بن كلثوم	81
106	إذا المرء لم يحتل وقد جدَّ جِده * أضاع وقاسى أمره وهو مدبر	تأبط شراً	150
107	فلا يبعدنّ الشنفرى وسلاحه ال * الحديد وشدٌّ خطوه مواتر	تأبط شراً	176
108	ياربّة يارببّة العشاء والسحر أقدِر لنا الليلة من خير القدر قطراً وريحاً قدر ما يعفو الأثر	أبو لطيفة العقيلي	201
109	وغبراءَ مخشيٍّ رَداها مَخوفة * أخوها بأسباب المنايا مغرّرُ	عروة بن الورد	195
110	تنصرت الأشراف من عار لطمةٍ * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر	جبلة بن الأيهم	42
111	غنينا زمانا بالتصعلك والغنى * فكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر	حاتم الطائي	67
112	لحى الله صعلوكاً إذا جن ليله*مضى في المشاش آلفاً كل مجزر	عروة بن الورد	74
113	فإن فاز سهم للمنية لم أكن * جزوعاً ، وهل عن ذاك من متأخّر	عروة بن الورد	205
114	وأشقر خيداقُ الجراء كأنه * عُقابٌ تدلّى بين نيقين كاسر	تأبط شراً	194
115	فلو نبّأتني الطير أو كنت شاهداً * لآساك في البلوَى أخٌ لك ناصر	تابط شراً	187
116	وشعب كشَلّ الثوب شَكْسٍ طريقة * مَجَامعُ صَوْحيه نطاق محاصر	تأبط شراً	197
117	إني لمن قوم بنى الله مجدهم * على كل باد في الأنام وحاضر	عمرو بن كلثوم	81
118	ذريني أطوف في البلاد لعلني* أخيلك او أغنيك عن سوء محضر	عروة بن الورد	204،201
119	فيوماً على نجد وغارات أهلها * ويوما بأرض ذات شث وعرعر	عروة بن الورد	91
120	ألا هل أتى ذات الخواتم قَرَّتي *عشيةَ بين الجُزْف والبحر من بعر	الأعلم الهذلي	189
121	سيفزع بعد اليأس مَنْ لايخافنا * كواسع في أخرى الشَّوام المنفّر	عروة بن الورد	182
122	نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب فينا ينتقر	طرفة ابن العبد	20
123	ألم تعلمي يا أمّ حسان أننا * خليطاً زيال ليس عن ذاك مقصر	عروة بن الورد	205
124	ولاتقبرونني إنّ قبري محرّم * عليكم ولكن أبشري أمّ عامر	الشنفرى	122،29

125	سمعتُ بجمعهم فرضحت فيهم * بنعمان بن عُقبان بن عمرِ	السليك ابن السلكة	201
126	ولله صعلوك صفيحة وجهه * كضوء شهاب القابس المتنور	عروة بن الورد	75
127	أبى القلب أن يهوي السّدير وأهله* وإن قيل عيش بالسّدير قرير	طرفة بن العبد	46
128	هو عيروني أن أمي غريبة * وهل في كريم ماجدٍ ما يعيرُ	عروة بن الورد	131
129	ذريني للغنى أسعى فأنيّ * رأيتُ الناس شرّهم الفقير	عروة بن الورد	140.98
130	أحاديث تبقى والفتى غير خالد * إذا هو أمسى هامة فوق صَيّر	عروة بنِ الورد	147
	حرف السين		
131	أصم قُطاري يكون خروجه * بُعيد غروب الشمس مختلف الرّمس	تأبط شراً	219
	حرف الضاد		
132	ولم يك مثلوج الفؤاد مهيباً * أضاع الشباب في الربيلة والخفض	أبو خراش	143
	حرف العين		
133	تقولُ ألا اقصِرْ عن الغزو واشتكي*لها القول طرفٌ أحور العين دامع	عروة بن الورد	204
134	أجدك أن نعم نأت أنت جازع * قد اقتربت لو أن ذلك نافع	قيس بن الحدادية	208
135	فراشي فراش الضيف ، والبيت بيته * ولم يلهني عنه غزالٌ مقنّعُ	عروة بن الورد	132
	حرف الفاء		
136	وصفراء من نبع أبي ظهيرة * ترن كإرنان الشجيّ وتهتف	الشنفرى	181
137	وماءلتها حتى تصعلكتُ حقبة * وكدت لأسباب المنية أعرف	السليك بن السلكة	139
138	إذا طال فيها النزع تأبى بعجسها * وترمي بذرويها بمن تتقذف	الشنفرى	181
139	وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني*إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف	السليك بن السكلة	215
140	وردت بمأثور يمان وضالة * تخيرتها مما أريش وأرصف	الشنفرى	179

141	قليل جهازي غير نعلين أسحقت * صدورهما مخصورة لا تخصف	الشنفرى	139
142	إذا خشعت نفس الجبان وخيّمت*قلبي حيث يخشى أن يجاوز مِخْشَف	الشنفرى	147
143	ومرقبةٍ عنقاء يقصر دونها * أخو الضّروة الرّجل الخفيُّ المخفف	الشنفرى	216،151
144	ومرقبة عيطاء يقصر دونها * أخو الضروة الرّجل الخفيف المشقّف	الشنفرى	170
145	وواد بعيد العَمْق ضَنك جماعة * بواطنُه للجن والأَسد مَألَفُ	الشنفري	196
146	لو كنتُ في ريمان تحرس بابه * أراجيل أحبوش وأخصف آلفُ	ابو الطمحان القيني	130
147	لعل الذي خوّفتِنا من أمامنا * يصادفه في أهله المتخلف	عروة بن الورد	205
148	رأيت بني لبنى عليهم غضاضة * بيوتهم وسط الحلول التكنُّف	عروة بن الورد	139
149	أرى أمَّ حسّان الغداة تلُومني * تخوّفني الأعداء، والنفس أخوف	عروة بن الورد	204،128،99
150	تقول سُليمى لو أقمت لسرنا * ولم تدر أنني للمقام أطوّف	عروة بن الورد	204
151	وعايشة راحت بطاناً ذعرتها * بسوط قتيل وسطها يتسيف	السليك بن السلكة	169
152	أيسخط غزونا رجلٌ سمينٌ * تكنّفُهُ الستارة والكنيفُ	الأعلم الهذلي	144
	حرف القاف		
153	لا شيء في ربدها إلاّ نعامتها * منها هزيم ومنها قائم باق	تأبط شراً	138
154	لكنها عوَلى إن كنتُ ذا عوَل * على بصير بكسب الحمد سباق	تأبط شراً	187
155	إني زعيم لئن لم تتركوا عذلي * أن يسأل الحي عني أهل آفاق	تأبط شراً	195،84
156	لأطرُدَ نهباً أو نزُود بقتية * بأيمانهم سمر القنا والفتائق	تأبط شراً	183
157	ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم * بالعيكتين لذي مَعْدَي ابن بَرّاق	تأبط شراً	192،155
158	بل من لعذّالة خذّالة أَشِبٍ * حرّق نالوه جلدي أيّ تحراق	تأبط شراً	147
159	ياعيد مالك من شوقٍ وإبراق * ومرّ طيف على الأهوال طرّاق	تأبط شراً	208،155
160	مساعرةٌ شُعثٌ كأن عيونهم * حريق غضاً تُلقي عليه الشقائق	تأبط شراً	186
161	إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم * فذروا السّلاح ووحّشوا بالأبرق	ام عمرو بنت وقدان	34

162	وأبعد قتيل العوص آسي على فتى*وصاحبه أو يأمل الزادَ طارق	تأبط شراً	187
163	فعُدوا شهورَ الحُرم ثم تعرَّفوا * قتيلَ أناسٍ أو فتاةً تعانق	تأبط شراً	107
164	يخيّل في المرعى لمن بشخصه * مصعلك أعلى قُلّة الرأس نقنق	الأضبط بن قريع	67
165	بضربٍ يزيل الهام عن سكناته * وطعن كتشهاق العفا همّ بالنّهق	أبو الطمحان	183
	حرف الكاف		
166	ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * بمنخرق من شده المتدراك	تأبط شراً	192
167	يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي*بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك	تأبط شراً	195
168	فإن تزعُمي أني جبنتُ فإنني * أفر وأرمي مرةً كلّ ذلك	أبو خراش	214،190
169	قليل التشكي للمهمّ يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك	تأبط شراً	195
170	قليل التشكي للهلم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالكِ	تأبط شراً	126
171	حسبتهم جلاد القوم عند قبابهم * كمأخذكم بالعين أرطال آنك	أبو سفيان بن الحارث	55
172	يا عُزّ كفرانك لاسجانك * إني رأيت الله قد أهانك	خالد بن الوليد	62
	حرف اللام		
173	أواقد ، لا ألوك إلا مهنّدا * وجلد أبي عجل وثيق القبائل	أبو خراش	184
174	رأت خلف الأدراس أشعث شاحباً*على الجدب بساماً كريم الشمائل	عبيد بن أيوب العنبري	93
175	ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة * فأخذت منه خطة المغتال	علاف بن شهاب	61

176	وصفراء البُراية عود نبع * كوقف العاج في وِزنٍ حُدال	عمرو ذو الكلب	182
177	ومرقبة يحاور الطرف فيها * تزل الطير مشرفة القذال	عمرو ذو الكلب	171
178	فلا وأبيك لاينجو نجائي * غداة لقيتهم بعض الرجال	الأعلم الهذلي	191
179	أشابَ الرأسَ أني كلّ يوم * أرى لي خالةً وسط الرجال	السليك بن السلكة	141
180	فلست لحاصن إنْ لم تَرَوْني * ببطن صريحة ذات النجال	الأعلم الهذلي	219
181	وَتُجْراً كالرماح مسيَّرات * كسين دواخل الريش النُّسال	عمرو ذو الكلب	180
182	ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل	بكر بن النطاح	70
183	وأسمر مُجْناً من جلد ثور * أصمَّ مفلّلاً ظُبة النصال	عمرو ذو الكلب	184
184	وفي قعر الكنانة مرهفات * كأن ظباتها شوك السَّيال	عمرو ذو الكلب	180
185	فلا تصلي بصعلوك تؤوم * إذا أمسى يعد من العيال	السليك بن السلكة	75
186	فيوماً على أهل المواشي وتارةً * لأهل ركيب ذي ثميل وسنبل	تأبط شراً	144.90
187	وأطوي على الخُمص الحوايا كما انطوت * خيوطه تغار وتُفتَلُ	عروة بن الورد	99
188	إذا ما هبطنا منهلاً في خوفة * بعثنا ربيئاً في المرابي كالجدل	عروة بن الورد	173
189	إذا فزعوا طاروا إلي مستغيثهم * طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل	زهير	29
190	أقيموا بني لبني صدور مطيكم * فإن منايا القوم خير من العزل	عروة بن الورد	185
191	لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي * وشدي حيازيم المطية بالرَّحل	عروة بن الورد	186
192	وقربة أقوام جعلت عصامها * على كاهل مني ذلول مرحل	تأبط شراً	138
193	وألفى وجه الأرض عند افتراشها * بأهدأ تنبيه سناسن قحل	الشنفرى	143
194	فإنكم لن تبلغوا كل همتي * ولا أربي حتى تروا منبت النخل	عروة بن الورد	91

195	ولست براعي تَلّة قام وسطها * طويل العصا خُرْنيق ضحل مُرَسَّلِ	تأبط شراً	131
196	وكل امرئ يوماً سليم سعيه * إذا كشفت عند الإله المحاصل	لبيد بن ربيعة	61
197	أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل	حسان بن ثابت	44
198	ومرقبة يا أم عمرو طِمِرّة * مذبذبة فوق المراقب عيطل	الشنفرى	171
199	فأتي لمولى الصبر أجتاب بزّه *على مثل قلب السّمع والحزم أفعل	الشنفرى	149
200	فإما تريني كابنة الرمل ضاحياً * على رقة أحفى ولا أتنعل	الشنفرى	139
201	كليلة شيباء التي لستُ ناسياً * وليلتنا إذ مَنّ ما مَن قَزْمل	عروة بن الورد	193
202	ولستُ بِتِرْعيّ طويل عشاؤُهُ * يؤرّقها مستأنف النبت مُنْهِل	تأبط شراً	130
203	متى تبغني ما دمت حياً مسلماً * تجدني مع المسترخل المتعبهل	تأبط شراً	131
204	أديم مِطالَ الجوع حتى أُميته * وأضرب عنه الذِّكر صفحاً فأذهل	الشنفرى	125.99
205	أرى الدهر لا يُبقي على حدَثانه * أقبّ تباريه جدائدُ حولُ	أبو خراش	217
206	وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذى* وفيها لمن خاف القِلى مُتَحَوَّلُ	الشنفرىُ	124
207	من مبلغ حرمي إنني مقتول ** يا ربّة نهب قد حويت عُثكول	السُّليك بن السُّلكة	119
208	هل حبل خولة بعد الهجر موصول* أم أنت عنها بعيد الدار مشغول	عبدة بن الطبيب	208
209	متى ما تلقني ومعي سلاحي * تلاق الموت ليس له عديل	الأعلم الهذلي	177
210	أقيموا بني أمي صدور مطيكم * فإني إلى قوم سواكم لأميل	الشنفرى	208.122.84
211	وأسمرَ خطيٍّ القناة مثقّف * وأجردَ عريانَ السراة طويل	عروة بن الورد	183
	حرف الميم		
212	تقول سليمى لا تعرض لتلفة * وليلك عن ليل الصعاليك نائم	عمرو بن برّاقة	203 .71
213	قد تصعلكن في الربيع وقد ق * رّ جلد الفرائض الأقدامُ	الأصمعي	67
214	إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه * وصاح من الأفراط نوم جواثم	عمرو بن برّاقة	74

215	إذا الليل أدجى واكفهر ظلامه * وصاح من الإفراط يوم جوائه	عمرو بن برّاقة	164
216	إذا الليل أدجى واسجهرت نجومه * وصاح من الافراط هام جوائه	عمرو بن برّاقة	164
217	وفي الشمال سمحة من النشوْ * صفراء من أقواس شيبانَ القدم	لم يعلم قائله	182
218	وكيف ينام الليل من جل ماله * حسام كلون الملح أبيض صارم	عمرو بن برّاقة	177.163
219	صموت إذا عض الكريهة لم يدع * لها طمعاً طوع اليمين مكارم	عمرو بن برّاقة	164
220	فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا *وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم	الشنفرى	164
221	فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا * وتضرب بالبيض الدقاق الجماجم	الشنفرى	164
222	رأت رجلاً قد لوحته مخامص * وطافت برنان المعدين ذي شحم	أبو خراش	141
223	زعمت خناز بأنّ برمتنا * تغلى بلحمِ غير ذي شحم	الأعلم الهذلي	136
224	متى تطلب المال الممنّع بالقنا * تعش ماجداً أو تخترمك المخارم	عمرو بن برّاقة	144
225	ومن يطلب المال الممنع بالقنا * تعش ذا غنى أو تخترمه المخارم	عمرو بن برّاقة	165.164
226	جزى الله فتياناً على العوْص أمطرتْ*سماؤهم تحت العجاجة بالدَّم	تأبط شراً	186.150
227	ولابطلا إذا الكماة تزينوا * لدى غمرات الموت بالمالك العدم	أبو خراش	217
228	وفي الشمال سمحة من النشوْ * صفراء من أقواس شيبان القدُم	عمرو ذو الكلب	181
229	فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم	زهير بن أبي سلمى	60
230	متى تجمع القلب الذكيَّ وصارماً * وأنهاً حمِيّاً تجتنبك المظالم	الأعلم الهذلي	178
231	وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم * فهل أنا في ذا آل همدان ظالم	عمرو بن برّاقة	164
232	تهددني كي أحذر العام خشعاً ** وقد علمت إني امرؤ غير مُسلمِ	السُّليك بن السُّلكة	204.119
233	ونعل كأشلاء السماني نبذتها * خلاف الندى من آخر الليل أورهم	أبو خراش الهذليُّ	138
234	ولولا دِراك الشد قاطت حيلتي * تخيَّرُ من خطّابها وهي أيم	أبو خراش	191
235	أما والذي لايعلم السر غيره * ويحيي العظام البيض وهي رميم	حاتم الطائي	61

236	تعيرني الإعدام والبدو معرض * وسيفي بأموال التجار زعيم	الأحيمر السعدي	103
	حرف النون		
237	ألا من مبلغ فتيان فهم * بما لا قيتُ عند رحى بطان	تأبط شراً	156
238	إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ** لأيّة حربٍ أم بأيّ مكان	المازني	79
239	أشكو إلى الله صبري عن زواملهم* وما ألاقي إذا مروا من الحزن	الأحيمر السعدي	215.104
240	لا يفطنون لعيب جارهم ** وهم لحظ جواره فطن	قيس بن عاصم	31
241	ولا عيبَ في اليحموم غير هزاله * على أنه يوم الهياج سمين	الشنفرى	194
	حرف الهاء		
242	إذا المرء لم يَنْعث سَوَاماً ولم يَرُحْ *عليه ولم تعطف عليه أرقاؤه	عروة بن الورد	128
243	أرى قدميّ وقعهما خفيف * كتحليل الظَّليم حذا رِئاله	تأبط شراً	222.175
244	غلام إذا هاموا بالقتل لم يبل * ألاقى قليلاً أم كثيراً عواذله	لم يعلم قائله	86
245	لا تبعدي إما ذهبت شامه * فرب وادٍ نفرت حمامه	الشنفرى	221.122
246	وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عوده أبوه	لم يعلم قائله	93
247	أنا الذي تخلعه موالية * وكُلُّهم بعد الصفاء قالية	قيس بن الحداية	136
	حرف الياء		
248	إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها * ولم تُذرِ خالاتي الدموعَ وعمتي	الشنفرى	130
249	كرهتُ جذيمة العبديَّ لمَّا * رأيتُ المرءَ يجهد غيرَ آلي	الأعلم الهذلي	153
250	فإن أتقفتموني فاقتلوني *وإن أثقف فسوف ترَوْنَ بالي	عمرو ذو الكلب	174

251	بذلت لهم بذي وَسُطانَ شَدّي * غداتئذٍ ولم أبذل قتالي	الأعلم الهذلي	190
252	ترجّى نساء الأزد طلعة ثابت* أسيراً ولم يدرِين كيف حويلي	تأبط شراً	156
253	وإني لأهدِي القوم في ليلة أقل* وأرمي إذا ماقيل هل مِن فتى يرمي	أبو خراش	195
254	وإني لأثوى الجوع حتى يملني* فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي	أبو خراش	218
255	وإني لأثوي الجوع حتى يملّني * فأحيا ولم تدنس ثيابي ولا جِرمي	أبو خراش	126
256	وما بعد أن قد هدني الدهر هدة*تصال لها جسمي ورق لها عظمي	أبو خراش	144
257	أقلي عليّ اللوم يا ابنة المنذر* ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري	عروة بن الورد	208،201
258	فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودي	طرفة بن العبد	33

فهرست الآيات

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة البقرة	
1-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...(282)	106
	سورة المائدة	
2-	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)	63
3-	إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (91)	34
	سورة الأنعام	
4-	وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)	64
	سورة النحل	
5-	(4)وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (7)	58
6-	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59)	35
7-	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(121)	64
8-	ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)	64

	سورة الشعراء	
-9	أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(150)	51
	سورة ص	
-10	وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5 (وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ(6)	63
	سورة فصلت	
-11	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)﴾	59
	سورة الجاثية	
-12	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم (بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24	64
	سورة النجم	
-13	أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (19 (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ(22)	62
-14	وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ 49 (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ(51)	62
	سورة الرحمن	
-15	الرَّحْمَٰنُ (1 (عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4 (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)(	5
	سورة نوح	
-16	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23 (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا(24	63

	سورة الطارق	
17-	وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾	59
	سورة قريش	
18-	لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)	53

فهرست الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
1 -	(إِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)	64
2 -	(تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) حديث ضعيف	92

فهرست المصادر والمراجع

الرقم	المصدر أو المرجع
1 -	القرآن الكريم.
2 -	أبراهيم أنيس وأخرون: (المعجم الوسيط) ط2 ، 1987م، تحقيق: حسن علي عطية، و محمد شوقي ، دار الأمواج للطباعة ، بيروت لبنان
3 -	ابن السائب الكلبي (أبو المنذر) : (كتاب الأصنام) ط1 ، 2009م ، تحقيق: الاستاذ أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشرالقاهرة.
4 -	ابن السكيت : (ديوان عروة بن الورد) ط1، 1995م، تحقيق: محمد فؤاد نعناع، مكتبة الخانجي القاهرة مصر.
5 -	ابن المعتز : (طبقات الشعراء) ط3 ، 2010م ، تحقيق عبدالستار فراج ، دار المعارف القاهرة مصر.
6 -	ابن النديم : (الفهرست) د.ط ، 2010م ، دار الكتب العلمية،بيروت لبنان.
7 -	ابن عبد ربه : (العقد الفريد) ط1 ، 1983 م ، ج1، تحقيق: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
8 -	ابن سعد : (الطبقات الكبرى) ط2 ، 1998م، ج1 ، دار صادر للطباعة والنشر.
9 -	ابن خلدون : (تاريخ ابن خلدون) د.ط ، 2015م ، تحقيق عادل بن سعد ، دارالكتب العلمية ، بيروت لبنان .
10	ابن منظور الأفريقي: (لسان العرب) ط4 ، 2005م، ج7 ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .
11	أحمد كمال زكي: (الأساطير) ط1 ، 1975م ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، مصر .
12	ابن قتيبة : (الشعر والشعراء) ط1 ، 2000م ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
13	أبو الطاهر الشيرازي الفيروزابادي : (القاموس المحيط) ط1 ، 2004م، تحقيق : حسان

	عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية بيروت ، لبنان.
14	أبو الفرج الأصفهاني : (الأغاني) ط4 ، 2011م ، دار الثقافة ، القاهرة ،مصر.
15	أبو العباس المبرد: (الكامل في اللغة والأدب) ط1،ج2 ، 2003م ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
16	أبوعلي القالي :(الأمالي والنوادر) د.ط ، 2002م، ج2 ، تحقيق : محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
17	أبو زيد القرشي : (جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام) د.ط ، 1981م ، تحقيق : علي البجاوي ، نهضة مصرللطباعة والنشر.
18	أحمد أمين : (الصعلكة والفتوة في الإسلام) ط 3 ، 2010م ، دار المعارف القاهرة.
19	أحمد أمين : (فجر الإسلام) ط 3 ، 1953م ، ج1، لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة مصر.
20	أحمد كمال زكي (شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي) د.ط ، 1969م ، الكاتب العربي ، القاهرة.
21	البحتري : (الحماسة) ط1 ، 1929م ، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة الرحمانية مصر
22	التبريزي: (حماسة أبي تمام) ط1 ، 2000م ، ج1، تحقيق غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
23	الجوهري: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية) ط4، 1990م ، ج4 ، تحقيق أحمد العطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
24	السكري : (شرح أشعار الهذليين) ط1 ، د.ت ، تحقيق عبدالستار فراج ، مطبعة دار المدني القاهرة .
25	السيوطي : (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) ج1 ، ط1، 1998م، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
26	الطبري : (تاريخ الطبري) ط1 ، 2001م ،ج2 ، دار الكتب العلمية بيروت.
27	المفضل الضبي: (المفضليات) ط9 ، 2012م ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة.

28	بندل جوزي : (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) ط1 ، 1928م، ج1 ، مطبعة بيت المقدس، القدس فلسطين .
29	جرجي زيدان : (تاريخ التمدن الإسلامي)ط 3 ، 1921،ج4، مطبعة هلال مصر.
30	جواد علي: (تاريخ العرب قبل الإسلام) ط 1، 1956م ،ج5، المجمع العلمي العراقي
31	حسني عبدالجليل يوسف، (الأدب الجاهلي ، قضايا ، وفنون ، ونصوص) ط1، 2007م، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الاسكندرية ، مصر .
32	حسني عبدالجليل يوسف :(المواقف الإنسانية في الشعر الجاهلي ، الالتزام والاغتراب والتمرد) ط1، 2008م ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية ، مصر ..
33	خليل أبو ذياب : (الأدب الجاهلي) ط1 ، د.ت ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان.
34	شمس الدين الذهبي : (سير أعلام النبلاء) ط11 ، 1998م ، تحقيق: بشار عواد، وآخرون ، دار الفكر بيروت لبنان .
35	شوقي ضيف (العصر الجاهلي) ط 17 ، 2011م، دار المعارف ، القاهرة مصر.
36	عبد الحليم حفني: (شعر الصعاليك منهجه وخصائصه) ط1 ، 1979م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر .
37	عبدالعزيز نبوي: (دراسات في الأدب الجاهلي) ط الثانية 1988،م الصدر لخدمات الطباعة (سيسكو).
38	عبدالقادر بن عمر البغدادي : (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) ط4 ، 1997م ،ج1 ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر.
39	عبدالقادر عبدالحميد زيدان: (التمرد والغربة في الشعر الجاهلي) ط1، 2003 الناشر دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر،الاسكندرية مصر.
40	عبدالمعين الملوحي: (أشعار اللصوص وأخبارهم) د- ت ، د – ط ، منشورات دار أسامة، دمشق سوريا.
41	عبد وعون الرضوان: (موسوعة شعراء العصر الجاهلي) د.ط ، 2001م ، دار لأسامة للنشر والتوزيع، عمان.

42	علي أحمد الخطيب :(الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين) ط1 ، 2003م ، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة .
43	غازي طليمات ، وأ. عرفان الأشقر : (الأدب الجاهلي ، قضاياه أغراضه ، أعلامة ، فنونه) ط2، 2007م ، دار الفكر دمشق.
44	كامل سليمان الجبوري: (معجم الشعراء) ط1، 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
45	كرم البستاني: (ديوان عروة بن الورد) د. ط ، 1950م ، تحقيق وشرح كرم البساوي ، مكتبه صادر بيروت.
46	لورين (جوستاف): (حضارة العرب) ط1 ، 1969م ، ترجمة محمد عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر .
47	محمود الزمخشري : (أساس البلاغة) ،ط1 ، 1998م ، ج1 ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية القاهرة مصر
48	محمود طه أبو العلا: (جغرافية شبه الجزيرة العربية) ط1، 1965م ، لجنة البيان العربي القاهرة .
49	مصطفي السقا : (مختار الشعر الجاهلي) ط 1، 1998م ، مطبعة الحلبي ، القاهرة مصر.
50	يحي الجبوري: (الشعر الجاهلي ، خصائصه ، فنونه) ط9 ،2001م، مؤسسة الرسالة.
51	يحي مراد: (معجم تراجم الشعراء الكبير) د.ط ، 2006 ، دار الحديث ، القاهرة.
52	يوسف خليف : (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) ط2 ، 1966م ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة مصر.